الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة باتنة 01

كلية اللغة والأدب العربي والفنون قسم اللغة والأدب العربي

بنية النص السردي
في ثلاثية سهيل إدريس
(الخندق الغميق- الحي اللاتيني- أصابعنا التي تحترق)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

تخصص : نقـــــــــــــد أدبي

* إعداد الطالبة : * إشراف الأستاذ الدكتور :
فاطمة نصيــر محمد بن لخضر فورار

الموسم الجامعي : 2015 ــ 2016 م

شكـــــر و عــرفان

* أسمى آيات الشكر والعرفان والجميل الذي أقف عاجزة عن رد جزء يسير منه ما حييت ، الشكر الجزيل والامتنان الذي يطوّقني مــن كــلّ الجهــات لوالــديّ العزيزين أطال الله عمرهما ومتّعهما بالصحّة ، الــشكر لهمــا علــى مــساندتي ومرافقتي وتشجيعي المستمر بلا كلل وبلا ملل طيلة مراحل حياتي الدراسية ، هما السّند في الحياة وهما الحافز الذي لا يضاهيه حافز ..

* الشكر الجزيل ومنتهى الاحترام والتقدير لأستاذي الفاضل البروفيسور "امحمــد بن لخضر فورار" على متابعته للبحث ، ومراحــل تقدّمــه ، وعلــى حرصــه، وإشرافه على إخراج الأطروحة بشكل أنيق مظهرا وجوهراً .

الشكر الجزيل لكلّ أساتذتي في مراحلي التعليمية حتى بلــوغ مرحلــة الــدكتوراه ،وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور "نصر الدين بن غنيسة ".

الشكر الجزيل لأصدقائي وزملائي وأخصّ بالذكر شقيقي الأستاذ محمــد نــصير أستاذ بقسم التاريخ بجامعة قسنطينة ، حيث كان ولازال سنداً ومشجعا لي متمنيــة له مشواراً علميا وعملياً موفقا .

شكر خاص لزميلتي وصديقتي الأستاذة "آسيا غربوج" التي دققت الأطروحة لغوياً.

فاطمة

الإهـــــداء

لم أخط خطوة نجاح في حياتي ، ولم أتجاوز فشلاً في حياتي ،إلاّ وشعرت بقلبيهما يخفقان و يبتهلان لي خفاء وعلناً ...سرّا وجهراً ..

إليهما ثمرة من الثمار التي سقياها بماء الصبر والحب والرعاية ...

إلى أمي الحبيبة

وإلى أبي العزيز

أهدي أطروحتي...

فاطمة

" إنّي أحسد كتّاب الرواية وأغار حقّاً من الروائيين ، لأنّ الرواية هـــي الجنس الأدبي الأكثر قدرة على الإحاطة بكلّ أجناس الكتابة والفنون "

محمود درويش

مقـــــدمـــــــة

تعدّدت الأجناس الأدبية وتنوّعت وتجاورت وتداخلت دون أن يلغي نوع غيره من الأنواع، وقد كانت العصور الماضية في الأدب العربي هي عصور الشعر وسـلطته ، أمّا في العصر الحديث فبزغ نجم الرواية كجنس أدبي رائد التفّ حوله جمع غفير مـن الأدباء والقراء والنقّاد فشكّلوا عقدا فريداً ، وصارت الرواية أرضاً خصبة يستثمر فيها الكتّاب الإشكالات الاجتماعية والهموم الإنسانية وأدق العواطـف وأصـغر التفاصـيل اليومية .

ظهرت الرواية في زمن تشعّبت فيه القضايا الإنسانية حتّى بات نـص القـصيدة يضيق بطرحها وتتبّعها ، بالإضافة إلى تحوّلات وتغيّرات كبرى في مجالات الـسياسة والثقافة والفكر والمجتمع ، فكانت الرواية هي النمط الإبداعي الأكثر تقبّلا لاحتواء هذه التحوّلات والتغيّرات المتسارعة ، بالإضافة إلى سعة فـضاءاتها التـي تمكّنهـا مـن استضافة الأجناس الأدبية الأخرى ودمجها في نسيجها لتشكّل تداخلاً أجناسياً لا يلغـي فن الرواية بقدر ما يعبّر عن تميّزها في احتواء بقية الأجناس .

إذن الرواية كنص أدبي أُفُقَها أكثر اتّساعا ومساحتها أكثر شساعة تلتقي فيها الأجنـاس الأدبية وتتداخل دون أن يحدث نشاز أو اضطراب يشوّه شكلها وبنيتها لا سيما إذا كان الأديب متمرسا في الكتابة عارفا بالفنون الأدبية ،وبحدود التداخل، واستضافة الفنـون لبعضها البعض .

من أبرز الأدباء العرب في القرن الماضي الذين برعوا في كتابة الرواية وكـــانوا من الروّاد الذين شكّلوا صورة الرواية العربية، وارتقوا بها إلى أرقى المراتب الأديـــب اللبناني "سهيل ادريس" ، الذي جعل من رواياته حاملة وحمّالة لقضايا وهموم الإنـــسان العربي في العصر الحديث ، ويتضح ذلك في نصوصه القصصية الكثيرة ومن خـــلال روايات الثلاثة (الخندق الغميق ــ الحي اللاتيني ــ أصابعنا التي تحترق) التـــي هـــي مدوّنة لهذه الدراسة.

إذ برهن سهيل إدريس أنّ الرواية قادرة على التقاط صورة فسيفسائية للمجتمعـــات وقضاياها وهموم أفرادها في فترة زمنية ما ونقلها للقرّاء جيلا بعد جيل عـــن طريـــق جسر السرد الذي له جاذبية التأثير في القارئ / المتلقي ، ألم يكن السرد ولا شيء غير السّرد هو الذي خلّص شهرزاد منذ قرون طويلة من قتل محتوم يتربّص، بهـــا فظلّـــت تؤجله ألف ليلة وليلة وهي تسرد لشهريار حكايات تجذبه ،فتفتنه وتجعله مشدودا لتتبـــع مسار السّرد حتى النهاية فكان السرد وانسيابيته هو العاتق / المحرّر لرقبتها من سيف مسلول.

انطلاقاً من أهمية الرواية كجنس أدبي مرموق ، وبعد قراءات متعدّدة لنصوص الثلاثية المتماسكة تمّ بلورت فكرة البحث ، ووضع عنوان يناسب تطلّعات الموضوع وأهدافـــه التي يسعى للوصول إليها ، ومن ثمّة تم صياغة العنوان ووسم البحـــث بـــــ " البنيـــة

السردية في ثلاثية سهيل إدريس (الخندق الغميق ــ الحي اللاتيني ــ أصــابعنا التــي تحترق)" .

من الأسباب الرئيسة التي تقف خلف اختيار هذا الموضوع تحديدا دون غيــره مــن الموضوعات :

ــ انجذاب قديم للنصوص السرديّة قصة ورواية بشكل عام ، وشغف بقراءة الأعمــال الروائية التي تثير قضايا وإشكالات بالغة العمق والتجذّر في الذات الإنسانية .

ــ أثناء إنجاز بحث الماجستير الذي اشتغلت فيه على رواية " أصابعنا التي تحترق " ، حيث درست الصراع الإيديولوجي بين المثقفين في النصف الثاني القرن الماضي كمــا صوّرتها الرواية ، ومن ثمّة أثار أدب "سهيل إدريس" في ذهني الكثير من الإشــكالات التي دوّنتها واخترت منها هذا الموضوع المتعلّق بالبنية السرديّة التي تسمح لي بالتعمّق أكثر في تفاصيل دقيقة مشكّلة لنصوصه ، لا ســيما أنّ الروايــات الثلاثــة تعرّضــت لموضوعات وقضايا شائكة ساهمت في صياغة بنيات النصوص وتشكّلها .

ــ اختيار الاشتغال على البنية السردية رغم حضور موضوعات محفّزة كــان ســببه رغبة وتطلّع في التعرّف على التقنيات السردية وطرائق تشكّل النص السردي ، ومــن ثمّة الاقتراب تطبيقيا/عمليا من نصوص الثلاثية وتحليلها بعد التعرّف علــى الــدرس السردي نظريا.

ــ من أسباب اختيار هذا الموضوع ، محاولة الحفاظ على خط بحثي بدأته بالاشـــتغال على السرد وارتأيت التزام هذا الخط في بحث الدكتوراه ــ أيضا ــ رغبة منـــي فـــي عدم تشتّت جهدي وأفكاري وحصرها في مجال معيّن تطلّعا لفهمها وتجريبا لتطبيقها.

لطبيعة الموضوع والمدوّنات دور في صياغة الإشكاليات ، لاسيما أنّ البحـــث مقاربة نقدية سردية ، ومعلوم أنّ مجال السرد تتجاذبه الآراء والطروحات فهو مجـــال بحثي خصب ظهرت بوادره في العصر الحديث ولازال مفتوحا على التحيين والتجديـــد ، ومن المؤكّد أنّ لكلّ نص سردي خصوصيته الأسلوبية وفرادته مـــن حيـــث انتظـــام البنيات وتشكّلها .

من هذا المنطلق طرح البحث جملة من الاشكاليات وسعى للإجابة عليها من خلال ما اشتملته طيات الدراسة والتحليل ، ويمكن صياغة أبرز الإشكالات في النقاط الآتية :

ــ ما مدى تماسك بنيات الثلاثية ؟ وما الذي جعل منها نصوصاً تابعة لبعضها الـــبعض رغم اختلاف الموضوعات، وتغيّر الشخصيات والأمكنة والزمن؟

ــ ما مدى اقتدار نصوص الثلاثية على التحكّم في فنيات السرد وتوظيفها بالشكل الذي يضفي للأحداث والقصة جماليات ؟

ــ أيّ البنيات السرديّة اهتمّت الروايات الثلاثة بالاشتغال عليها ؟

ــ ما مدى قدرة السارد في الربط بين النصوص على امتداد ثلاثة روايات؟

واستنادا لكلّ ما تقدّم قوله ، صمّمت خطة الدراسة التي شهدت تعديلات متعدّدة وذلـــك تبعاً لما تمليه القراءات والتطوّر والتقدّم في البحث وتحرير فصوله ، فالبحـــث اشـــتمل على مقدمة فمدخل يليه ثلاث فصول ثم خلص البحث إلى خاتمة .

في المدخل الذي المعنون بـــ " ضبط المصطلحات والمفاهيم " ، تمّ فيـــه عـــرض مفاهيم للكلمات المفتاحية التي تشكّل منها العنوان، والتي تعدّ من أهـــمّ المـــصطلحات ضمن البحث ككل إلى جانب مصطلحات أخرى تأجّل عرض مفاهيمهـــا وتطوراتهـــا ،فطرحت ضمن الفصول لأنها على علاقة وطيدة بما سيطرح في متون الفصول .

المدخل تمّ فيه الوقوف عند ثلاث مصطلحات تحديداً وهي :" بنية ، نص ، سرد " ، وقد كانت المفاهيم مشتملة على الجانب اللغوي والجانب الاصطلاحي ثم تتبّع تطوّر المصطلح وتشعّبه ، وقد تمّ ضمن عرض المفاهيم تضمين أقوال لنقّـــاد كبـــار أدلـــوا بآرائهم واجتهاداتهم ليبلوروا أبرز المصطلحات التي أفرزتها السرديات .

بعد المدخل يأتي الفصل الأول الموسوم بـــ " تيبولوجية شخصيات الثلاثية وأبعادها المتعدّدة "،وفي هذا الفصل تمّ التعرّف على شخصيات الثلاثية وتحليل بنياتها ومكوّناتها وأبعادها وأدوارها ، وقد سبق ذلك مهاد نظري اشتمل على مفهوم الشخصية الروائيـــة وأهميتها، وعرض لجهود النقّاد الروّاد في دراستهم للشخصية الروائية ثم تبـــع ذلـــك عرض للأبعاد الثلاثة التي من خلالها يقدّم السارد شخصياته .

بعد الانتهاء من المهاد النظري المتعلّق بالشخصية الروائية، تـــمّ عـــرض وتقـــديم شخصيات الثلاثية من خلال التركيز على أبعادها و منطوقاتها ، وتمّ اختيـــار التقـــسيم الكلاسيكي (شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية)، بعد أن اتّضح أنّ هذا التسقيم هـــو الأكثر قدرة على سبر أغوار الشخصيات لا سيما وأن الروايات الثلاثة مكتوبـــة علـــى النمط السردي الكلاسيكي .

أما الفصل الثاني خصّص لدراسة بنية المكان عنوانه :" طوبوغرافية أمكنة الثلاثية ووظائفها في النسيج السردي "، تم استهلال الفصل بتمهيد فعنصر تـــمّ فيـــه عـــرض إشكالية تحديد المصطلح بين المكان والفضاء ثم تقديم أنواع الأمكنة كما أوردها النقّـــاد والباحثون الروّاد في الدرس النظري السردي الخاص بالمكان .

وبعد المهاد النظري تمّت مقاربة وتحليل أمكنة الثلاثية، وتمّ اعتماد تقسيم لها انطلاقا من طبيعة الروايات، والأماكن التي توافرت فيها ثمّ قُسّمت إلى خمـــسة أنـــواع وهـــي كالآتي:

1 ــ المدارس والجامعات ومراكز التعليم الأخرى

2 ــ أماكن عرض الفنون ومقرّات الاهتمام بالأدب والفكر

3 ــ المرافق العامّة

4 ــ أماكن السكن والرسمية والمؤقتة

5 ــ أماكن التنقّل والحركة اليومية

وضمن كلّ نوع من هذه الأنواع الخمسة أمكنة كانت مسرحاً للأحـــداث وعبـــرت عليها الشخصيات ، كما جعلها السّارد سكّة نقل الحدث وتصوير تطوّر الخط السردي . تمّ التوقف عند أمكنة الروايات الثلاثة ونقل تشكّلها وطوبوغرافيتها كما نقلتهـــا عدســـة السارد،ولم يغفل البحث عن تتبّع وظائف الأمكنة في النسيج السردي .

الفصل الثالث والأخير عنوانه " تشكّل الزمن فـــي ضـــوء الدراســـات الفلـــسفية والمقاربات السردية" ، تتكامل أبرز البنيات التي تصوغ نصّاً سردياً.

ابتدأ الفصل بتمهيد ثمّ بسط فكرة الزمن فلسفيا ثمّ سردياً ، ففكرة الزّمن قبـــل أن يثيرها نقّاد السرديات في العصر الحديث ، إذن التعريج على فكرة الزمن فلسفيا كـــان مؤسّسا لما طرح في مجال السرديات .

بعد بسط وشرح الزمن من منظور الدرس النقدي السردي ، واتّـــضاح التقنيـــات والفنيات التي يستخدمها الساردون في سرد الروايات والقـــصص ، حـــاول الـــبعض الاستفادة منها إجرائيا وتطبيقها على نصوص الثلاثية ، فقدّمت الدراسة مقاربة تطبيقية لبنية المفارقات الزمنية في الثلاثية المتمثلة فـــي الاســـتباق والاســـترجاع بنوعيهمـــا ،بالإضافة إلى تقديم مقاربة تطبيقية لنظام الزمن / الإيقاع الزمني ، بنوعيـــه تـــسريعا وإبطاء ، وقد اعتمد هذا الفصل تحديدا جداول واحصاءات وأشكالا (أعمـــدة ودوائـــر

نسبية) ، ساهمت في تحليل البنية الزمنية التي انتظمت عليها نصوص الثلاثية فتماسكت .

ذُيّل البحث بخاتمة بَسَطَتْ القول في أبرز النتائج المتوصّل إليها ، وفيهـــا عـــودة لتأمّل نتائج الفصول وتلخيص ما يمكن اعتباره نتائج كانت من جهة أخرى نافذة لفـــتح آفاق بحثية أخرى ، كان لهذا البحث ونتائجه المتوصّل إليها الفضل في إثارة إشكالاتها .

ولتنفيذ خطّة البحث والإجابة على الإشكاليات التي طرحها ، استعان البحث بأكثر مـــن من منهج ، وكانت هذه المناهج موزّعة بين السياقي و النسقي .

هذا المزج في حضور المناهج تطلّبته طبيعة البحث إذ لا مناص من ذلـــك ، فلـــشرح الإطار النظري لبعض الآليات النقدية السرديّة يجد الباحث نفسه أمام الالتزام بـــالمنهج الوصفي والتاريخي الذي يساعده على التعريف بالسياق التاريخي لنظرية مـــا كفكـــرة الزمن مثلا .

وفي المقابل لشرح فكرة ما أو مصطلح أو نقل مفاهيم الروّاد للبنيات الـــسردية يحضر المنهج الوصفي الذي يقدّم للباحث والقارئ شرحاً وتفصيلا لما تظمّنه الـــدرس النقدي السردي .

كما اعتمد البحث أيضا على المنهج الإحصائي في الفصل الثالـــث تحديـــداً ، إذ كـــان مساهماً في رصد إجراءات وتقنيات سرديّة ، وتلك الإحصاءات كانت مثابة المعطيـــات التي ساهمت في التحليل واستخراج النتائج والمقارنات .

استخدم المنهج البنيوي أيضا ، وذلك بتوظيف بعض مصطلحاته وآلياته فـــي التحليـــل خاصة فيما يخص البنية الزمنية ، فالدرس النظري والتطبيقي السردي نشأ وترعـــرع وتطوّر في بيئة المنهج البنيوي .

بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي كان له حضور ، استدعته طبيعة نصوص الثلاثيـــة الكلاسيكية .

كلّ هذه المناهج تضافرت من أجل غاية موحّدة وهي تقديم قراءة / مقاربة للروايـــات الثلاثة، ومحاولة الوصول لبنياتها التي تماسكت فأخرجت نصوصا أدبية روائية تكاملت فيما بينها .

أماالمصادر المراجع التي تمّ الاستناد إليها ، في انجاز البحـــث ، كـــان علـــى رأسها نصوص الثلاثية (الخندق الغميق ــ الحي اللاتيني ــ أصابعنا التي تحتـــرق) لسهيل إدريس،وعليها قامت فكرة البحث واشكالياته وكانت مجالاً للتطبيق ومن خلالهـــا رصدت النتائج .

إلى جانب الروايات الثلاثة التي كانت مدوّنة للبحث ، اعتمد البحث على مجموعة مـــن المصادر والمراجع تفاوتت من حيث الاستفادة منها والعودة إليها .

من بين الدراسات السابقة المباشرة التي تمتّ بصلة لنصوص الثلاثيــة مــرجعين اثنين وهما :

ــ سهيل إدريس في قصصه ومواقفه ، تأليف : جورج أزوط

ــ البطل في ثلاثية سهيل إدريس ، تأليف : سهيل الشّملي

بالإضافة إلى الاستعانة بمعاجم وموسوعات وقواميس الخاصة بالمصطلحات السردية مثل :

ــ قاموس السرديات لجيرالد برنس ترجمة : السيد إمام

ــ معجم المصطلحات العربية تأليف : مجدي وهبة وكامل المهندس .

ومن المراجع ذات الصلة المباشرة بالدرس السردي وتطبيقه مثلا :

ــ شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية) تأليف : حسن نجمي .

ــ بنية الشكل الروائي (الفضاء ــ الزمن ــ الشخصية) تأليف : حسن بحراوي .

ــ تحليل الخطاب الروائي (الزمن ــ السرد ــ التبئير) تأليف : سعيد يقطين .

ــ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، تأليف : حميد لحميداني.

ــ السرد العربي الأنواع والوظائف والبنيات ، تأليف : إبراهيم صحراوي .

ــ البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، تأليف : أحمد مرشد .

ــ شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية) ، تأليف : حسن نجمي .

وغيرها من المراجع التي يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر والمراجع المرتّبة في آخر البحث .

من الطبيعي أنّ كل بحث لا يمكن أن يخلو من عوائق وصعوبات و مطبّات ، إلاّ أنّ العزاء في كلّ ذلك يعود لإنهاء هذه الدراسة التي كانت محاولة لـــدخول عـــوالم السرد العربي وتحليل بنياته من خلال مدوّنة لأديب له قدم راسخة في الثقافـــة والأدب العربي .

ختاماً، أحمد الله تعالى أولاً وأشكره أن أمدّني بالصحّة والجهد لكتابة البحـــث ، ثـــمّ أرفع أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي المشرف البروفيسور امحمـــد بـــن لخضر فورار، الذي تابع بحوثي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه ،كما تشرّفت بـــأن كنت من طلابه في العام النظري في الماجستير ، أشكره كثيرا على تشجيعه ومساندته ومتابعته لمساري الدراسي في مرحلة الدراسات العليا ، تتبعه لمراحل تطوّر الأطروحة إلى أن استوت في هيأتها الأخيرة بانتظار مناقشتها وإثراءها من قبـــل اللجنـــة التـــي ستضيف للبحث وأفكاره الكثير بعد إطلاعهم عليها.

كما أشكر كلّ أساتذتي في كافة مراحلي التعليمية وفي مساري الجامعي بدءا بالليسانس في جامعة الوادي والماجستير بجامعة بسكرة والدكتوراه بجامعة باتنة .

شكراً جزيلاً لزملاء الدراسة وزملاء العمل الذين ساعدوني إما بإرشاد إلى مرجع ما أو إعارة لكتاب ما ، والشكر موصول كذلك لمكتبات الجامعـــات الجزائريـــة علـــى تسهيل إعارة الكتب وعلى التفاني في خدمة الباحثين .

شكراً جزيلاً للجنة المناقشة ، الذين سيثرون البحـــث بملاحظـــاتهم ومناقـــشاتهم وآرائهم العلمية القيّمة التي ستكون لا شكّ نبراساً لي في مساري العلمي .

مـــــدخـــــل

ضبط المصطلحات والمفاهيم

ـــــ أولاً: البنية(la structure)

ـــــ ثانيا:النص(le texte)

ـــــ ثالثا:السرد(la narration)

أولا :البنية (la structure)

ورد في لسان العرب لابن منظور قوله : " البناء: المبني والجمع أبنية ... والبِنيــة والبُنية : ما بنيته،وهو البِنى والبُنى "[1]

والبناء مشتق من مصدر بنى ... وواحد الأبنية وهي البيوت ، من البوان ويطلق علــى أجزاء البيت ومكوناته بوائن وهي جمع بوان ، وهي كل عمود في البيــت ، أي التــي يستقيم ويقف عليها البناء[2].

إن ّكل ّ ما أوردته المعاجم اللغوية عن تحديد مفهوم البنية يلخصه قول الناقد الأمريكي "قراو راسون" J.G.Ranson "...إن الأثر الأدبي يتألف مــن عنــصرين البنيــة أو التراكيب والنسج (Texture) أو السبك ، نعني بالأول المعنى العام للأثــر الأدبــي ، وهو الرسالة التي ينقلها هذا الأثر بحــذافيرها إلى القارئ بحيث يمكن التعبيــر عنهــا بطرق شتى عبر التعبير المستعمل في الأثر الأدبي المــذكور ، أما النسيج فالمراد بــه الصدى الصوتي لكلمات الأثر وتتبع المحسنات اللفظية والصور المجازيــة والمعــاني التي توحي للعقل بالمدلولات للكلمات المستعملة " [3].

---

[1] ــ ابن منظور: لسان العرب ،مج 01 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1997 ، ص 258 .

[2] ــ مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية،مكتبة لبنان،بيروت،ط02 ،ص184 .

[3] ــ المرجع نفسه : ص 184.

ويمكن تحديد مفهوم البنية بالقول : " هي مفهوم تجريدي ، لإخضاع الأشكال إلى طرق استيعابها"[1]، وقد قدم الباحث بسام بركة في معجم اللسانيات توضيحا مسهبا لمفهوم البنية فاعتبرها " تركيب ما يقابله دائما بالفرنسية(structure) ونقول بنية عميقة (structure profonde) وبنية روائية (structure narrative) وبنية سطحية(structure superficielle ou structure de surface) [2]

على العموم فإن المقصود بهذا المصطلح في معجم اللسانيات الحديثة " تعاقب وحدات لغوية ذات علاقات معينة "[3].

يرى كثير من النقاد أن مصطلح بنية في سياقه ومفهومه المتداول حديثاً ظهر في بادئ الأمر عند الناقد "موكاروفسكي" الذي حدّد مفهوم الأثر الأدبي بأنه " بنية ، أيّ نظام من العناصر المحققة فنياً والموضوعة في تراتبية معقدة تجمع بينها سيادة عنصر معين على باقي العناصر"[4]

---

[1] : سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 01 ،1985 ،ص 52.

[2] ــ بسام بركة : معجم اللسانيات الحيثة (فرنسي عربي) ، منشورات حروس ، طرابلس ــ لبنان ،ط02 ،1985 ، ص 193 .

[3] ــ عبد القادر شرشار :تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، ط01 ،ص151 .

[4] ــ لطيف زيتوني :معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ،ط01 ،2002 ، ص 37 .

يعدّ هـــــذا التعريف من أشهر التعريفات وأوضحها ، وقد ارتكز عليه النقـــــاد خلال بحثهم في مفهوم البنية وما تعلق بها من مفاهيم .

للبنية الأدبية / الفنية مفهومان " الأول تقليدي يراها نتاج تخطيط مسبق فيدرس تركيبها وعناصرها، ووظائف هذه العناصر والعلاقة القائمة بينها ، والبنية مستويات ، فهنـــاك البنى اللغوية التي تدرسها اللسانيات ، وهناك بنية الأثر الأدبي التـــي يدرســـها النقـــد ليكشف(في الرواية مثلا) العلاقة القائمة بين الخطاب والسرد ... وهناك بنيـــة النـــوع التي تدرسها الشعرية ، لتكشف مجموع العناصر المطـــردة فـــي نـــوع أدبـــي معـــين وعلاقاتها ووظائفها (الرواية مثلا بالمقارنة مع الأقصوصة أو مع المـــــــذكـــرات ، والرواية البوليسية مثلا بالمقارنة مع الرواية العاطفية) ..."[1]

للإشارة فإن سيمياء السرد استندت على قواعد تشومسكي التوليدية ، بغية وضع نوعين من البنى:" البنى العميقة ، وهي نموذج يختزن كل إمكانات السرد ، والبنية السطحية ، وهي صورة هـــــــــذه الإمكانات محققة في النص السردي "[2].

---

[1] ــ المرجع السابق : ص 37 .

[2] ــ نورة بنت محمد بن ناصر المري : البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية) ، رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث ، ، إشراف : محمد بن صالح بن جمال البدوى ، (مخطوط نسخة الكترونية) ،جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا ، فرع الأدب ، ص 05 .

وعليه فإن المقاربات السردية المختلفة لم تعد تكتفي " بمجرد النظر إليها في حدود صلاتها بالبنية الاجتماعية "[1] بل جاوزت ذلك إلى تحليل مناهجها الفنية ووجهات النظر وتقنيات الكتابة القصصية[2] " وقد أعاد الثنائي رينيه ويلك وأوستن وارين تسمية كل العناصر المحايدة جماليا "مواد"،في حين أطلقا على هذه الطريقة التي أحرزت بها بقية العناصر فعاليتها الجمالية اسم (بِنْية)"[3]" وليس هذا التمييز على الإطلاق إعادة تسمية للزوج القديم ، المضمون والشكل فهي تشق طريقها عبر خطوط الحدود القديمة رأساً ، تشمل "المواد" عناصر كانت تعتبر سابقاً جزءاً من المضمون والشكل بقدر ما ينظمان لأغراض جمالية ن فالعمل الفني قد اعتبر إذن نظاماً كلياً من الإشارات ، أو أبنية من الإشارات تخدم غرضاً جمالياً نوعياً "[4] .

من جهة أخرى يضيف "جورج مولينيه "بأن للسرد بنيتان ،ففرق بين الصور ذات البنيات الصغرى عن الصور ذات البنيات الكبرى , لأنه بإمكان القارئ عزلها عن عناصر معينة من الخطاب وهي تمحي أو تتغير نهائياً تبعاً للعناصر الشكلية للخطاب ، فهي تدلّ على نفسها من خلال سياقاتها المباشرة كالاستعارة والمجاز

---

[1] ــ المرجع السابق : ص 06 .

[2] ــ رينيه ويلك وأوستن وارين : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ ط 02، ص 146 .

[3] ــ نورة بنت محمد بن ناصر المري : البنية السردية في الرواية السعودية ،ص 06.

[4] ــ رينيه ويلك وأوستن وارين : نظرية الأدب ، ص 147 .

المرسل ، في المقابل فإن البنيات الكبرى مثل السخرية عكس ذلك تماماً فهي تشتغل على مستوى النص أو الخطاب ، وليس بالإمكان فصلها عنه أو تحديدها في مفردات مخصوصة منه[1].

للشكلانيين الروس نظرة متميزة في هذا المضمار فهم يرون أن تصوير الأحداث (نقلها من الحياة إلى الفن) ، يكون إما في قالب شعري يعتمد على الصور البيانية ـــــ مجاز واستعارة ـــــ والخيال ، وإما أن يكون في قالب سردي يستند إلى الحكي والقص وعوالم الخيال .[2] وهذا الأمر " يدل على أن الشكلانيين ينظرون إلى بنية ما داخل النص الشعري في البنية الشعرية ، وينظرون إلى بنية أخرى داخل النص السردي هي البنية السردية ، وهذه البنية وتلك هما بمثابة النموذج المتحقق في بنية النص ، وهو ليس مجموعة من القواعد ، بل هو نموذج مرن ينشأ غالباً من عاملين ، نوعية المادة المكونة لكل بنية ثم المعالجة الفنية لهذه المادة "[3] .

---

[1] ــ جورج مولينيه : الأسلوبية ، ترجمة : بسام بركة ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ،لبنان ،ط 01 ، ص 25 ــ 26 .

[2] ــ عبد الرحيم الكردي : البنية السردية في القصة القصيرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة دط ، دت ، ص 15.

[3] ــ نورة بنت محمد بن ناصر المري : البنية السردية في الرواية السعودية ،ص 07.

ما قدّمه الشكلانيون الروس في هذا المضمار يعدّ إضافة جديدة أثرت حقل النقد الأدبي بشكل عام ،ومجال السرديات بشكل خاص .

ثانيا:النص(le texte)

من خلال التاريخ الثقافي العربي ، يلحظ الدارس المتمعن غياب ممارسات نصية مستقلة تامة،باستثناء النصوص التشريعية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) ، وهي بادرة الممارسة النصية الفعلية " وتتمثل في الوقوف على النص في ذاتيته النصية بتعبير بارت، فذاتية النص تجليها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف "[1]

وبالعودة إلى المعاجم اللغوية العربية والتنقيب عن مادة (نصص) ودلالاتها نجدها مختلفة وبعيدة كل البعد عن ما قدّمته الدراسات الأدبية واللغوية الحديثة ففي لسان العرب لابن منظور نجد في نصص قوله : " النص : رفعك الشيء ، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه . وكل ما أُظهر فقد نُصّ ... ونصصت المتاع إذا جعلت جعلت بعضه على بعض . وكل شي أظهرته ، فقد نصصته ... ونصّ المتاع نصاً :

[1] ــ منذر العياشي : النص ممارساته وتجلياته ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد مزدوج (96 ــ 97)،1992 ، ص 53 .

جعل بعضه على بعض ...وأصل النص أقصى الشيء وغايته ... نصّ الرجل نصاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده . ونصّ كل شيء : منتهاه ..."[1].

ما قدمته المعاجم العربية ـــــــ ولسان العرب هو نموذج من النماذج ـــــــ لم يتم العثور على دلالة من الدلالات التي فهم بها معنى النص في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة والشاهد المذكور أعلاه يثبت ذلك .

رغم وورود هذه الكلمة وتداولها في أوساط الفقهاء والأصوليين والمتكلمين في القديم ، إلا أن الباحث لا يعثر على تعريف لها كمصطلح ، وتغييب تعريف مصطلح مثل هذا كتب المتقدمين مدعاة للحيرة والتساؤل[2] .

لماذا لم يضع العلماء العرب القدامى تعريفا لهذا المصطلح ؟ هل لأنهم اعتبروه مصطلحاً عاديا أو اعتبروه ليس بحاجة إلى تحديد المفهوم ؟ أم أن تعريفه لم يكن على قدر من الأهمية التي تستدعي ضبط المفهوم وتقديم قراءة له ؟ كلها أسئلة تتبادر إلى ذهن القارئ/المتلقي المعاصر الذي يقارب مصطلح النص باعتباره من المصطلحات الأساسية في الدراسات اللسانية والنقدية الحديثة والمعاصرة .

وكل التعريفات التي تم تقديمها في المعاجم العربية تمتّ بصلة مباشرة من حيث الدلالة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، كقول ابن منظور " نص الحديث

---

[1] ـ ابن منظور : لسان العرب ، مج 06 ،ص 196 .

[2] ـ منذر عياشي : النص ممارساته وتجلياته ، ص 55 .

ينصه نصاً: رفعه "[1] ،أي رفعه بالسند إلى قائله.بالإضافة إلى دلالات أخرى جانبيـــة لا صلة لها بالمفهوم المعاصر للنص .

ولقد أثير مفهوم النص بمفهومه المعاصر انطلاقا من الثقافة الغربية وتحديدا مـــن اللغات الأوربية التي تنحدر من أصول لاتينية ، فكلمة نـــص تقابـــل كلمتـــي Texte ،Texte المشتقتين من "Textus" والتي تعني "Tussu" المشتقة من "Texere" التـــي تقابل في اللغة العربية كلمة "نسج".

إذن فالأصل اللاتيني يوحي بالنسج أي الجمع والضم واكتمال الأجزاء واســـتواءها "...أفليس النسج مجموعة من العمليات التي يتم بمقتضاها ضم خيوط السدى إلى خيوط اللحمة لنتحصل على نسيج ما يعتبر تتويجاً لهـــــــــذه العمليات؟ ثم ألا يعني النـــسج بمعناه الواسع الإنشاء والتنسيق في ضم الشتات والتنضيد؟ "[2] .

هذا المعنى يغيب في معاجم اللغة العربية في شرح مادة (نصص) ، لكن حضوره يتجلى في شرح مادة نسج ، وعليه فإنه بالإمكان القول بأن" ما ورد في اللغتين العربية واللاتينية يؤدي معنى بلوغ الغاية والاكتمال في الصنع"[3] .

---

[1] ــ ابن منظور : لسان العرب ، مج 06 ،ص 196 .

[2] ــ أحمد الحـــــذيري : من النص إلى الجنس الأدبي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع 100 ــ 101 ،1988، ص 41

[3] ــ عبد القادر شرشار : تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ، ص34 .

رغم غياب المعنى الحداثي لمصطلح "نص"في المعاجم العربية ، إلا أن هناك من الدارسين من يصر على اسنباط خصائص النص بالمفهوم الحداثي انطلاقا من شرح المعاجم التراثية العربية ، مع سبق الاعتراف والإقرار بأن المعنى المعاصر مغيب تماما ، فمثلا نجد الباحث "منذر عياشي" يحدد النص بالرجوع إلى القراءة التراثية ، ويحاول إدماجها بالقراءات الحداثية لتعريف النص في الثقافة الأوربية فيقول :" ... النص دائم الإنتاج لأنه مستحدث بشدة ، ودائم التخلق لأنه دائما في شأن ظهورا وبيانا مستمر في الصيرورة لأنه متحرك ، وقابل لكل زمان ومكان لان فاعليته متولدة من ذاتيته النصية ، وهو إذا كان كذلك ، فإن وضع تعريف له يُعتبر تحديداً يُلغي الصيرورة فيه ، ويعطل في النهاية فاعليته النصية .... "[1] , ولكن تبقى هذه القراءة اجتهادا وتقريبا للقراءة التراثية من القراءة الحداثية ، " ... إلا أن محاولة تحميل التفسيرات المعجمية واللغوية دلالات غائبة في نصوصها أصلا عبر عملية قسرية قد يؤدي إلى انحراف في قراءة التراث ، وتأويله تأويلا قسرياً ، لا يفيد الدراسة الحداثية في شيء "[2] .

[1] ــ منذر عياشي : النص ممارساته وتجلياته ، ص 55 .

[2] ــ عبد القادر شرشار : تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ، ص35

وإذا انطلقنا انطلاقة لسانية لتحديد مفهوم النص ، فلا بد من اعتباره علامة كبيرة تتكون من وجهين وهما : الدال والملول ، فالنص عبارة عن مجموع أنسجة تتماسك فيما بينها ، وتجمع فيما بينها عناصر متعددة ، وهو ما يطلق عليه مصطلح (نص)[1] .

كما يشمل مصطلح (نص Texte) في النقد الحديث والمعاصر معنى الأثر المكتوب المدون ، ويمثل مراحل تطور الكتابة الأدبية من منظور اللسانيات.[2]

بدأ مفهوم النص ـــــــ كمصطلح لساني ونقدي ـــــ يتبلور منذ بدايات السبعينات في القرن الماضي ، فقد وضع "رولان بارت" R.Barthes في مؤلفه (من العمل إلى النص) خصائص مفهوم النص في نقاط منها ما أوردها الدكتور" صلاح فضل" في كتابه الموسوم بـــــــــــ : "بلاغة الخطاب وعلم النص" وهي كالآتي[3] :

1 ـــــــ في مقابل العمل الأدبي المتمثل في شيء محدد نقترح مقولة النص التي لا تتمتع إلا بوجود منهجي فحسب، وتشير إلى نشاط ، إلى إنتاج ، وبهـــــــــــذا لا يصبح النص مجرباً ، كشيء يمكن تمييزه خارجياً ، وإنما كإنتاج متقاطع ، يخترق عملا أو عدة أعمال أدبية .

---

[1] ــ الأزهر زناد : نسيج النص في ما يكون به الملفوظ نصاً ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط02 ،1993،ص12

[2] ــ Grned dictionnaire encyclopédique Larousse Larousse ,Paris ,T10,1984 ,P 10170 ,Librairie

[3] ــ صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، منشورات عالم المعرفة ، ص 213 ــ 214

2 ـــــــ النص قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعرف عليها لتصبح واقعاً نقيضاً يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم .

3 ـــــــ يمارس النص التأجيل الدائم ، واختلاف الدلالة ، إنه تأخير دائب ،فهو مبني مثل اللغة ، ولكنه ليس متمركزاً ولا مغلقاً ،إنه لا نهائي ، لا يحيل إلى فكرة معصومة ، بل إلى لعبة متنوعة ومخلوعة .

4 ـــــــ إن النص وهو يتكون من نقول متضمنة ، وإشارات وأصداء للغات أخـــرى وثقافات عديدة تكتمل فيه خريطة التعدد الدلالي ، وهو لا يجيب على الحقيقـــة وإنمـــا يتبدد إزاءها .

5 ـــــــ النص مفتوح ، يتجه القارئ في عملية مـــشاركة، لا مجـــرد اســـتهلاك هـــــذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة ، وإنما تعني اندماجهما فـــي عملية دلالية واحدة ، فممارسة القراءة إسهام في التأليف.

ينظر "رولان بارت" R.Barthes للنص على أنه " ... ليس موضوعاً ولكنه عمـــل و ، وليس مجرد مجموعة من الإشارات المغلفة الحبلى بمعاني يجب العثور ..."[1] .

أما البحوث التي قدمت حول الملفوظ والتلفظ (Enoncé et énonciation) فهي تعد النص ملفوظا متفردا ومتتابع باعتبار الكتابة الأدبية تنظيم مخالف يقابـــل الإنتـــاج اللغوي الشفوي[1] .

[1] ـــــ R.Barthes : l'aventure Sémiologique ,Editions Du Seeuil , Paris , 1985,P13

ولقد استفاد النقاد العرب من النصوص الغربية أثناء محاولة تشكيلهم لمعنى معاصر للنص يواكب التطورات النقدية الحداثية ، من أبرز النقاد العرب الذين قدموا تعريفا اصطلاحيا للنص الدكتور "عبد الملك مرتاض" حيث قال عن النص أنه : " شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والأيديولوجية ، تتضافر فيما بينها لتكون خطاباً ، فإذا استوى مارس تأثيرا عجيباً ، من أجل إنتاج نصوص أخرى ، فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته ، تبعاً لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة من حيث هو ، ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة "[2].

من خلال قراءات النقاد العرب والنقاد الغربيين يتحدد معنى النص على أنه فعل أو ظاهرة سيميائية تشمل علامات مادية ولغوية متعددة المعاني والدلالات والإيحاءات.

---

[1] ـــــ Grned dictionnaire encyclopédique Larousse ,Librairie Larousse , ,P 10170

[2] ـــــ عبد الملك مرتاض : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (دت) ، ص55 .

ثالثا: السرد (la narration)

السرد لغة، جاء في لسان العرب لابن منظور: "هو تقدمة شيء على شيء تأتي به متّسقا في أثر بعض متتابعا.سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه, وفلان يسردُ الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له"[1]

وقد اهتم أصحاب المعاجم الأدبية النقدية المعاصرة بوضع تعريف للسرد باعتباره من أبرز المصطلحات التي يقوم عليها ما أطلق عليه علم السرد أو السرديات Narratologie ، بحيث ورد في المعجم الأدبي ما يأتي:" سَرَدَ الحديث والقراءة, وتابعهما وأجاد سياقهما"[2]،" وعرض الحديث بتتابع وجودة، وفي الأدب هو بسط الحديث في أي عمل أدبي بسطا عاديا من غير حوار وهو أسلوب إن طال مَلَّهُ القارئ ."[3]

---

[1] ــ ابن المنظور : لسان العرب ، مجلد 03 ، ص 273 .

2- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت ـــ لبنان، ط01 ، 1984،ص139.

3- محمد التونجي : المعجم المفضل في الأدب، ج02,دار الكتب العلمية، بيروت ـــــ لبنان, ط01، 1413هـــــ 1993م، ص523.

والسرد هو محاولة تحويل الحادثة المرئية / الواقعية أو المتخيلة إلى صورة لغوية .

" وهو – أيضا– التواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكي "Narrative" كرسالة يتم إرساله من مرسل إلى مرسل إليه, وهو ذو طبيعة لفظية Verbal ".[1]

من كل ما سبق، نستخلص أن الرواية أو القصة باعتبارها نصًا محكيا أو مرويًا تمرُّ عبر القناة التالية:[2]

" أما السرد فهو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها "[3], فالسرد يعنى بالشكل والقالب الذي تقدم فيه الرواية, لأن قصة واحدة يمكن أن تصاغ وتحكى بطرائق متباينة ومتعددة, ويهتم في ذات الوقت بكيفية نقل الراوي للرواية إلى المروي له.

1– سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي (الزمن, السرد, التبئير) المركز الثقافي, الدار البيضاء المغرب, دت, ص41.

2– حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـــــ بيروت ، ط03 ، 2000 ، ص45.

3– المرجع نفسه : ص41.

فـــ" السرد إذن هو رواية الحديث سرداً متتابع الأجزاء يشد كل منها الآخر شداً فـــي ترابط وتناسق "[1]

خلاصة القول إنّ السرد عبارة عن خطاب يقدم فيه السارد حدثًا أو أكثر وينـــتج فيـــه حكاية تتضمن مجموعة من المواقف والأحداث[2]، فالسرد في أول الأمر وآخره هو علم دراسة القص واستخلاص أبرز الأسس التي ينهض عليها.[3]

نشأ علم السرد la narration بمعناه الاصطلاحي الحداثي في أحـــضان البنيويـــة الشكلانية ، فهو إذن "ربيب الفكر البنيوي "[4] ،وقد اهتم رواد البنيوية الـــشكلانية بعلـــم السرد واعتبروه أحد أهم وأبرز فروعها ، ثم تلقفته أقلام دارســـين بنيـــويين آخـــرين بالدرس والتحليل، أبرزهم تودوروف الـــــــذي نسب له أغلبية النقاد أسبقية توظيـــف مصطلح "علم السرد"la narration والريادة في البحث في هـــــــذا المضمار[5] .

---

[1] ـــ إبراهيم صحراوي : السرد العربي الأنواع والوظائف والبنيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 01 ، 2008 ، ص 32 .

2- جيرالد برنس: قاموس السرديات, ترجمة : السيد إمام, ميريت للنـــشر والتوزيـــع, القـــاهرة, ط 01 ،2003, ص124.

3- ميجان الرويلي: وسعد البازعي, دليل الناقد الأدبي(إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومـــصطلحاً نقـــدياً مُعاصـــراً),المركز الثقافي العربي ، بيروت ـــــــــــ الدار البيضاء ، ط 04 ، 2005 ، ص174.

[4] ـــــــــ نورة بنت محمد بن ناصر المري : البنية السردية في الرواية السعودية ،ص 09 .

[5] ـــــــــ عبد الرحيم الكردي : البنية السردية في القصة القصيرة ، ص 15 ـــ ـــ22

وبظهور علم السرد / السريات وتبلورها كعلم مستقل قائم بـــــــذاته انقـسمت إلى ثلاثة اتجاهات وهي :

1 ــ <u>الاتجاه الأول</u> : أطلق عليه الشعرية السردية أو السرديات البنيوية ، وهو لا يهـتم بموضوع الرواية بل يصب اهتمامه بتحليلها وتفكيك جزئياتها وصيغ وطرائق تقـديمها باعتبارها شكلا من أشكال التعبير ، فطريقة القص وصـيغه هـي الأهـم عنـد رواد هـــــذا الاتجاه ، وعليه فهم يطرحون أسئلة على نمط : لمن يحكي الـراوي ؟ وأي الصيغ ينهج لتبليغ خطابه ؟ ...أبرز رواد هـــــــــــذا الاتجاه : تودوروف وجيرار جينيت .

2 ــ <u>الاتجاه الثاني</u> : يطلق عليه السيميائيات السردية ، يبحث فـي دراسـة محتـوى القصة بغض النظر عن شكلها أو قالبها فلا يهم إذا كانت رواية أو قصة قصيرة أو فلما أو صورا ، ويهمل طرائق الأداء وأدوات التبليغ ، كل ذلك من أجل الكشف عن البنى العميقة للقصة ، وقد مثل هـــذا الاتجاه كل من :" ألغرد جوليـان غريمـاس" A.J Greimas و "فلاديمير بـروب" Vladimir Prop و"كلـود بربريمـون Cloude Bremend[1]ـــ

[1] ـــ كريستيان أونجلي وجان إيرمان : السرديات (نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير) ، ترجمة : ناجي مصطفى ، منشورات الحوار الأكاديمي ، ط 01 ، 1989 ، ص 97 .

انتقد الاتجاه الأول وسجلت عليه عدة مآخـــــذ أبرزها إسقاطه لمعاني النـصوص السردية من دائرة اهتماماتهم وبحثهم ، أما الاتجاه الثاني فقـد عيـب عليـه إهمالـه لحضور الروائي وصوته وصوت الشخصيات والطريقة والصيغة التي تقدم بها القصة[1] .

3 ــ <u>الاتجاه الثالث</u> : نظرا للمآخـــــذ التي سجلت لكلا الاتجاهين السابقين ، فقد فكر أصحاب الاتجاه الثالث بجمع الاتجاه الأول والاتجاه الثاني ، من أبرز أعلام هـــــذا الاتجاه جيرالد برنس Gerald Prince، فـــ " العمل السردي ينشأ عن فن الـسرد الـــــــذي هو انجاز اللغة في شريط محكي يعالج أحداثاً خيالية ، في زمان معـين ، وحيز محدد ، تنهض بتمثيله شخصيات هندسية يصمم هندستها مؤلف أدبـي "[2] ، إذن فمحتوى القـصة وطرائـق التحليـل والـصيغ كلهـا ذات أهميـة عنـد أصـحاب هـــــــــــذا الاتجاه .

ويبقى السرد la narration ، من بين أبرز المصطلحات النقديـة إثـارة للجـدل والنقاش في أوساط المنظرين، وترجع أهميته من تداخله وامتزاجه وترادفه مع الكثير من المصطلحات الأخرى كـ :(القص ــ الحكي ــ الخطاب)

---

[1] ـــ عبد الرحيم الكردي : البنية السردية في القصة القصيرة ، ص 22 .

[2] ــ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، منشورات عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ص 256 .

وفي استعمالاته القديمة يدل السرد على سبك الكلام وتزويقه وتنميقه ، فهو لم يوظف في القرآن الكريم للكلام عن أخبار الأولين الصادقة منها والكاذبة ، فقد أطلق عن الصادقة كلمة القص والأخبار الكاذبة كلمة أساطير ، فكلمة قص بهذا المعنى تدل دلالة مباشرة على الأحداث والوقائع التاريخية المتحققة ، أما كلمة سرد فقد غابت كلياً في النص القرآني ، ولكن النقاد والدارسين المعاصرين يربطونها ربطا مباشرا بالمهارة اللغوية البشرية في تركيب الكلام وتنسيقه ولا يهم صدقه وكذبه وواقعيته وخياله[1] ،الشيء المهم في لعبة السرد هو طريقة الأداء وكيفية توظيف الكلام .

تمّ تقديم إضاءة لمصطلح (البنية ــ النص ــ السرد) ، هنا في المدخل ، نظراً لأهمية هذه المصطلحات في البحث ، كما أنّها مصطلحات تشكّلت منها عنوان الدراسة .

وفي الفصول الموالية دخول للنصوص عن طريق بوابات البنيات الثلاثة (الشخصية ــ المكان ــ الزمن) .

[1] ــ عبد الرحيم الكردي : البنية السردية في القصة القصيرة ، ص 15 .

الفصل الأول

تيبولوجية شخصيات الثلاثية وأبعادها المتعددة

تمهيد :

أولا : الشخصية مفهومها وأهميتها :

ثانياً : جهود النقاد الرواد في دراسة الشخصية الروائية :

1 ـــــــ فلاديمير بروب : Vladimir Propp

2 ـــــ ألجير داس جوليان غريماس: A.J .Greimas

4 ـــــ تزفيتان تودروف: Tazvetan Todorov

5 ـــ فيليب هامون: Philipe Hamon

ثالثا ــ أبعاد الشخصية الروائية :

1 ــ البعد الفيزيولوجي / الجسمي

2 ــ البعــد السوسيولــوجي / الاجتماعي والبعــد الثقــافي

3 ــ البعد السيكولوجي / النفسي

رابعا ــ تقديم شخصيات الثلاثية وتوضيح الأبعاد المشكّلة لها :

أ ـــ أبعاد الشخصيات رواية الخندق الغميق :

ــ الشخصيات الرئيسية:

01 ــ سامي

2 ــ الأب

3 ــ الأم

ــ الشخصيات الثانوية :

01 ــ هدى

02 ــ فوزي

03 ــ رفيق

04 ــ سميّا

05 ــ إدارة المعهد الديني (المدير والناظر)

06 ــ الشيوخ / الأساتذة

07 ــ الطلاّب

ب ـــ أبعاد الشخصيات رواية الحي اللاتيني :

ــ الشخصيات الرئيسية:

01 ــ الشخصية المحورية/ البطل بالمفهوم التقليدي

02 ــ جانين مونترو

03 .الأم

ــ الشخصيات الثانوية :

01 ــ ناهدة

02 ــ صبحي

03 ــ فؤاد

04 ــ فرنسواز

05 ــ تيريزا

ج ـــــ أبعاد الشخصيات في رواية " أصابعنا التي تحترق " :

ــ الشخصيات الرئيسية :

1 ــ سامـــي ميمون

2 – إلهام راضي

ــ الشخصيات الثانوية :

01 ــ كريم الهـــادي

02ــ وحيد حقّي / رهفل مهشاه

03 ــ عصام الحلواني

04 – هاني الغريب :

05 ــ حسّان راضي

06 ــ رفيقـــة شاكـــر

07ــ سميحة صادق

08ــ عبد القادر رحماني

09- عــزيــز

10 ــ ضياء وسمير

11 ــ سلمى العكاوي

12 ــ عبلة سلطان

13 ــ مدير معهد بكفيا

14 ــ شقيقات إلهام

أ ــ نُهــى

ب ــ شقيقتها المتزوّجة في بيروت

ج ــ شقيقتها المتزوجة في مصر

تمهيد:

دراسة الشخصيات الروائية أمر في غاية الأهمية ، إذ لا غنى عنها لمن يخوض مجال المقاربات السردية ، ويهتمّ بفكّ البنيات الأساسية للنصوص الروائية ، لأنّ الشخصية في عالم الإنتاج الأدبي تمثّل " ... موضع اهتمام ونقطة تركيز تقليدية ، ومتوارثة للنّقد القديم والمعاصر"[1] ، بالإضافة إلى ذلك فهي " أهمّ مكوّنات العَمل الحِكَائِي، لأنّها تمثّل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحَكي "[2].

استحوذت الشخصية Personnage على جزء كبير من تفكير نقاد السرديات قديما وحديثا ، وقد عرضها ذلك إلى تجاذب في الآراء ووجهات النظر و إثارة نقاشات و جدالات حول مفهومها وأهميتها وطرائق دراستها .

أولا : الشخصية مفهومها وأهميتها :

من حيث المفهوم يرى الناقد الفرنسي "رولان بارت" Roland Barth أن الشخصية الروائية عبارة عن ورق تشكلت دلالاتها عن طريق اللغة ، أما "تودوروف" فمن

[1] – جميلة قيسوم : الشخصية في القصة ، مجلة العلوم الإنسانية ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر، ع 13 ، 2000م ، ص 195.

[2] – سعيد يقطين : قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط01 ، 1997 ، ص87 .

منظوره هي ليست أكثر من قضية لسانية، هـــذا الاختلاف الكبير في الآراء مــرده تعدد مشارب التفكير ومنابع التأصيل المناهج النقدية التي يؤمن بها كل ناقــد ويــدافع عنها ، وقد أثر ذلك سلباً على إرساء مفهوم الشخصية وهـــذا ما جعلهــا " ... مــن أكثر جوانب الشعرية غموضاً"[1].

تكلم النقاد أثناء تعرضهم لمفهوم الشخصية Personnage كلاماً يشمل أهميتها ودورها،ولعل هـــذا الدمج انطلاقا من صعوبة الفــصل بــين المفهــوم والأهميــة فالمفهوم لا يتشكل إلا من خلال الأهمية والأهمية لا تبرز إلا بظهور المعالم الكبــرى للمفهوم .

عموماً، فإن هناك من النقاد من يرى أنه لا يمكن " ... تصور أحداث روايــة أو قصة أو مسرحية بدون شخصيات تقوم بها ، أو تتلقاها ، ولـــذا كانت مــن نقــاط الارتكاز التقليدية للنقد الأدبي قديمه وحديثه "[2]، وهناك من يقلل من مكانة الشخصية في الأعمال القصصية والروائية ومن هؤلاء "توماشفسكي" الــذي يقول : " ... ليس البطل الروائي ضرورياً بالنسبة لصياغة المتن الحكائي فهـــذا المــتن باعتبــاره نظــام

[1] ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 01 ، 1992 ، ص207 .

[2] ــ إبراهيم صحراوي : أسماء الشخصيات في الرواية المعاصرة بين الأدبية والإيديولوجية ، مجلة اللغة والأدب ، العدد 08 ، جامعة الجزائر ، 1996 ، ص 157 .

الحوافز يمكن أن يستغني كلياً عن البطل وخصائصه المميزة "[1] ، من خلال كلامه يفهم القارئ/ المتلقي أنه

يقلل من قيمة حضور الشخصية لكنه لا ينكر أن لها مكانة في النص السردي .

جدير بالذكر أن يدرج في هذا السياق بأن الجدل الدائر حول نشأة الشخصية وأهميتها هو موضوع من المواضيع القديمة التي تنبه إليها "أرسطو" في كتابه" فن الشعر" فهي حسب رأيه مكون يوجد بوجود غيره ـــــ أي توجد الشخصية بوجود الفعل ـــــ فالتمثيلية من منظوره "... تتضمن مجموعة من المكونات ، وأعظمها نظم الأعمال ، و التراجيديا ليست محاكاة للأشخاص ، بل للحياة والأعمال ، والتمثيل لا يقصد إلى محاكاة الأخلاق،ولكنه يتناول الأخلاق عن طريق محاكاة الأفعال ، فالأفعال والقصة هي غاية التراجيديات والغاية هي أعظم شيء"[2]، إذن فالشخصية عند أرسطو هي مكون ثانوي خاضع لوجود وغياب الفعل.

وقد تأثر "فلاديمير بروب بما قدمه أرسطو فقد أهمل هو الآخر مكانة الشخصية ونفى عنها الاستقلالية ورأى أن وجودها يعتمد " على فعلها الذي هو أساس العمل المنجز وقيمته ، ولذلك درس الخرافة الشعبية انطلاقا من وظائف

[1] ـ توماشفسكي : نظرية الأغراض نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)،ترجمة : إبراهيم الخطيب ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ، ط01 ، 1982 ، ص 207 .

[2] ـ أرسطو : فن الشعر ، ترجمة : متى بن يونس ، تحقيق : شكري عياد ، الشركة المغاربية للناشرين المتحدين ، الدار البيضاء ، ط01 ، 1986 ، ص 53 .

الشخصيات لكونه يرى أن الوظيفة "[1] "هي قيمة ثابتة ، ويكون السؤال عن ماذا تفعل الشخصيات مهماً وحده ، أما من يقوم بالفعل ، وكيف يفعله ، فهما سؤالان لا يوصفان إلا بشكل كمالي فـــــ " العناصر الثابتة والمستمرة في الخرافة هي وظائف الشخصيات ، مهما تكن هـــــــــذه الشخصيات،ومهما تكن طريقة إنجازها لهـــــــــذه الوظائف ، إن الوظائف هي الأجزاء المكونة الأساسية للخرافة "[2].

أما "رولان بارت" فمن وجهة الشخصية الروائية لا تتمتع بجوهر نفسي ولا يمكن التعامل معها على أساس أنها كيان، فهو يقول أن التحليل البنيوي لا يعتبر الشخصية كائناً وإنما يصفها على أساس أنها عنصر مشارك في البناء السردي[3]، بهـــــــذه الطريقة يكون" بارت" قد وقف موقفا وسطا فهو لم يهمش الشخصية وحضورها في النص السردي وفي ذات الوقت لم يعدها كائنا له حضوره المستقل .

[1] ـ مرشد أحمد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ـ لبنان،ط 01،2005،ص34 .

[2] ـــ فلاديمير بروب : مورفولوجية الخرافة ، ترجمة :إبراهيم الخطيب ، الشركة المغاربية للناشرين المتحدين ،الدار البيضاء ـــــ المغرب ، ط01 ، 1986 ، 34 .

[3] ـــ رولان بارت : التحليل البنيوي للسرد ، ترجمة : حسن بحراوي وآخرون ، اتحاد كتاب المغرب ، الرباط ، العدد 8 ـــ 9 ،1988 ،ص19 .

أما "رولان بورنوف" و"ريال أوئيليه" فقد أكدا تأكيداً صريحاً على " أن الشخصية الروائية لا يمكن فصلها عن العالم الخيالي الذي ينتمي إليه : البشر والأشياء ، وهي تعيش فينا بكل أبعادها بواسطة هذه المجموعة وحدها "[1]

في المقابل نجد "فيليب هامون" Philippe Hamon يعتبر الشخصية مجرد كائن لغوي ، يولده النص وليست معيارا خارج النص فيقول : " الشخصية بناء يقوم النص بتشييده أكثر مما هي معيار مفروض من خارج النص "[2].

ومهما تباينت الآراء واختلفت حول مفهوم الشخصية وأهميتها تبقى الشخصية الروائية عمودا أساسيا يستند إليه الروائي، وبنية رئيسية في تشكل النص السردي ، وكل هذه الاختلافات الدائرة حول الشخصية هي في الحقيقة ترسيخ و إثبات لأهميتها و لدورها في النص السردي، فلولا فعالية وجودها في النصوص السردية لما قامت كل هذه الاختلاف التي عرضنا لها بإيجاز .

[1] ــ رولان بورنوف وريال اوئيليه : عالم الرواية ، ترجمة : نهاد التكرلي ، مراجعة: فؤاد التكرلي ومحسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط01 ،1991 ،ص 136 .

[2] ــ فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ترجمة : سعيد بنكراد ، تقديم : عبد الفتاح كيليطو ، دار الكلام، الرباط ــ المغرب، ط 01، 1990، ص 51 .

ثانياً : جهود النقاد الرواد في دراسة الشخصية الروائية:

رغم هذه الأهمية القصوى التي نالتها بها الشخصية الروائية في الدراسات النقدية إلاّ أنّها لا تزال تشهد تبايناً من حيث الآراء التنظيرية ، خاصّة فيما يتعلّق بالتصنيفات والتقسيمات ، وفيما يأتي عرض لآراء وجهود أبرز أربعة نقاد في هذا المجال .

1 ـــــ فلاديمير بروب : Vladimir Propp

"بروب" Propp أبرز علم في الاتجاه التحليلي في النقد الأدبي ، تنهض دراسته على وظائف الشخصيات ، فقد اهتم بها اهتماما بالغا وكانت حجر الزاوية في دراسته ، فمن منظوره الشخصيات تتواجد بتواجد الوظائف المناطة لها وقد تجاهل صفاتها ، باعتبار الوظيفة هي التي تثبت وجود الشخصية في النص،فالحكاية الحكاية ـــــ حسب بروب ـــــ"هي تسلسل من الوظائف محدودة العدد والانتشار ولا يمكنها أن تكون شيئاً آخر"[1] ، وقد فصل بروب بين الحدث والشخصية وقد درس الخرافة من خلال تسلسل الأحداث ،فتعرض للأحداث من خلال تتابعها وترتيبها في دوائر كان مجموعها سبع دوائر للأفعال sphères D'action وهي : دائرة المعتدي ، دائرة المانح،دائرة المساعد ، دائرة الأميرة وأبيها، دائرة المرسل، دائرة البطل ، دائرة البطل المزيف،وفي الواقع فإن هذه الدوائر لا تهم الشخصيات إنما تهم الأحداث وتصنيفها ، لأن بروب

[1] ـ سعيد بنكراد : سيميولوجية الشخصيات السردية ـ رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا أنموذجا ـ ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط01 ، 2003 ، ص09 .

يعتقد " أن ما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات ، أما من فعل هـذا الشيء ، أو ذاك وكيف فعله هي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابـع لا غير"[1].

إذن فالشخصية عند "بروب" تضمحل في مقابل الأحداث والوظـائف التـي مـن المفترض أن الشخصية هي التي تؤديها فما يهم "بروب " هو العمل الـذي تقدمـه الشخصية وما تضفيه الشخصية على خط سير الأحداث .

2 ـــ ألجير داس جوليان غريماس: A.J .Greimas

انطلق "غريماس" Greimas من الجهود التي قدمها "بـروب" Propp ، فقـد عـدل وأضاف الكثير ، وقد شهدت دراسة الشخصية على يد "غريماس" تقدما لا ينكر ، رغم اعتماده على دراسة بروب Propp ، بحيث قدم "غريماس"Greimas أول نظام عاملي للشخصيات ، واقترح تصنيف الشخصيات وفقا لما تقوم به من أعمال، وأول خطوة قام بها هي وضع تقسيمه السداسي للعوامل :

1 ـــ العامل الـذات

2ـــ العامل المرسل

3ـــ العامل المرسل إليه

[1] ـــ حميد لحميداني : بنية النص السردي من منظر النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـ المغرب ، ط03 ،2000 ، ص 24 .

4ـــ العامل الموضوع

5ـــ العامل المساعد

6ـــ المعارض / المعارض .

فكل العلاقات التي تقوم في القصة تشكلها هــذه العوامل و هــذه العوامل هي تكون ما أطلق عليه النموذج العاملي .

الشيء الجديد الـــــــذي قدمه غريماس ـــــــ أيضاـــــــ هو فصله بــين مفهــوم العامل والممثل ، فقد قدم نوعا آخر للشخصية في السرد ، وهو ما عُرف بالشخــصية المجردة ، فمن وجهة نظره العامل يمكن تصويره بعدة ممثلين ، وليس من الضروري أن يكون شخصاً ، فقد يكون فكرة مجردة كفكرة الإنسانية ،أو الحــب ،أو التــاريخ ... وغيرها، وقد يكون حيوانا أو جماداً،وهـــذا هو الطرح الجديد للشخصية الروائية عند غريماس Greimas [1].

وفيما توضح للفرق بين العامل والممثل من خلال مفهوم الشخصية عند "غريماس" :

أ ـــــ **مستوى عاملي :** فيه تأخـــذ الشخصية مفهوما عاما / شموليا مجردا همــه الأوحد تسليط الضوء على الأدوار، في مقابل ذلك يهمش الــذوات المنجزة له.

[1] ـــ المرجع السابق : ص 51 ـــ 52 .

ب ـــــ مستوى ممثلي : في هــذا المستوى تبرز الشخصية في صورة فرد توكل له مهمة القيام بدور محدد في السرد ، باعتباره شخصاً فاعلاً يساهم مع غيره في تحديــد دور عاملي واحد أو عدة أدوار عاملية .

انطلاقا من النموذج العاملي أوضح "غريماس" Greimas أن الكل تسند لــه مهمــة أداء دورين : الأول حدثي والثاني معنوي ، لأن لكل ممثل دورا فــي مــستوى تقــدم الأحداث ، ودوراً ثاني على مستوى تشكيل المعنى وبنائه .

تمكن "غريماس" من تكوين مفهوم الشخصية من خلال النموذج العاملي الـــــذي قدمه ، فالشخصية الروائية عنده هي بمثابة نقطة التقاء وتقاطع ، فالبرامج السردية هي التي تنظم الترابط الخاص بالحالات والتحولات، وطبقاً لها تنتظم الوظائف والحركات التــي تؤديها

الشخصيات في الرواية ، أما البرامج الخطابية فتــضبط التــرابط الخــاص الــصور ومولدات

المعاني والخصائص والمميزات التي تتصف بها الشخصيات[1].

صنف "غريماس" الشخصيات في الرواية حسب ما تفعل لا حــسب مــا كانــت أو اتصفت وذلك من أجل البحث في الوظائف وهو يتفق في هـــــذا مع سابقه "بروب"

[1] ــ عبد العالي بوطيب : مستويات دراسة النص الروائي (مقاربة نظرية)،مطبعة الأمنية، الرباط ـــ المغرب ،ط01 ،1999 ،ص 106 ـــ 107 .

Propp، ومن خلال تقسيمه السداسي للعوامل قدم ثلاث محاور لدراسة الشخصية وهي كالآتي :

أ ـــــ **محور الرغبة** : الذات ـــــ ما هو مرغوب الموضوع ، الذات ـــــ الفاعل(الموضوع) .

ب ـــ **محور التبليغ أو التواصل** : المرسل (الدفع) ـــــ المرسل إليه (المستفيد)

ج ـــــ **محور القدرة** : الإنجاز ـــــ المساعد ـــــ المعارض[1] .

4 ـــــ تزفيتان تودروف: Tazvetan Todorov

ارتكز "تودوروف" على اللسانيات في دراسة الشخصيات ، فمن وجهة نظره " الشخصيات الروائية هي قبل كل شيء قضية لسانية ، فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات لأنها ليست سوى كائنات من ورق "[2]

بهذا التعريف أفرغ "تودوروف" الشخصية الروائية من محتواها الدلالي واهتم بوظيفتها اللغوية ، لكن حيال تطبيقه أفاد من نموذج العلاقات والروابط الذي طرحه "غريماس" Greimas .

---

[1] ـــ إبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الأدبي(دراسة تطبيقية)،دار الآفاق ،الجزائر ، دط ، 1999 ،ص 146 .

[2] ـــ تزفيتان توردوروف: مفاهيم سردية ، ترجمة : عبد الرحمان مزيان،منشورات الاختلاف ، ط01 ، 2005 ، ص 71.

اعتبرت الناقدة " يمنى العيد" الجهود التي قدمها "تودوروف" أكثر أهمية مـــن درس ، فتودوروف يرى أن العلاقات الثابتة والمتغيرة يمكن اختزالها في ثلاث محاور وهي كالآتي:

أ ـــــ **الرغبة** : وشكلها الأبرز الحب .

ب ـــ **التواصل** : يتجسد في إفشاء الأسرار ومكنونات النفس إلى الصديق .

ج ـــ **المشاركة** : وشكل تحققها هو المشاركة والمساعدة[1] .

انطلاقا من هـــــذه المحاور الثلاثة يتبين أن الرابط بين الشخـــصيات والعلاقـــات ومحور الحوافز علاقة وطيدة ليس من السهل فصل عراها.

وعليه فعالم الشخصيات عند "تودوروف" ينهض على ثلاثة مفاهيم أساسية وهي :

1 / المحمولات كمحمول وظيفي تضبطه الأفعال (أحب ـــ أسر ـــ أرغب) .

2 / مفهوم الشخصيات وينشطر إلى شطرين إما فاعلة أو موضوعا للأفعـــال ، وقـــد أطلق عليها "تودوروف" مصطلحا عاماً وهو فاعـــل Agent ، للعلـــم فـــإن الفواعـــل والحوافز وحدتان

ثابتتان في العمل السردي .

3 / قواعد الاشتقاق التي تصف العلاقات بين المحمولات المتباينة

[1] ـ يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفارابي ، بيروت ـــ لبنان ، ط01 ، 1990 ، ص 51 ـ 52 .

هـــــذه المفاهيم الثلاثة ستبقى جامدة تحمل صفة الثبات ، وقد اقترح "تــودوروف" سلسلة جديدة أسماها قواعد الفعل تمييزا عما سمي بقواعد الاشتقاق ، وتعمل هـــــــذه القواعد على تنظيم وضبط سيرورتها حتى تتمكن من تحديد ما ستؤول إليه الحكاية[1].

5 ـــ فيليب هامون: Philipe Hamon

أفاد "فيليب هامون" من أراء كل النقاد الـــــذين سبقوه ، وقد قدم مقالا ضـــمنه مفهـــوم الشخصية الروائية، ويعد هـــــذا المقال توضيحا لرؤيته، وهو بعنـــوان : "مـــن أجـــل قانون سيميولوجي للشخصية" Pour un Statut sémiologique personnage ، من خلال هـــــذا المقال ظهرت نقاط التقاطع والتأثر بآراء سابقيه .

يرى "فيليب هامون" أن الشخصية عبارة عن "مورفيم " فارغ يمتلئ تـــدريجياً عـــن طريق القراءة كلما تقدم القارئ نحو النهاية فالشخصية عنده :

أ ـــــ مقولة أدبية ، مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالوظيفة النحوية التي تقوم بهـــا الشخـــصية داخل النص ، أما الوظيفة الأدبية / الفنية فتتولد من مقاييس الثقافة والجمال .

ب ـــــــ بعض المفاهيم المعنوية كـــــ " الجمال " و " الحب " و " التعـــاون " تعتبـــر شخصيات وذلك عن طرق أنسنتها.

ج ـــــ يساهم القارئ في بناء الشخصية فيعيد بناءها ، كما يقوم النص ببنائها[1] .

[1] ـــــ عبد العالي بوطيب : مستويات دراسة النص الروائي ، ص 103 .

شبهت الشخصية ببياض دلالي أو بشكل فارغ يمتلأ بتراكم النعوت والأوصاف والأفعال والتصرفات ، لكن كل هذه المواصفات لا تشكل صورة كاملة للشخصية ، بل لابد من إضافة العلاقات والروابط التي تقوم الشخصية بنسجها في النص[2] .

إذن فمفهوم الشخصية مفهوم تراكمي ، يتكون عن طريق التقدم في القراءة وجهود القارئ في البناء ، وبهذا تتحدد ملامحها عند انتهاء الحكي.

أثنى الكثير من النقاد على الدراسة التي قدمها "فيليب هامون" ، لأنها قائمة على أسس تنظيرية وإجرائية واضحة المعالم ، تنزع إلى استبعاد الغموض ، ذاك الغموض الذي كان السمة الغالبة في المناهج النقدية التقليدية / السياقية ، كالمنهج التأثري النفسي والتاريخي والاجتماعي.

صنّف "فيليب هامون" الشخصيات إلى ثلاث فئات وهي :

1 ــ فئة الشخصيات المرجعية : (الشخصيات التاريخية ،الشخصيات الأسطورية، والشخصيات المجازية ، والشخصيات الاجتماعية)، وكل هذه الأنواع تكيل إلى معنى ثابت تفرضه ثقافة يشارك القارئ في تشكيلها.

---

[1] ــــ فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا أنموذجا) ، ترجمة : سعيد بنكراد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط01 ،2003 ، ص08 .

[2] ــــ عبد العالي بوطيب : مستويات دراسة النص الأدبي ، ص 47 .

2 ـــ الشخصيات الواصلة الناطقة باسم المؤلف : وأكثر ما تعبر عن الرواة والأدباء والفنانين .

3 ـــ الشخصيات المتكررة ذات الوظيفة التنظيمية : وهي التي تبشر بخير أو تنذر في الحلم[1] .

أشار "فيليب هامون" Philipe Hamon من خلال تصنيفه أن بإمكان شخصية أو عدة شخصيات أن تنضوي تحت مضلة الفئات الثلاثة في آن واحد، لذلك استنبط من هذا التصنيف تفيد الدارس أثناء تحليل الشخصية والوقوف على معالمها وهي : مدلول الشخصية ، مستويات وصف الشخصية ، ودال الشخصية[2] .

وهذا ما يلخصه قوله : " إن الشخصية وحدة دلالية ، وذلك باعتبارها مدلولا لا متواصلا، ويفترض أن هذا المدلول قابل للتحليل والوصف ، وأن هذه الشخصية تولد من وحدات المعنى ، ومن خلال جمل يتلفظ بها غيرها "[3].

---

[1] ـــ محمد عزام : شعرية الخطاب السردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2005 ، ص 11 .

[2] ـــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992 ،ص 213 .

[3] ـــ فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص 26 .

من المفيد إرجاع وضوح دراسة "فيليب هامون" Philipe Hamon إلى اكتمال الرؤية والاستفادة من الدراسات السابقة، واستثمارها فيما قدم من مفاهيم وتصنيفات كانت بمثابة حجر الزاوية في منهجه .

ثالثا ــ أبعاد الشخصية الروائية :

للتعريف بالشخصية الروائية يلجأ السارد إلى إضاءة ثلاثة أبعاد مهمّة وهي :

01 ــ البعد الفيزيولوجي / الجسمي :

في هذا البعد يقدم السارد صورة للشخصية، فيحاول رسمها، فيصف " طولها وقصرها ونحافتها، ولون بشرتها والملامح الأخرى المميزة"[1] ، كما يهتم أيضا بتحديد " الجنس (ذكر أو أنثى) وفي صفات الجسم المختلفة , من طول وقصر وبدانة ونحافة ... وعيوب وشذوذ قد ترجع إلى وراثة أو إلى أحداث "[2]، وعن طريق الرسم الذي يقدمه السارد، يَرسخ في ذهن المتلقي / القارئ صورة معينة لكل شخصية من الشخصيات ويتفاوت الروائيون في درجة إقناع القارئ / المتلقي بالصورة التي رسموها لشخصياتهم، فمنهم من ينجح في ذلك ومنهم من يخفق، وهناك من يكون بين هذا وذاك.

[1] – عزيزة مريدن : القصة والرواية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1971 ، ص 25 .

[2] – محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة ، د ط ، 2001 , ص 573.

02ـ البعـد السوسيولـوجي / الاجتماعي والبعـد الثقـافي :

يتمثـل هـذا البعد في " ... انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعيـة، وفـي عمـل الشخصية ، وفي نوع العمل ولياقته بطبقتها في الأصل ، وكذلك التعلـيم وملابـسات العصر، ثم حياة الأسرة في داخلها، الحياة الزوجية والمادية والفكرية ، وصلتها بتكوين الشخصية ويتبع ذلك الدين والجنسية والتيارات السياسية والهوايات السائدة في إمكـان تأثيرها في تكوين الشخصية"[1].

كما يركز السارد في بناء هذا البعد على الجانب الثقافي ، ويظهر المنابع التي تنهل منها كل شخصية لتكّون لنفسها كياناً مستقلاً بذاته ، فمن خـلال هـذا البعـد تتـضح الفروقات بين من يتسلح بثقافة تراثية ومن يستند إلى ثقافة معاصرة وبين من يدمج بين الثقافتين ويظهر أيضا في البعد الثقافي المستوى العلمي للشخـصيات ، وتطفـو علـى السطح انتماءاتهم الإيديولوجية واهتماماتهم الاجتماعية والثقافية بشكل عام .

03 ـ البعد السيكولوجي / النفسي :

يعتبر هذا البعد " ثمرة للبعدين السالفين في الاستعداد والسلوك والرغبات والآمـال والعزيمة والفكر، وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها يتبع ذلك المزاج من انفعال وهـدوء، ومن انطواء وانبساط، وما وراءهما من عقد نفسية محتملة "[2]، فعنـدما يهـتم الـسارد

[1] – المرجع السابق : ص 573 .

[2] – المرجع نفسه : ص 573 .

بوصف طباع الشخصية وتصرفاتها وردود أفعالها في مختلف المواقف ، يكون بذلك قد "... تناول نفس الإنسان و ذهنيته ، النفس وما تتألف منه من مشاعر وعواطف ومطامح وآلام، والذهن وما يقوم به عادة من تأمّل في الكون والناس "[1].

"... هذه الأبعاد الثلاثة مجتمعة لا قيمة لها إلاّ إذا كانت تحت مظلة القدرة الفنية التي تربطها رباطاً وثيقاً بنمو الحدث الشخصيات"[2].

إنّ كلّ بعدٍ من هذه الأبعاد يساهم في تحقيق تماسك النص الروائي ، وتبليغه الغايات التي يصبو إليها ، فعن طريق الشخصيات يستطيع السارد أن يعرض الأفكار ويصوّر مدى تقاربها وتباعدها و تصادمها في المبادئ والأهداف ، كما تساهم هذه الأبعاد مجتمعة في تحفيز ذهن القارئ / المتلقي في المشاركة في رسم صورة ذهنية لكل شخصية.

رابعا ــ تقديم شخصيات الثلاثية وتوضيح الأبعاد المشكّلة لها :

أ ــــ أبعاد شخصيات رواية الخندق الغميق :

ــ الشخصيات الرئيسية :

01 ــ سامي :

[1] – محمد مصايف : النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، د ط ، د ت ، 1971 ، ص 59

[2] – محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث , ص573 .

شخصية محورية في الرواية ، تسير مع أحداث الرواية وتنمو معها ، ففي بداية الرواية كان طفل صغير يدرس الابتدائية تطور شيئا فشيئا إلى أن صار شابا يافعاً يدرس في الجامعة، هو من فتى من فتيان بيروت ويقطن في حي من أحيائها العريقة ، "حي الخندق الغميق "، " كانوا يحبون الخندق الغميق ويعتبرونه حيّهم ، ويجدون فرحة كبيرة في سلوكه هبوطا وصعودا"[1] ...

" كان يهبط مع صبية الحي بزهو وخيلاء "[2] ، "شارع الخندق الغميق الذي لم يكونوا يفهمون لماذا سمي بهذا الاسم ، وإن كانوا قد لاحظوا أنه ينتسب " سامي" لأسرة محافظة متمسكة بتعاليم الدين الإسلامي، فوالده من شيوخ المنطقة ، كان والده يحرص على إقامة مأدبة عشاء في منزله للمشايخ مرة كل شهر ، ويتبع هذه المأدبة بعض الطقوس الدينية من تلاوة القرآن وقراءة والأذكار وما تبعها "... فيقرأ أحدهم القرآن، ثم يتلو آخر بعض السيرة النبوية، ويشترك الجميع بعد ذلك بالقراءة في كتاب صغير مذهّب الحواشي، مجلد تجليداً أنيقاً، يوزّع نسخة على الجماعة رجل كان يحمله في صندوق خاص ، يخرجه منه ويعيده إليه بكل تؤدة ورفق ..."[3]، نشأ سامي الصبي الصغير في هذه الأجواء الدينية التي تقام لها سهرات كل جمعة ومأدبة كل شهر،

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق (رواية) ، دار الآداب ، بيروت / لبنان ، ط 06 ، 1993 ، ص 13

[2] ــ المصدر نفسه : ص 12 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 08

وشارك في بعض طقوسها " ...وقد فوجئ في إحدى السهرات بنسخة من هذا الكتاب ، وضعها ذلك الرجل بيده وهو يقول له:

ــ حاول أن تقرأ معنا ...

ففتح الكتاب الأنيق بيد ترتجف وقرأ عنوانه على الصفحة الأولى (دلائل الخيرات) ثم راح يقرأ بعينيه ما كانوا يرتلونه ترتيلا فيعجز عن إدراكهم ، ويرفع بصره أحيانا عن الكتاب ، إذ يعلو صوت ذلك المقرئ ذي النظارتين الذهبيتين بترتيل دقيق رائع كان يحسّ بغموض أنّما فيه من الإرنان يشبه ما في نظارتيه من الإشعاع ...وحين أقبل صاحب الصندوق يستردّ منه الكتاب ، ظلّت أصابعه منه رعشة ، وفي عينيه ظلال ، وبات يترقّب ليلة الجمعة التالية ، ليعيش مرّة ثانية ذلك الجو الذهبي العجيب ..."[1].

كل هذه الأجواء الإيمانية الروحانية اندمج فيها سامي بدافع الفضول وشغف الاكتشاف وإذا به يميل كل الميل لهذا العالم " وقد فاجأه أبوه يوما في غرفته يترنّم ببعض كلمات من (دلائل الخيرات) كان ذلك المقرئ قد غنّاها في الليلة السابقة غناءً عذباً ، فأقبل عليه مندهشاً يقول : ــ إنّ لك صوتاً جميلاً يا عفريت !

ثم جلس وأجلسه إلى قربه ، وجعل يقرأ بعض الآيات بصوته الخافت الرقيق ، حتى إذا انتهى ، أعطاه المصحف، وطلب إليه أن يعيد تلاوة ما قرأ ، وأخذ يتابعه ويشجّعه ويصحّح له قراءته .وما لبث أن ضمه إلى صدره وقبّله في جبينه وقال له :

[1] ــ المصدر السابق : ص 08 ــ 09 .

الله يرضى عليك ..يجب أن تحفظ عشراً من القرآن ، ترتّله في سهرة ليلة الجمعة القادمة، وسوف أكافئك على ذلك ! ..."[1]

بمثل هكذا مواقف ألمح سامي لوالده بأنه رغم حداثة سنّه لكنه يرغب في الانخراط في الحياة الدينية ، إلى جاء اليوم الذي كان ينظره الوالد بحيث صرّح له سامي بأنه يريد أن يصبح شيخاً ، وكان هذا التصريح بعد وعيه بالسلطة والهيبة التي يمتلكها الشيوخ " ...هرع إلى أبيه يستقبله بلهفة ويقبّل يديه مرّات ثم يقول له :

أبي أرجوك ...أرجوك ...أرجوك يا أبي...إنّي أريد أن أصبح شيخاً..."[2].

كان هذا الرجاء الذي تقدّم به سامي لوالده الشيخ هو خطاب صريح للاندماج الكلي في حياة المشيخة بكل أتعابها التي تغيب عن ذهن سامي الصغير .

وهكذا خطّى سامي بيديه مساره وتحت ترغيب الأب وجد نفسه طالبا في" المدرسة الدينية " ذات النظام الداخلي الصارم " إنّه منذ هذه الليلة طالب داخلي في هذه المدرسة الدينية ، ألم يختر هو نفسه هذا المصير؟"[3]، " ... لقد حاولت أمّه أن تثنيه ، وقالت له إن ذلك سيكون قاسيا عليه ، وإنّه قد لا يحتمل الحياة الدينية ، وهو بعد في تلك السن ، وحين قالت لأبيه :

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 09 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 18 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 19 .

ــ ألا ترى أنّه لا يزال صغيراً ؟

أجاب أبوه : ــ هذا أفضل...ثمّ لا حيلة لنا بالأمر ...لقد قدّر الله عليه ، وكتب على جبينه أن يصبح شيخاً ...مثل أبيه.

وصمت لحظة وأردف : ــ وهذا فخر له...أليس كذلك يا سامي ؟

والتفت إليه يسأله بعينيه ، فأجابه من غير تردّد : ــ بلى يا أبي ...إنني أريد أن أصبح شيخاً ..

فأشرق وجه أبيه ، ثم شدّه إلى صدره وقال له : ــ الله يرضى عليك يا سامي ...ألا تعرف القول المأثور : (العمامة تاج العرب)؟

فهزّ برأسه ، ثمّ أغمض عينيه وأخذته نشوة . سوف يحصل هو أيضاً على هذا التاج . سوف يعتمر به "[1].

" ...كان سامي في طفولته نزّاعاً للانضواء تحت لواء الأب ، وقيم المجتمع الأبوي ، وقد سعى صادقاً إلى الاندماج في عالم أبيه الشيخ ، واستبطان قيمه ، وأنمت هذه النزعة عنده مغريات كثيرة "[2]

[1] ــ المصدر السابق : ص 20 .

[2] ــ جورج أزوط : سهيل إدريس في قصصه ومواقفه ،(أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة)، إشراف : جبور عبد النور دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1989 ، ص 20 .

ولعلى الهيبة والسلطة التي يتمتّع بها الأب كانت من تلك المغريات ، إضافة إلى تلك المأدبة التي يقيمها والده شهريا في البيت وتحوطها أجواء روحانية إضافة إلى الأطباق الشهية التي تبسط فوق ذاك البساط ليلتهمه المشايخ ، وقد كان الصبي سامي يتوق للجلوس مع المشايخ حول ذاك البساط " ...كانّ واقفاً خلف الباب المشقوق ، يسترق النظر إلى القاعة التي مدّ فيها البساط ، واكتمل حوله عقد الجماعة متربعين على الأرض ...وظلّ واقفاً خلف الباب المشقوق ينظر إليهم وقد بدأوا يأكلون وإلى أيديهم ترتفع من الصحون إلى الأفواه ...ومضت دقائق فإذا الصحون كادت تفرغ ، وإذا الآكلون ينهضون وهم يتجشّأون ويحمدون الله ويدعون لأبيه بأن يظل بساطه ممدوداَ ودعواته دائمة بالأفراح..."[1] .

كلّ هذه المظاهر تضاف إلى هيبة المشيخة كانت بالنسبة لسامي حافزا مغريا لاكتشاف حياة المشيخة ،لكن الحياة الدينية القاسية على سامي الصبي الصغير ، غيرت نظرته شيئا فشيئا فليس من السهل عليه أن ينهض كل يوم في ساعة مبكرة و يتوضأ بالماء البارد ويستعد لقراءة ورد وحفظ جزء من القرآن وحضور حلقات دروس الفقه والتفسير والسيرة النبوية وهو شبه نائم ، إضافة إلى صرامة المدير والناظر والشيوخ . اكتشف سامي في فترة انتمائه للمدرسة الدينية بأنّه أكثر ميلاً لحضور حصة الأدب العربي وحصة اللغة الفرنسية ، وقد كان له رأيه الخاص في ما يقدمه له الشيوخ في

[1] ــ المصدر السابق : ص 07 .

تلك المدرسة ، تفكير مبني على نظرة عميقة " ... وفكّر ساعة بأنّ الأساتذة الذين كانوا يدرّسونهم لم يفقهوا من الدين إلاّ قشوره ، وأنّ كثير منهم يردّدون الأقوال كالببغاوات ، وأنّهم جلّهم لا يملكون أيّة ثقافة تمكّنهم من إلقاء دروس مفيدة،فهم من الشيوخ الذين درسوا في الكتاتيب وتلقّوا العلم على مشايخ الطرق واختزنوا رصيداً كبيراً من الخرافات والأساطير التي استقوها من الكتب الصفراء ..."[1] .

شخصية سامي تبدو شخصية إيجابية ولها رؤيتها الخاصة في كل ما يدور حلولها ، وإذ وبمجرد اكتشافه لعالم المشيخة وقساوة الحياة الدينية " ...حتى أحسّ بأنّه ينفصل رويداً رويداً ليخلق لنفسه جوّاَ خاصّاً يعيش فيه الأدب والمطالعة ، ويأخذ يكتب بعض الأقاصيص يستمدّ حرارة الأحداث فيها من معين قلبه ...وأرسل بعض أقاصيصه إلى تلك المجلّة المصريّة التي كان صديقه عزيز ينشر فيها ، فظهرت له قصّتان ..."[2]،كما كانت له محاولات جادة في ترجمة نصوص أدبية من اللغة الفرنسية[3] .

التمرّد على الحياة الدينية عند سامي ، بدأ بنفوره للمشايخ وروتين الدروس التي يقدمونها تلقينا دون نقاش ، وصادف أن عشق في تلك الفترة فتاة اسمها " سميا" ، التقى بها في المصيف لما كان رفقة أهله ،كانت بالنسبة له هي الحياة أحبها كبيرا وحتى بعد

[1] ــ المصدر السابق : ص 91 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 91

[3] ــ المصدر نفسه : ص 67 .

رجوعه للمدرسة الدينية ظل يراسلها وتراسله ، وحدث يومـــا أن تفاجـــأ"... بالنـــاظر يستدعيه إلى مكتبه ، ويطلب منه أن يغلق الباب خلفه ، فيفعل وهـــو يـــوجس خيفـــة ، وصمت الناظر لحظة قبل أن يتناول عن طاولته رسالة يبسطها وهو يقول :ـــ هـــذه الرسالة لك ...وقد فتحتها كما تقضي بذلك قوانين المعهد...وهي من فتاة لم تكتـــب إلا الحرف الأول من اسمها (س) ...وخفق صدره ، والتهبت وجنتاه ، وأخذ ينظـــر إلـــى الرسالة بلهفة سرعان ما تنقلب إلى خوف إذ يتطلّع إلى الناظر فيجده قاســـي العـــين ، جامد القسمات .ومدّ يده إليه، فقال له الناظر :ـــ مهلا..ســـوف أعطيـــك إياهـــا هـــذه المرة...ولكن يجب أن تعلم أنّ مثل هذه الرسائل محرّمة هنا ، وأنهـــا لا تـــسلم إلـــى أصحابها ، بل يجب أن تعرف أكثر من ذلك : إن الطالب الذي يتلقّى مثل هذه الرسائل مهدّد بالفصل !

وتوقّف الناظر لحظة ثمّ أضاف :

ـــ إنّ الطالب هنا للدراسة ، لحفظ القرآن والحديث والفقه ، لا للخفّة والطيش والحـــب !"[1]

وبعد كلام طويل كان فحواه كله لوم وتهديد وتنديد من الناظر " آثر أن لا يـــردّ علـــى الناظر بشيء ، وظلّ يترقبه حتى مدّ له الرسالة وهو يقول :

ـــ إنني أنذرك يا شيخ سامي وقد أعذر من أنذر ! "[1]

[1] ـــ المصدر السابق : ص 88 ـــ 89 .

سامي الفتى المقبل على الحياة كان يرى أنّ كل هذه المضايقات تدفعه دفعا للابتعاد عن الحياة الدينية ، وقد كان بين الفينة والأخرى يذهب في عطلة الأسبوع خلسة هو وصديقه للسينما[2] ، وطبعا ما كان ليذهب للسينما بزيه الديني (الجبّة والعمامة) ، بل يخلعهما قبل مغادرة البيت خلسة عن أهله ويرميهما تحت الأريكة حيث الغبار ، وحدث أن تفطن له والده ذات ليلة وهو " ...ينفض عن جبته بعض الغبار الذي أدركه ..وكان يعلق عمامته على المشجب ، حين سمع صوت أبيه يقول في غيظ مكبوت كأنّما يودّ ألتّ يوقظ أحداً :

ــ لعنك الله وغضب عليك ! يا خيبة أملي فيك ويا ضيعة رجائي ! ثمّ أقبل عليه يهزّه من كتفه وسائله :

ــ أين كنت؟ كنت تذاكر مع رفاقك وتحفظ القرآن ؟ إن القرآن براء منك ! كنت ولاشكّ في مكان مشبوه ، أليس كذلك؟

ورفع رأسه إلى أبيه وهزّه بالإيجاب ...فإذا أبوه يدفعه بيده دفعة قوية وهو يقول له :

ــ اذهب الآن فنم...وسوف يكون حسابك عند الصباح عسيراً بئس الابن أنت!"[3].

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 89

[2] ــ المصدر نفسه : ص 50 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 51 .

لم يتوقف اللوم والتعنيف عند والده فقط ، بل إن ناظر المعهد الديني عنفه هو ورفاقه " ...وبادرهم بأنّه علم ما ارتكبوه بالأمس ، وبأنّه لن يرفع قضيّتهم إلى رئيس المعهد ، وإنّما سيكتفي بتحذيرهم وتوبيخهم ...وانذرهم بالطرد إذا قصدوا السينما مـــرّة ثانيـــة ، ووصف السينما بأنّها بؤرة فساد وإفساد وأنّها تعلّم الرذيلة وتدفع إلى الموبقات ..."[1] .

كلّ هذه القيود كانت كفيلة بأن تدفع سامي في إعادة التفكير في صياغة خطة مستقبله ، فالحياة الدينية بالنسبة له صارت عبارة عن كبت وحرمان من أبـــسط ملـــذات الـــدنيا ومتعها ، فالعشق ممنوع والسينما محرمة ، صار يشعر أنه يعيش حياة الرهبنة .

وانطلاقا من كل هذه التضييقات " ..عزم يوماً على أن يستعدّ لتقديم امتحـــان الـــشهادة الثانوية الحكومية إلى جانب دراسته الدينيّة . وأنفق الأيام والليالي يعاني من صعوبات الدروس العلميّة . ولا يأوي إلى فراشه إلاّ وقد أحسّ بالإرهاق في جسمه والألـــم فـــي عينيه.ولكنّه كان على يقين من أنّ ذلك وحده سينقذه ..."[2] .

الحياة الدينية التي كان سامي الفتى الصغير شغوفاً بها ، صارت تؤرّق سامي الفتى اليافع سامي الشاب المقبل على الحياة ، وكان أجرأ الخطوات التي قـــام بهـــا ســـامي لرفض الحياة الدينية هو خلعه للزي الديني (الجبة والعمة)، وتحمّل ثورة الجميع ضـــدّه بدءاً بوالده وانتهاء بأبناء الحي " إنّ الحي كلّه سيثور الآن لهذا العمل .فهـــو يتحـــدّاهم

[1] ــ المصدر نفسه : ص 54 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 95 ــ 96 .

أعنف التحدي وأبشعه .لقد باركوه حين ارتدى العمّة والجبّة ، ووثقوا به واطمأنوا إليه ، على حداثة سنّه وقلّة تجربته . بل عدوه دعامة من دعائم المحافظة التي يتّسمون بها ...أمّا الآن فلا بدّ أن يجتمع بعض رجال الحي ليتداولوا في الأمر ..ومن يدري فربّما أصدروا قراراً بنبذ هذا الفتى الزنديق الذي تحدّاهم وخرج عليهم ، فهو لا يستحقّ أقلّ من النفور والتحذير... "[1] .

بادره مؤذّن المسجد قائلا : " يا شيخ سامي ...أين الـ ..جبّة والـ...

فلم يدعه يتمّها ، بل انفجر فيه : لقد خلعتهما ! قالها بإصرار وقوّة ، ولبث ينظر إلى المؤذّن بإحداد ، ثم انصرف عنه لا يلوي ...ووقف يتحفّز للوثوب إلى الترام الذي كان قادماً في تلك اللحظة من بعيد ...حتّى إذا استقرّ في الحافلة نظر حوله مبتسماً ببلاهة ، ثمّ تنفّس الصعداء .يا إلهي ! كم أثقلت الجبّة والعمّة جسمي ! ..ومع ذلك ، فهو يحسّ الآن بأنّ جسمه يستردّ رويداً رويداً خفّته وسرعة حركاته ، كما كان منذ سنوات في عهد الحداثة الأولى .أليس صحيحاً بعد كلّ حساب ، أنّه قد شاخ ، طوال هذه المدّة ، وهو لم يبلغ العشرين بعد؟ ألم يصبح من الشيوخ ، حين أصبح من المشايخ ؟..."[2]

[1] ــ المصدر نفسه : ص 100.

[2] ــ المصدر السابق : ص 101 .

في مواجهة بين سامي ووالده الذي يريد إرغامه على الحفاظ على ارتداء الجبة والعمامة قال :" ...سأخلعهما بعد اليوم ..ولن أرتديهما أبداً ...لا أستطيع أن أرتدي الجبّة والعمّة بعد ...إنّني أختنق بهما..أختنق ...أختنق ..."[1] .

أعلن سامي تمرّد وخروجه عن سلطة الأب ، ولكنه لم يخرج عن سلطة المجتمع الأبوي الذي يطوّقه، وهكذا فهو يستخدم خلافاته مع أبيه بمحاولة التعديل أو الإصلاح في القيم

الاجتماعية السائدة ، لكن الأمر لم يصل أبدا إلى الثورة الكلية[2] .

الشهادة الثانوية بالنسبة لسامي هي وثيقة رسمية لعتقه النهائي من الحياة الدينية و المشيخة التي أثقلت كاهله " ...كان يحسّ ببعض الراحة وهو في مقعد الامتحان .لابدّ أن ينجح وسوف تنقذه الشهادة ستشقّ أمامه أفقاً جديداً .أمّا إذا سقط فإنّ هذه الجبّة ...[3].

بانشقاق سامي عن والده صار لزاماً عليه تحمل مسؤولياته بذاته دون الاعتماد على والده كما سبق ، وهذا كان قرار والده لما أخبره سامي عن عزمه في الالتحاق بإحدى الكليات بعد انقضاء الصيف لكي يتمّ دراسته المدنية ، الوالد وأمام رغبة ابنه الجامحة

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 111 .

[2] ــ جورج طرابيشي : عقدة أوديب في الرواية العربية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان ، ص 290 ــ 291 .

[3] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق ، ص 101 .

في الالتحاق بالتعليم المدني رفض "...رفضاً جازماً بأن يدفع له أيّ قسط من أقساط المدرسة أو أن يهتمّ بشؤونه أيّ اهتمام "[1] .

هذا الرفض الأبوي لمصير اختاره سامي بذاته وهدف خطط له بنفسه، لم يضعف عزيمته بالعكس دفعه للاعتماد على نفسه والبحث عن مصدر يوفّر له مصاريفه الخاصة " ... وكان له قريب يملك صحيفة يومية ، فقصده يعرض عليه قضيّته ، ومدّ له يد المعونة ، فألحقه بجريدته يقصد مكاتبها أصيل كل يوم فيقضي فيها بضع ساعات يتدرّب على ترجمة بعض المقالات وعلى تصحيح التجارب والتقاط الأنباء من الراديو ..."[2].

كان سامي بعمله الصحفي في هذه الصحيفة اليومية يأمل " ...أن يجمع قبل كل شيء مبلغاً من المال يوازي قسطه المدرسي القادم ، فعزم أن يدّخر ما يحصّله في الصحيفة من راتب ، لا ينفق منه قرشاً "[3].

سامي جسّ نبض ذاته وعرف بأنّه أدبي بالفطرة لذلك رفض الحياة الدينية جملة وتفصيلاً، بالإضافة إلى ذلك اتسم سامي بالثقة العالية في النفس ..ثقته بما يكتبه وما يبدع دفعت به أن ينشر أقاصيصه في الصحف والمجلات " ...وتشجّع يوماً ، فأرسل

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 115 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 115 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 115 .

إلى الإذاعة الحكومية قصّة عاطفية كان قد كتبها ، ففوجئ بأنّ الإذاعة قد قبلت القصّة وعيّنت له موعد إذاعتها في إحدى الأمسيات"[1].

برزت نشاطاته الإبداعية أكثر في الصيف الذي انفصل فيه عن المدرسة الدينيـــة " ..وكان يحسّ ، وهو يستعجل قدوم العام الدراسي استعجالا ، بأنّ أواخر الصيف تتباطأ وتثقل عليه حتى يحسب أنّها لن تنتهي ، وكان يستشعر شوقاً يبلغ حدّ اللهفـــة إلـــى أن يلتحق بتلك الكلية ليتابع على مقاعدها آخر مراحل الدراسة الثانوية...وكان يمنّي نفسه بأن يجد في تلك الدراسة متعةً كان محروماً منها في الدراسة الدينية الثقيلة..."[2].

التحق بالكلية يوم الافتتاح " ... وجلس في قاعة الصف ، التفت حوله ينظر إلى رفاقه الجدد فيحسّ نشوة قاسية في ضلوعه ويشعر أنّ روحاً جديدة تسري في كيانه ، فتبعث فه إحساسا الصّبا والفتوّة وتستخفّ بفكره وخياله ..لقد حرم أن يعيش في هـــذا الجـــو سنوات ، وألقي في جوّ يفرض رصانة كانت تثقل عليه كالكابوس وتخلق لـــه شـــعوراً عنيفاً بالغربة ..وإنّ به الآن لهفة إلى أن يسوق حياة هؤلاء الرّفاق ، بما فيها من خفّـــة وعبث ، وأن يرتع في جوّ من الأحلام والآمال مطلق من كل قيد ..." [3] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 116 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 122 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 122 .

رفض سامي قيود حياة المشيخة والتعليم الديني ليستبدلها بحياة الكتابة الإبداعية والصحفية والدراسة المدنية ، ما يميزّ سامي هو وضوح خطته وهدفه بعد هذه النقلة ، بحيث لم سار في المسار الذي يضمن له النجاح والارتقاء بذاته أدبيا " ...إنني أحبّ الصحافة وأومن برسالتها وأتمنّى يوماً أن أكون صاحب صحيفة أؤدي فيها عملاً مفيداً لبني قومي ...ولهذا تساورني رغبة شديدة في أن أسافر إلى فرنسا لدراسة الصحافة العام القادم ..."[1] .

كان سامي يقول هذا الكلام وكأنّه يقرأ صحيفته المحفوظة في ظهر الغيب ، فبالفعل سافر في تلك السنة إلى باريس ليحقق طموحاته وأحلامه الدراسية وليكتشف عوالم الآخر/الغرب بالعيش في بلده وخوض غمار التجربة ذاتياً ، وهذا ما نجد له تتمّة لبنية شخصية سامي في الرواية الثانية من الثلاثية والموسومة بـ (الحي اللاتيني).

02 ـ الأب :

تجلّت صورة الأب في صورة شخص له النفوذ بفعل السلطة التي يمتلكها داخل المحيط الأسري ، بل حتى خارجه (اجتماعياً) ، فهو شيخ من شيوخ الحي له حضوره القوي بفعل تلك الهيبة الدينية التي سكبها على ذاته .

تسلّطه يظهر في عدّة مواضع من الرواية ، كيف لا وهو الذي صرّح قائلا في مواجهة مع أبنائه "...ليس أباً من يخضع لرغبات أبنائه ، وأنّه هو الذي يفرض إرادته

[1] ـ المصدر نفسه : ص 160 .

ورأيه في هذا البيت ، وعلى الجميع أن يسمعوا ويطيعوا ..."[1]، كان هذا الخطاب الذي وجهه الأب لأبنائه خطاب صريح يبيح لنفسه السلطة الأبوية التعسفية وإلغاء كافة عناصر الأسرة بما فيهم الأم .

انطلاقاً من الهالة السلطوية للأب والتي كرستها الأسرة التقليدية ، مارس الوالد نفوذه الكامل ، حاول الأب في هذه الرواية تجميع القيم القيم التي يؤمن بها ، ثم تسريبها إلى عقول أبنائه " ...راح يستغلّ ما تنطوي عليه شخصيته من قيم دينية ، محاولاً أن يخفي خلف ستار (المشيخة) الدينية قيم ومثل الأسرة التقليدية، التي ظلّ يناضل من أجل ديمومتها وترسيخها في نفوس أبنائه ، الذين يمثلون الجيل الجديد..."[2] .

وكان يرى أن مشيخته لو توارثها أحد أبناؤه عنه لسوف تكون مصدر اعتزاز وفخر بالنسبة له ، فقد كان جوابه على الأم وهي تتوجّس خيفة من الحياة الدينية وصرامتها على ابنه وهو صبي صغير بأن قال لها " ..لقد قدّر الله عليه ، وكتب على جبينه أن يكون شيخاً ..مثل أبيه "[3] ، وقد كان الأب يثني على سامي ويمتدحه، كيف لا

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 157 .

[2] ــ عدنان علي شريم : الأب في الرواية العربية المعاصرة ، تقديم : خليل الشيخ ، عالم الكتب الحديث ، إربد ــ عمان ط 01 ، 2008 ، ص 32 .

[3] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق : ص 20 .

وهو الصبي المطيع المذعن الخاضع لسلطة الأب ، وقد كان هذا الخضوع يرضي الأب كثيرا، فهو يرى ذاته الآمر الناهي الذي لا يحق لفرد من أفراد الأسرة أن يتمرّد عن أوامره.

ظهر الأب في هذه الرواية أبا غير متفهم لجيل أبنائه لذلك كثيرا ما اصطدم بمعارضتهم له رغم خضوعهم الكلي في البداية.

لم يكن " سامي " لوحده في مواجهة الأب التقليدي، بل كان كل أفراد الأسرة ، ف"هدى" مثلا كانت بصدد التخلي عن دراستها بسبب سلطة الأب الرافضة للنقاش والتي تؤمن فقط بتوجيه الأوامر والنواهي ، وقد سردت " هدى " مشاهد من الأوامر التي كانت تتلقاها من والدها وتطبقها على مضض " حين خرجت من المدرسة ، بعد ظهر ذلك اليوم، كنت أوشك أن أعدو في الطريق عدواً ، ولكني حين بلغت منعطف الشارع الرئيسي في حيّنا ، تمهلت في سيري ،خشية أن ألفت إليّ الأنظار ، وأثير الهمسات .والواقع أني كنت أشعر بضيق شديد ، كلّما بلغت ذلك الشارع ، فقد كان أقلّ ما يتوجّب عليّ هو أن أحكم الحجاب على وجهي ، وأن أزرّر معطفي ، وأن أترصّن في مشيتي ..."[1]، ما كانت "هدى" لتراقب ذاتها وخطواتها وهي تسير في الشارع ذهاباً أو إياباً ، لولا تلك الأوامر والنواهي التي كانت تتلقّاها من والدها بأن تغضّ الطرف عند المسير وتحكم الحجاب على وجهها عند المرور في الشوارع الرئيسية ، فالمرأة

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق (رواية) ، ص 104 .

وجهها عورة من منظور الوالد التقليدي ، لكن هذا التضييق والرقابة الأبويّة أخضعته لصراع مرير مع أبنائه ، فكما رأينا مع سامي المتمرّد ، وسنرى شخصية " هدى " أيضا التي حاولت الانعتاق والتحرّر بمساندة أخيها المتحرّر " سامي " .

03 ــ الأم:

بدت صورة الأم في رواية "الخندق الغميق" أنموذجا للمرأة التقليدية الخاضعة لأعراف المجتمع وسلطته، امرأة لا قرار لها في الحياة الأسرية فهمي لا تستشار في الشؤون العائلية ، حتى الأبناء يتهجّمون عليها بالقول ، ومثال ذلك ما تلفّظ به " فوزي" عندما كانت تقدم له نصائحها راجية منه أن يقلع عن شرب الخمر ومعاشرة الراقصات وإنفاق ماله وتبديده في المواخير[1]، كانت الأم تسدي له النصح بدافع الحب الأمومي والحرص على صلاح ابنها ، لكنه ردّ عليها بشراسة تصفها هدى بأنّها شراسة لم تعدها فيه[2] ،حيث ردّ على والدته قائلاً : " إنّ هذه الأمور لا تعنيك .. وخير لك أن تعودي إلى مكانك الطبيعي : المطبخ! "[3].

ردّة فعل الأم كانت برهاناً على خضوعها واستسلامها ، كتمت غيضها وحاولت تجفيف جرحها النازف اثر ما وجهه لها ابنها فوزي ، تصف هدى موقف والدتها بعد

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 142 .

[2] ــ المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

[3] ــ المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

رد أخيها فوزي الذي كان مهيناً وجارحاً " ...وصمتت أمي ، وبانت في عينيها الدموع ، ثم قالت على مهل : ــ إنّي لا أستنزل عليك لعنة الله كما يفعل أبوك ، ولكنّني أدعو لك الله أن يهديك ويمحو شقاءك!"[1] .

لا يقف الأمر عند عقوق الابن واصطدام الأم بتصرفاته وكلامه ، بل إن الاضطهاد والاحتقار كانت تستقبله من شريك حياتها / زوجها ، الذي كان مثالا للرجل الشرقي الكلاسيكي المتسلّط الذي لا يرضى للمرأة أن تشاركه الرأي أو القرار فهي بمثابة الجارية التي امتلكها بموجب عقد الزواج وتوثّق أكثر بميلاد الأبناء ، كانت الأم / الزوجة تعاني قهرا واضطهادا جرّاء تصرفات زوجها الاستفزازية وكانت تصبر وتتحمّل فالمرأة طالما جسّدت دور المضحي من أجل الحفاظ على تماسك العائلة ، بل كانت تحاول باستمرار إرضاء زوجها والسهر على راحته ، فهي فضلت عدم إخبار الوالد/ الزوج بما يقترفه الابن (فوزي) من انحرافات خلقية " ..أية دناءة هذه! لقد كان من واجبي أن أروي لأبيك كلّ شيء قبل سفره ، ولكنني لم أرد أن أغضبه ولا أن أخيّب رأيه فيك ..."[2] .

هذا الوفاء والإخلاص الذي تبذله الزوجة يقابله الزوج بخيانة ظهرت في زواجه على أم البنين ، وقد أخبرها بذلك بعد غيبته التي امتدت أسبوعين في مدينة "حلب" السورية

[1] ــ المصدر نفسه : ص 142 ــ 143 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 142 .

، هذه المدينة التي انقطع عن السفر إليها منذ أشهر بعد أن ضعفت علاقاتــه التجاريــة فيها، قبل سفره تساءلت الزوجة قائلة له : " ــ ولكن أمورك التجارية هناك قد انتهــت على ما أخبرتني، فما الذي تنوي أن تفعله؟

ــ أودّ أن أجدّد أشغالي التجارية ، والفرصة الآن مناسبة .

ــ وهل تتأخّر كثيراً هناك ؟

ــ لا أدري..ولكن أرجو أن تذكري أنّ جوّ هذا البيت لا يغريــني كثيــراً ..وانّ مــن الأفضل التغيّب عنه أطول مدّة ممكنة !

.....

ــ إنّ هذا البيت بيتك ، وهؤلاء الأولاد أولادك ، وقد ربّيتهم أنت ولا بــدّ أن تتحمّــل معي تبعتك هنا "[1].

كان هذا جزء من حوار طويل حدث بين الزوج وزوجته قبل سفره ، ولكن بدل أن يكون صادقاً في مقصده من السّفر ، كذب عليها وهو الشيخ الذي يعتبر نفــسه قــدوة لأبنائه وهو الناطق باسم الدين .

بعد العودة من غيابه أخبر زوجته بالحقيقة ، تقول هدى ناقلة/ ساردة المشهد " كانت الساعة الحادية عشرة ، تلك الليلة ، حين استيقظنا جميعاً مذعورين على صوت صرخة عظيمة طويلة تنبعث من غرفة أبوينا.

[1] ــ المصدر السابق : ص 141 .

والتقينا ، ثلاثتنا ، عند باب الغرفة ، وقد طار النوم من عيوننا ، وهي ما تفتأ تنتحب وتطلق صرخات صغيرة متقطّعة ..وظلّ هو يشدّها من ويقول :

ــ اسكتي ! ..كفّي عن الصراخ!.. ما دخل الأولاد في ذلك ؟

ولكنّ أمي انفجرت تقول موجّهة إلينا الكلام :

ــ تعالوا اسمعوا .. تعالوا انظروا ما فعل أبوكم ..تعالوا !

ثمّ أرسلت ولولة طويلة وهي تقول :

ــ يا خراب بيتي وبيتكم يا أولادي يا خراب بيتنا !

ولكن أبي سارع إليها يضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ ، ثمّ صاح :

ــ كفى زعيقاً ليس هناك خراب بيوت ولا يحزنون ..سيظلّ هذا البيت عامراً بإذن الله ..

فردّت أمي بصوت مرتفع : ــ بل هو قد خرب بإذن الشيطان .

وعادت تلتفت إلينا وهي تقول جاحظة العينين :

ــ أتعرفون ماذا فعل أبوكم ؟ آه ..إنني أكاد أختنق ..لقد تزوّج عليّ ..لقد تزوّج امرأة أخرى!

وانفجرت تبكي بكاءً متفجّعاً لائعاً تحوّل معه ذعرنا إلى حنــق وغــيظ شــديدين . وأخذنا نتبادل النظرات ، عاجزين عن النطق بكلمة ، أينما ظلّت أمي تبكي وتنتحب ، فارتدّ أبي إليها يهدّدها بقبضة يده وهو يكزّ أسنانه ويقول :

ــ آن لك أن تخرسي ...لقد قلت لك إنّه لا دخل للأولاد ...لا دخل للأولاد بــذلك ! إنّ هذه قضيّة تعنيني ..تعنيني وحدي !"[1] .

كان زواج الأب حدثاً زعزع أركان الأسرة وأخرج الأم عن خضوعها واســتكانتها ، فصارت تردّ على التهجّمات اللفظية التي تلقّتها من الزّوج الذي كان يبرّر زواجه بأنــه حقٌّ من حقوقه الذي شرعها له الدين ، مستندا إلى الآية القرآنية القائلة: (وانكحوا مــا طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)، وفي المقابل أحاط الأبناء بوالدتهم يهــدؤون روعها ويخففون فاجعتها .

الأم / الزوجة ، في هذه الرواية صوّرها السارد أنموذجاً للمرأة التقليديــة الخاضــعة والتي ترضى بالظلم وتصبر كثيرا ، بل وتضحي التضحيات الجسام " إنّني لم أطمــئن لحظة واحدة إلى أبيك يا هدى ، بالرغم من أنّي قضيت معه ثلاثاً وعشرين سنة ، كنت دائماً أشكّ فيه وفي أمانته الزوجية ، وأرتاب في أن يستطيع الدين أن يردعه ..إنّ نفسه خبيثة وشهوته غالبة ..وقد رفضت أن أتزوّجه بادئ الأمر ، ولكن أمي أجبرتني علــى ذلك على ذلك وقسرتني قسراً ، وقد رضيت بمصيري واستسلمت للقدر ، لأنّ كل همّي أن أسهر على تربيتكم ونموّكم ..وها هو جزائي الآن ! "[2] .

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 152 ــ 153 .

[2] ــ المصدر السابق : ، ص 156 .

خضوع الزوجة لم يكن تقديساً للحياة الزوجية بقدر ما كان حرصاً على الأبناء وتربيتهم ولم شملهم ، واستسلامها وامّحاء شخصيتها ملازم لها فهي امرأة تقليدية إذن فهي لا قرار لها حتى في أمورها الخاصة و قراراتها المصيرية كاختيار الزوج ، فالأسرة هي التي تقرر بدلا عنها وما عليها إلاّ الامتثال لأوامرهم غير القابلة للنقض والرفض .

ـ الشخصيات الثانوية :

01 ـ هدى:

شقيقة " سامي " طالبة في الصف الثانوي ، مقبلة على الحياة بروح الصّبا والفتوّة ، تعيش ضغطاً أسرياً واجتماعيا تطوّقها عادات وتقاليد توارثتها الأجيال ، دون الوعي بأنّ لكلّ جيل حياته الخاصّة وخصائصه التي تميزه .

تعيش هدى في أسرة جدّ محافظة بحيث فرض عليها والدها الحجاب وغطاء الوجه "...ها أنذا اليوم أتخيّلني في قاعة الامتحان وسط عدد من الشبّان والفتيات ، قد أكون بينهم الفتاة الوحيدة التي ترتدي الحجاب !"[1]، " وأفقت ذات صباح ، وكان بيننا وبين الشهادة عشرة أيام ، فأحسستني ممتلئة بالعزم على أن أنفّذ تصميمي ، فارتديت ثوبي

[1] ـ المصدر السابق: ص 161 .

المدرسي ، وحرصت على ألاّ أمسح ببعض الأحمر المسحوق الذي كنت أمسحه به تحت الحجاب ، وعلى أن أسرّح شعري تسريحاً بسيطاً خالياً من الزينة والتأنّق "[1] .

الحجاب كزيّ يعبّر عن انتماء وهوّية كان كفيلا بتفجير صراع بين هدى ووالدها الذي يرى "...بأنّ العلم الذي يلقّن في المدارس مسؤول عن هذا الجحود والعقوق ..ثمّ التفت إلى هدى يقول :

ولهذا قرّرت أن تنقطعي عن المدرسة التي تعلمك الفساد ، وأنا أمنعك منذ اليوم عن ارتياد هذه المدرسة ..ولن أدفع لك الأقساط بعد الآن ! "[2] .

لم تكن لهدى الشجاعة الكافية لمواجهة سلطة الأب ، بل كانت تستمدّ قوتها من أخيه "سامي" ، وقد صرحت بذلك في أكثر من موضع في الرواية " إنّني بحاجة دائما إلى مساعدة أخي سامي ..وأنا أثق به كل الثقة! "[3]، وقد جدّدت ثقتها بسامي خاصة بعد المواجهة التي حدثت بينه وبين الأب واعتراضه عن عدم دفع الأقساط لهدى ، سامي الذي حضر الموقف بين هدى والأب الذي منعها من مزاولة الدراسة " وأحسّ هو

[1] ــ المصدر نفسه : ص161 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 133 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 133 .

بحرج موقفه ، واعتراه من ذلك ضيق شديد ولكنّه لم يتردّد في أن يجيب أباه : ــ إنّك لن تستطيع ألاّ تدفع لها الأقساط ..ولكنّي أؤكّد لك أنّها لن تنقطع عن المدرسة "[1] لم يكن " سامي " ميسور الحال ، بل كان هو ــ أيضا ــ طالباً كما سبق وأن عرضنا ، لكن حرصه على أن تواصل شقيقته هدى تعليمها جعله يتحدّى والده ، ويعد شقيقته بدفع الأقساط " ...إنّ ما أقبضه من الصحيفة لا يكاد يكفي أقساطي المدرسية ..ولكنني سأعمل على تدبير قيمة أقساط هدى ، حتى ولو اضطررت إلى الاستدانة ..أو الاستعطاء ! "[2] .

لم تتوقّف معارضات الأب عند الدراسة ، بل منعها من الخروج ومن الفسحة ومن مقابلة الضيوف إن كان فيهم رجال أو شباب" ألم أمنعكِ من رؤية ذلك الشاب ؟ فكيف تدخلين غرفة الاستقبال حين يكون موجوداً؟"[3]، هذا الكلام وجهه الأب لهدى ، بعد أن علم أنّها تقابل رفيق صديق شقيقها سامي والذي كان كثيرا ما يساعدها في فهم دروس الرياضيات وحل التمارين .

منعها من مقابلته ومن الجلوس معه خاصة بعد أن فهم أنّ هناك ثمّة مشاعر إعجاب بينها وحب يلوح في الأفق ، وفي الواقع أنّ سامي كان سنداً لشقيقته فقد بارك

[1] ــ المصدر نفسه : ص 133 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 133 .

[3] ــ المرجع نفسه : ص 134 .

هذه العلاقة التي تمنّى أن تكلل بالقران ، لكن كانت له وجهة نظر ، بحيث حاول إقناع هدى بمواصلة الدراسة وتأمين مستقبلها والتريّث والتفكير في الارتباط بمن أحبت " ثمّ إنّي أوثر أن تواجهي أمر المستقبل وقد أصبحت أكثر نضجاً وتقديراً للأمور فأنـــا أرى إذن أن تتابعي دراستك العالية، ثمّ يتاح لكِ أن تواجهي الموقف على نـــور وبـــصيرة ، وتوقّف لحظة ليضيف مبتسماً : وإذا كنتما صادقين فـــي عاطفتكمـــا ، فـــستعرفان أن تصبرا ! وأجابت هدى بأنّها تؤمن بصحّة كلّ ما قاله ، وأنّها سعيدة أن يكون لهـــا أخٌ مثله "[1] .

هدى أنموذج للفتاة التي لا تنكر أي مساندة لأشقائها لها ، الفتاة التـــي تبـــادلهم الحـــب والاحترام ، حتى فوزي الذي كانت تراه منحرفا في بعض تصرّفاته " ما أشدّ ما أحبّك يا أخي سامي! وأنت أيضا يا أخي فوزي ، بالرغم من كلّ شيء ! "[2]

مثّلت هدى صورة الفتاة الشرقية التي تعلّق بعض آمالها وطموحاتها لتنظر فيها السلطة الأبوية المتمثلة في الأسرة والمجتمع وعاداته وتقاليده ، فلولا مـــساندة " ســـامي " لهـــا لكانت مقهورة كلياً ، ولا سبيل لها بالإفصاح عن ما تريده من حياتها ووجودهـــا ومـــا كان لها في الإفصاح عن طموحاتها المستقبلية سوى ما يتعلّـــق بدراســـتها أو حياتهـــا العاطفية .

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 136 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 112 .

02 ــ فوزي :

هو الأخ الأكبر[1] لسامي وهدى ، كان دور ثانوي في مبنى الحكي ، إذ لم يهتم الســارد برسم كلّ جزئيات شخصية فوزي ، فلا يعرف القارئ شيئا عن جانبه الفيزيولــوجي ومستواه التعليمي .

أوّل موقف سجّله " فوزي في الرواية كان موقفاً بطولياً شجاعاً ، فقد كــان المنقــذ لشقيقة الأصغر " سامي " من لحظة عجز " وطلع أمامه فجأة أخوه فوزي عائداً مــن عمله إلى البيت ليتناول طعام الغذاء . ورآه يتوقّف لحظة وقد اتّسعت عيناه وهو ينظر إلى الصبية ورآه ، ولعلّ أخاه قرأ في عينيه العجز والاستنجاد والشكوى ، فإذا يهجــم على جماعة الصبيان ، ويكيل الضربات والصفعات كيفما أتت يداه وهو يشتمهم ، وما هي إلاّ لحظة حتّى اختفى الصبية وهو يراقبهم ينهزمون في كلّ اتجاه وابتسم لأخيه من بعيد ، كأنما يشكره ، فأشار له فوزي أن يتابع سيره "[2].

الملاحظ أنّ صورة شخصية " فوزي" في الرواية تشكّلت من مجموعــة صــفات يغلب عليها العنف الحركي ــ كما سبق الإشارة ــ وعنف لفظي وهو ما سيعرض لــه البحث لاحقاً، إلى جانبها مجموعة من التصرّفات المنبوذة كالتلصّص والتّجــسّس مــن خلف الأبواب ، وهذا ما يعرّضه لنزاع مع الآخرين وخاصّة أفراد أسرته ، خــلاف

[1] ــ المصدر السابق : ص 12 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 37 ــ 38 .

كبير بينه وبين شقيقه الأصغر " سامي " الذي اكتشف أنّ "فوزي" كان خلف الباب يسترق السّمع لجدال و نزاع بين سامي ووالده ، حيث أنهى سامي الجدال بينه وبين والده الذي وصفه بالوقاحة فردّ عليه قائلاً " لا لستُ وقحاً ... كل ما هنالك أنّني أخالفك الرأي ! ، ولم ينتظر جواب أبيه الذي بدأ يزمجر ويتوعّد ، بل فتح الباب ليخرج ، و ففاجأ أخاه فوزي واقفاً عنده يتلصّص ويتسمّع ، فقذف وجهه بقوله : ــ دسّاس ...حقير ، فتراجع فوزي مبغوتاً ، ولكنّه ما لبث أن ضحك ضحكة استهزاء ..."[1] . لكن هذه الخلافات بين الشقيقين لم تكن لتفسد أواصر الأخوة والمودّة التي امتدّت جسورا ، وهذا ما يبرهن السارد حين نقل لنا المشهد الذي كان فيه سامي مصاباً بعد السقوط من الشرفة " كان مسبل الجفنين ، يحسّ بألم في رأسه ، حين شعر بأنفاس دافئة فوق وجهه ، ثمّ شفتين تلمسان خدّه ، وفتح عينيه ، فإذا هو فوزي واقف عند رأسه ، وعلى وجهه سيماء التّأثر واللّهفة . وسمعه يسأله : كيف أنت الآن يا سامي ؟ إنني حزين من أجلك ...لقد قال الطبيب إنّ جرحك بليغ ، ولكنّه سيلتئم في بضعة أيام ..."[2]

كان مرض " سامي " فرصة ليراجع فوزي نفسه وعلاقته بأخيه التي توترت ، إذ بادر فوزي للاعتذار من شقيقه والتسامح معه " ...سامحني يا سامي ! لقد كنت قاسياً معك ، وأنت لا تستحقّ ذلك سامحني! وفتح عينيه ينظر إلى أخيه ، فيرى في عينيه الحنوّ

[1] ــ المصدر السابق : ص 71 .

[2] ــ المرجع نفسه : ص 81 .

والانكسار ، وجعل يتساءل في حيرة عن طبيعة فوزي المتناقضة ، فهو يبدو له تارة شريراً يسعى إلى الأذى ، ويبدو له تارة أخرى عطوفاً يبذل الود والمحبة ... لا ريب في أنّه يخافه ، ولكنّه مع ذلك لا يستطيع إلاّ أن يحبّه ، وأخذ يد فوزي يضغط عليه بحرارة من غير أن يجد ما يقوله له ..."[1] ، وقد تكرّر موقف شبيه بهذا ما يبرز مشاعر الحنان والحب من فوزي ،تجاه شقيقه سامي رغم حدّة طبع فوزي ، وهذا ما نقله السارد في مشهد الخلاف الذي حدث بين سامي ووالده ، في الوقت الذي خلع سامي الجبة والعمة وأصرّ والده على أن يظلّ سامي ملتزما بارتدائهما كزي ديني ، ففي الوقت الذي جافاه والده كان فوزي أشدّ أفراد الأسرة تأثّرا " فقد رأيناه يدنو متمهلاً ، فيمسك بذراع سامي ، يجذبه إليه بعطف وحنان ، ثمّ يطوّق كتفيه ويدخل به غرفتهما ."[2]

أمّا عن نظرة فوزي للمرأة فقد بدت نظرة دونية ، إذ تكرّر في أكثر من موقف في الرواية استهزاءه بوالدته وأخته هدى ، هذه الأخيرة التي اتهمته بأنّه هو الذي وشى بها لوالدهما أنها تلتقي برفيق صديق شقيقها سامي وكانت ردّة فعله تشفّ عن تسلط واحتقار لهدى كونها امرأة ، فهي من منظوره إنسان غير مؤهّل للتعبير عن كينونته ، وقد وضحّ الحوار الذي جرى بينهما ذلك عقب تأنيب الوالد لهدى ، فبعد أن بادر الأب

[1] ــ المصدر السابق : ص 82 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص112 .

قائلا لهدى بجفاء : ألم أمنعك من رؤية ذلك الشّاب ؟ فكيف تدخلين غرفة الاستقبال حين يكون موجوداً؟

وبدا في عيني هدى الإنكار ، ونفت أنّها تجتمع به ، ثمّ التفتت إلى أخيها الأكبر فوزي ، وقالت بلهجة تنبض بالحنق : الظاهر أنّ هذه وشاية منك كالعادة ؟

فأجابها واللقمة تملأ فمه : اخرسي ! إنّ أمورك لا تهمّني على الإطلاق !

ولكن هدى لم تصمت ، بل قذفت فوزي بقولها : إنّك تكذب ! فأنت الذي زعمت له ذلك ..وسوف تندم على أعمالك ! ، فنظر إليها فوزي برهة ، ثم انفجر ضاحكاً يقول : لو لم أكن جائعاً ، لعرفت كيف أؤدبك ! ، وهنا توجّه أبوه إليه هو ، وكان لم يتحدّث إليه منذ أيام ، فقال : على كلّ حال ... أودّ أن تفهم للمرّة الأخيرة أنّك لست مكلّفاً بتربية أختك ...إنّ أباهها وأمّها لا يزالان على قيد الحياة ، فأنا أطلب منك أن تدعها وشأنها!..وتلبّث لحظة قبل أن يجيب: إنّني لا أتولّى تربية أختي ، لكن لا يسعني إلاّ أن أهتم بشؤونها ، فانا أعتقد أنّي أنا أيضاً مسؤول عن مستقبلها...

ــ أنت لست مسؤولاً إلاّ عن نفسك ! " [1]

ينقل لنا الحوار الذي سبق جانبا من شخصية فوزي التي اتّسمت بالتسلّط وحب السيطرة على أخته باعتباره رجلا فهو يرى أنّه مكلّف بحمايتها ومن ثمّة التدخّل في شؤونها وتوجيهها وفقاً لإملاءاته .

[1] ــ المصدر السابق : ص 132 ــ 133

فوزي في مواضع كثيرة من الرواية يبدو شخصية متناقضة لدرجة كبيـــرة ، فهـــو الذي يمنع شقيقته من مقابلة الشاب الذي أحبّها أحبته ، يمنح لنفسه الأحقية في ارتيـــاد الملاهي ومصاحبة النساء ، ولقد أمره خفياً إلى أن اكتشفت والدته وأخته هـــدى هـــذا الأمر بالصدفة، يقول السارد على لسان هدى :" لقد كانت جالسة في المطـــبخ تجمـــع الثياب للغسيل ، فاستوقف نظرها منديل ملطّخ بالأحمر ...وقد دعتني لتؤنبني على أنّي ألطّخ مناديلي بالأحمر ..ولكنّي أنكرت ذلك ، ونفيت أن يكون أحد مناديلي ..وما لبثت أمّي تأكّدت من أنّه يخصّ فوزي ..."[1]

إثر هذا الدليل المادي فتح أفراد الأسرة تحقيقات وبدأ سامي وهدى بربط الأحـــداث والاستنتاج إذ " تذكّر سامي في تلك اللحظة أنّ فوزي يعود منذ أيام إلى البيت في ساعة متأخّرة من الليل ، وأنّه كان قد طلب من أبيهم مفتاحاً للباب الخارجي ، فرفض أبـــوهم ذلك،ولكنّه فوجيء ذات ليلة بفوزي وهو يفتح الباب بمفتاح كان معه ، فأدرك أنّـــه قـــد صبّ لنفسه ذلك المفتاح ليتاح له أن يتأخّر في عودته ليلاً ، فلا يحسّ به أحد "[2].

أمّا هدى فكان معها دليل آخر على انحراف شقيقها فوزي وارتكابه المحظـــور فقـــد توجهت بالحديث لسامي قائلة :" اسمع يا سامي ..مساء أمس دخلت غرفتكم هذه وفـــي ذهني أنّها خالية .. فإذا بي أجد فوزي يفاجأ بدخولي ، فيسارع إلى جمـــع عـــدد مـــن

[1] ــ المصدر السابق : ص 136 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 137

الصور كانت منشورة على سريره ، ويلتفت إليّ قائلاً بغضب : تعلّمي قليلا من التهذيب ! ألا تعرفين أنت المتعلّمة المثقّفة ، أنّه يجب طرق الباب قبل الدخول ! فتراجعت مضطربة من غير أن أجيب بكلمة ! وسألها هو ، بعد لحظة ، بعد لحظة تفكير : وهل عرفت ما هذه الصور ؟ فأجابت هدى : لا أدري ...ولكن يخيّل إليّ أنّها صور نساء !"[1].

في المقابل نجد الأم أيضا قد اكتشفت كل فضائح ابنها فوزي الأخلاقية وظلّت تتستّر عليه خوفاً من ردة فعل والده ، ينقل السارد ذلك على لسان هدى : " والتفتت أمي إلى فوزي تقول بلهجة مشمئزّة : أيّة دناءة هذه ! لقد كان من واجبي أن أروي لأبيك كلّ شيء قبل سفره ..ولكنّي لم أرد أن أغضبه ولا أن أخيّب رأيه فيك ..إنّه يظنّ أنّك شابٌّ صالح ... ولا يعلم أنّك وحدك الفاسد ...الفاسد الذي يشرب الخمر ويعاشر الراقصات وينفق ماله في المواخير !... وضحك فوزي ، وأجاب أمّه بشراسة لم أعرفها فيه : إنّ هذه الأمور لا تعنيك .. وخير لك أن تعودي إلى مكانك الطبيعي : المطبخ ! "[2]

فوزي أنموذج للشاب الذي يتيح لنفسه مرافقة من يشاء من النساء ، بل ويدخل عالم المحظور من بابه الواسع ، فيما لو أحبّت شقيقته بصدق فهو يمنعها بدافع الحرص والخوف من أن يتمّ استغلالها والعبث بها ! ، إنّه التناقض الممتثل اجتماعيا في السلطة

[1] ــ المصدر السابق : ص 137

[2] ــ المصدر نفسه : ص 142

البطريركية التي تسمح وتمنع حسب رؤيتها الخاصّة دون النظر أو مراعاة الأفـــراد ، أما إن كان الأمر يتعلّق بالمرأة فسيكون الحساب عسيرا ..شخـــصية فـــوزي أنمـــوذج متواجد واقعياً ولم يتلاشى رغم التحوّلات التي شهدتها مجتمعاتنا العربية ، وقد تتساوى نظرة الاستهانة للمرأة بالنسبة له سواء كانت أمّا أو أختـــا أو زوجـــة أو بنتـــاً ، أمـــا العشيقات فهنّ ملاذ ومصدر متعة قد تنتهي وقد لا تنتهي .

03 ــ رفيق:

هو الصديق المقرّب لسامي ..زاول معه الدراسة في المعهد الـــديني ، " ... وكـــان يلازمه صديقه رفيق يكاد لا ينفصل عنه ، فيتبادلان الرأي فيمـــا يقـــرآن ، وينفقـــان الساعات الطوال منكبين فوق الكتب ..."[1] خاضا معا تجربة الحياة الدينية ، ثم انـــسحبا منها فراراً من قساوتها وصرامتها ، فهي بالنسبة لهم كانـــت أشـــبه بحيـــاة الرهبـــان والقساوسة المتفرّغون فقط للعبادة والتوسّع في علوم الدين ، لم يهتم السارد كثيرا فـــي رسم وتقديم شخصية سامي،فهي شخصية ثانوية ولكنّها في ذات الوقت تـــدفع بالـــسرد وتساهم في تشكيل الحكاية، صمت السارد أيضا عن تحديد عمر رفيق ، ولكن على ما يبدو أنّه أكبر من سامي ، وهذا ما نستشفّه من قول رفيق لسامي :"إنّك شيخ صـــغير.. ولكنّك رائع ..ممتاز !"[2]

---

[1] ــ المصدر السابق : 40 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 29

رفيق تبدو شخصيته شخصية فتى مقدام شجاع ومحب للمغامرة والتمرّد ، وهذا ما تبيّن حين عرض على سامي الانضمام إلى بقية الزملاء للفرار من المعهد ليلاً باتجاه السينما "... ولم تمض أيام حتى أتاه صديقه رفيق يهمس في أذنه أنّه وبعض الزملاء في الذهاب إلى السينما في تلك الليلة ، واقترح عليه أن يرافقهم ..."[1]

بعد تخرّجه من المعهد عيّن الشيخ رفيق إماما في مسجد حيّهم ، وقد كان يعيل أسرتهم بعد وفاة والده ، مع ذلك فكّر جديّا في التخلّص من مهنة المشيخة والإمامة التي بات يضيق بها ذرعاً ، وبعد أن تحدّث لصديقه سامي عن رغبته في ترك المشيخة والتخلّص نهائياً من الجبّة والعمّة ، بادر سامي في مساعدته في الحصول على عمل آخر ، فاشتغل رفيق تاجراً عند أحد التجار الكبار من أقارب سامي "... وعاد رفيق يزوره كلما سنحت له الفرصة ، فتتوطّد أواصر صداقتهما القديمة ، ويستشعران لوناً جديداً من السعادة منشأه أنهما تحررا معاً من ثقل زيّهما الديني ، وكان رفيق غالباً ما يزوره في المساء ، بعد الانتهاء من عمله في المتجر ، فيقضيان حيناً من الزمن يستعيدان فيه ذكرياتها ، ويتحدّثان عن آمالهما في المستقبل..."[2]

[1] ــ المصدر نفسه : ص 48

[2] ــ المصدر السابق : ص 123

تلك الصداقة بين رفيق وسامي توطّدت كثيرا "... ولم يمض وقت طويل حتى أصبح رفيق يزوره كل مساء ، بعد أن يكون هو قد عاد من عمله في الصحيفة ..."[1] الزيارة المتكررة والانسجام بين رفيق وسامي ، كان طريقا ممهدّة لعلاقة إعجاب تطورت إلى حب بين رفيق و هدى شقيقة سامي ، بدأت بمساعدة رفيق لهدى في حل تمارين الرياضيات فقد كان رفيق بارعاً متفوقا في الرياضيات ، أما سامي كان لا يطيق الحساب ولا يحسنه[2] ، ومن جلسات المذاكرة القصيرة تولّدت مشاعر عشق ومحبّة .

علاقة الحب التي نمت بين رفيق وهدى ، كانت مرشّحة للزواج فقد بارك سامي هذه العلاقة ، مع أنّه أشار لأخته بالتريّث حتى تضمن مستقبلا دراسيا " إنّي أوثر أن تواجهي أمر المستقبل وقد أصبحت أكثر نضجاً وتقديراً للأمور ، فأنا أرى إذن أن تتابعي دراستك العالية ، ثمّ يتاح لك بعد ذلك أن تواجهي الموقف على نور وبصيرة "[3]

[1] ــ المصدر نفسه : ص 124 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 124 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 136 .

هذا الكلام لم يكن رفضاً لرفيق ،بقدر ما كان يظهر حرص سامي على مستقبل أخته ، فقد أردف كلامه السابق بقوله : " ...وإذا كنتما صادقين في عاطفتكما ، فستعرفان أن تصبرا!"[1].

رفيق صديق مقرّب لسامي الشخصية الأكثر بروزا في الرواية لذلك وجدت هدى من أخيها مساندة إذ تقول :"... والواقع أنّ سامي شقّ أمام عاطفتي دروباً للمستقبل لم أكن قد فكّرت فيها...فهو أفهمني من غير مداورة أنّه لا يقف موقف المعارض من هذا الحب ، ولكنّه يريد له أن يسير في الدرب المشروع ، وهو يرى تحقيق ذلك في أن أواصل دراستي حتّى يتاح لي أن أحكم على مصير هذا الحب حكماً عاقلاً ، وحتى يتاح لرفيق أن يهيئ أسباب الحياة المشتركة"[2].

من خلال ما تنقله هدى في الفقرة السابقة يتّضح أنّ رفيق وضعه الاجتماعي متواضع جدا ، فهو شاب في طريقه لشق مستقبله بذاته ، إذ أنه ماديا غير ميسور الحال، فكما سبق الإشارة فهو متكفل بإعالة أسرته بعد وفاة والده .

شخصية رفيق بشتى أبعادها أعطت الأحداث دفعا ، وتركت بصمتها في مسار السرد والحكاية ، خاصة وأنها شخصية لها علاقة وطيدة بالشخصية الأولى في الرواية .

[1] ــ المصدر السابق : ص 137 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 139 .

04 ــ سميّا :

برزت شخصية سميّا حين قصد سامي وأسرته المصيف ، وهو لا يزال شيخاً إذ استأجروا بيتاً "...في قرية المريجات التي تشرف على سهل البقاع ، وكانوا قد اعتادوا على الاصطياف في قرية جميلة تدعى عيناب "[1] ، اهتم السارد برصد التحوّلات والتناقضات في شخصية سميّا والتي نشأت بينها وبين الفتى سامي مشاعر حب .

الاهتمام برصد التناقضات وبقصة الحب التي بين سميّا و سامي أخذت فضاءات الوصف والسرد حين بدأ السارد في الحديث عن شخصية سميّا ، حتّى أنّك لم يهتم كثيرا بوصفها الفيزيولوجي إلاّ في كلمات متناثرة هنا وهناك ، ولا يمكنها أن تشكّل صورة مكتملة في مخيّلة المتلقي/ القارئ عن شكل سميّا ذات العينين الكبيرتين السوداوين والشعر الطويل الأسود والصوت الرقيق[2].

أمّا عمرها فاكتفى السارد بمقارنته بعمر أخيها الأصغر سامي من جهة ، ثمّ ربطه بالمستوى الدراسي ، وترك للقرّاء استنتاج سن سميّا الفتاة الناشئة ، إذ كان شقيقها سميح "...قد نال منذ أسابيع شهادة الدراسة الابتدائية ...وكانت تكبره بثلاثة

[1] ــ المصدر السابق : ص 60 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 61 .

أعوام ــ قد حازت أخيراً شهادة الكفاءة ..."[1] ، يشير السارد إلى أنّ سميّا في عمر سامي الذي " ... هو أيضاً في صفّ شهادة الكفاءة ..لو لم يصبح شيخاً "[2]

يعود السارد لوصف سميّا في لقائها الثاني بسامي في الغابة "...كانت سميّا تمسك ببندقية صيد ، وترتدي بنطلوناً أزرق تحت قميص أحمر ، وكان شعرها الأسود الطويل مضموماً في جديلة واحدة استرسلت إلى خلف ..."[3] .

مشاعر الحب ولقاءات الغرام بين سميّا وسامي ، كان بدايتها لقاء صدفة في الغابة ، رغم خوفها منه وهو الذي تبدو عليه هيبة الشيوخ بزيه الديني (الجبة والعمة) ، فبعد أن توطّدت العلاقة بينها بعض الشيء صرّحت سميّا لسامي بذلك فقالت له :"أتعرف أنني خفت منك ...حين رأيتك بالجبّة والعمّة "[4] .

صوّر السارد سميّا في صورة الفتاة التي تحمرّ خجلا لمغازلة أو ملاطفة ، بل وتنسحب مداراة لحيائها ، وهو ما ينقله لنا السارد في لقاء بينهما " ...ونهض هو قبلها ، فاقترب منها وبسط لها يده ، فأمسكت بها وهي تبتسم ، ثمّ أنهضها وهو ينظر في عينيها السوداوين الكبيرتين فتغضي هي هذه المرّة ، وسحبت يدها من يده ، وانطلقت

---

[1] ــ المصدر السابق: ص 62 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 62 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 64 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 68 .

تعدو ، وهو ينظر إلى شعرها تهتزّ جديلته يمنة ويسرة ...، وسمع صوتها يرتفع منادياً أخاها عبر الغابة وقبل أن تختفي صاح هو يقول : سنخرج غدا الباكر إلى الصيد ...يا سميح ! ومرة أخرى ، سمع ضحكتها تمتزج بزقزقة العصافير قبل أن تغيب ..."[1]

سميّا تبدو عاشقة للقصص فحين رأت سامي تحت ظل شجرة في الغابة يقرأ قصصاً باللغة الفرنسية بادرته بقولها :"إنني أحبّ القصص ..فحدّثني عن هذه القصّة "[2]

كانت سميّا تتبادل وسامي رسائل الغرام في طيات الكتب التي تستعيرها منه وكان أخوه سميح هو الذي يوصل الكتب ويرجعها بينهما ، فقد كان جيران في المصيف " وظلاّ أياما يتبادلان الرسائل طي الكتب "[3]

سميّا كانت ترى أنّ حبها لسامي حب أبدي إذ قالت له أكثر من مرة :" ...إنّها ستحبّه إلى الأبد ، ثم عاهدته أن لا تكون لسواه ، وطلبت منه بألاّ ينسى حبّها مهما يحدث ومهما يحاول ذووها أن يفرقوا بينهما ، وأخبرته أنّها ستحتفظ برسائله كأثمن كنز تمتلكه..."[4]

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 67 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 68 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 70 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 85 .

من صورة الفتاة البريئة والعاشقة التي تبتهل للسماء أن تحفظ حبيبها وعلاقة الحب التي بينهما ، انقلبت صورة سميّا إلى النقيض ، فبعد انتهاء فترة الصيف وعودة كل منهما إلى منزله ظلاّ يتراسلان لفترة قصيرة ثم انقطعت أخبارها ، وقد كان سامي يراسلها ولا يتلقى ردا ، وبعد مضي سنة من انقطاع رسائلها عادت لتراسله من القاهرة "... وتبلّغه بأنّها قد سافرت فجأة ، عندما وردهم نبأ نعي عمّتها هناك ، وأنّها ستقضي مع أبيها ردحاً من الزمن في القاهرة "[1]،".. تتابعت رسائلها في الأشهر الأولى ، كثيرة مخلصة ، حارة ثمّ شحّت رويدا رويدا ، ثمّ انقطعت ولم يكن في الرسالة الأخيرة ذكر للعودة ، وقد بعث لها بثاني رسائل بعد ذلك ، فلم تجب ، وعاش أشهراً من العذاب ..."[2]

غياب سميّا وانقطاعها عن الرد كان بادرة خيانة حب تلوح في الأفق ، فقد تحوّلت من الشخصية البريئة إلى الشخصية السادية وشخصية مخالفة للوعود فالحب الذي كان بينهما كان قويا ، وهي التي كانت تعده بأبديته ، هاهي تنقطع أخبارها لسنوات ثلاث متتاليات ، لكن سامي لم يكف عن البحث عنها ومحاولة التقائها مجدداً ، وبعد بحث متعب عنها التقى بها بعد أن اتصلت به من خلال برنامج إذاعي نزل ضيفا فيه "

[1] ــ المصدر السابق : ص 94 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 95 .

وتناهى إليه صوتها، هي سميّا ، بعد أن فرغ من إذاعة قصّته ، حين أخبره موظّف الاستديو أنّه مطلوب على التلفون ..."[1]

اتصلت به وقالت أنها هبطت من الجبل إلى العاصمة قصد رؤيته ، إذ هي تلتمس سبلا إلى لقائه منذ عودتها من مصر لقضاء الصيف ، فلا تفلح حتى علمت بقصّته في الإذاعة ثم رجته أن يوافيها على الفور إلى مقهى الأوتوماتيك لتراه ولو لبضع دقائق ، إذ هي مضطرة للعودة إلى الجبل في تلك الليلة بالذات ..."[2]

كان لقاؤها بسامي لقاء جافا ، إذ تكبرت وأحرجته بالقول:" مرحباً بالشيخ سامي ...علمت من أهلي منذ أيام أنّك قد خلعت الجبّة والعمّة ،وأصبحت كسائر البشر!"[3]

كان هذا الكلام والضحكات التي تبعت تنمّ عن تحولا في شخصية سميّا الودودة إذ كيف تحولت هكذا وما عاد لها اهتمام بمشاعر الآخرين ، حتى من كان حبيبها يوما ما .

إنّه التحوّل الذي يخلقه المال والولوج لعالم الطبقة الارستقراطية ، ففي لقائها مع سامي تحدّت كثيراً وسردت ما جرى من أحدث في ثلاث سنوات ، وحين سألها عن رأيها في قصّته التي ألقاها في الإذاعة أجابته بغرور وعنجهية لم يعدها فيها إذ قالت له

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 116.

[2] ــ المصدر نفسه : ص 116 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 117 .

:" أما قصتك هذه ...فهي ناعمة ...ولكنّها ساذجة ! و يخيّل إليّ أنّ هذه السنوات الثلاث لم تغيّرك "[1] ، أمّا عن نفسها فقد صرّحت له:"... أنّها تغيّرت كثيراً منذ ذهبت إلى القاهرة لأنّها قد تزوّجت هناك ابن عمّها الغنيّ ورزقت منه ولداً ، ودخلت المجتمع الارستقراطيّ وأصبح لها فيه مركز مرموق ، ولأنّها أتت تقضي الصيف هنا ولم يستطع زوجها أن يصحبها لكثرة أعماله"[2] .

أمام سلطة المال والجاه ضحّت سميّا بحبّ أو ما كانت تعتقد حباً رغم وعودها لسامي ، بل إنّها تحوّلت لشخصية لاذعة اللسان و تهزأ بمن كان حبيبها المبجّل بالأمس القريب.

شخصية سمية تعرّضت لتحولات داخلية وخارجية فمن الفتاة التي تغضي حياء صارت جريئة ، يصفها السارد حين لقائها بسامي في المقهى :" كانت ترتدي ثوباً أسود عاري الكتفين والصدر، فتبدو فيه ممشوقة الجسم ملتفّة القوام ، وكان شعرها مسرّحاً على طريقة الممثّلات الأجنبيات ، وكان يتدلّى من أذنيها قرطان مذهّبان كبيران ...أمّا وجهها فخيّل إليه أن قد غاضت منه تلك النضارة التي كان يعرفها لتحلّ محلّها أفانين من مستحضرات التجميل والتطرية باهرة ، وكانت عيناها ، تلك العينان

[1] ــ المصدر السابق : ص 119 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 118 .

السوداوان العميقتان ، تطلّ منهما نظرات سافرة ليس فيها آثار من غموض نظراتها السابقة الحييّة ..."[1]

تناقض حاد بين صورة سميّا الفتاة البريئة وسميّا المرأة الجريئة ، تحولات غيّرت مسار حياتها بعد أن تخلّت عن حب كانت تعتقد أنها ستخلّده أو تؤبّده ، وقد كشف ارتباطها بابن عمّها الثري ، عن زيف أو وهم كانت تحمله في نفسها وأطلقت عليه عبثاً ، أنّه حب فالحب الحقيقي الصادق لا يتحطّم أمام سلطة المال أو الجاه أو السلطان .

05 ــ إدارة المعهد الديني (المدير والناظر):

تسهر إدارة المعهد على تمثيل السلطة الدينية ، ظهرت إدارة المعهد المشكّلة من المدير و الناظر ، بعد إعراب الصبي " سامي " عن رغبته في أن يصبح شيخاً " أبي ...أرجوك ...أرجوك ...أرجوك يا أبي إنّي أريد أن أصبح شيخاً .."[2] .

يسهر الناظر على ضبط النظام داخل المعهد وإيقاظ الطلاب لصلاة الفجر والوضوء في الليل البارد ، رغم صعوبة الاستيقاظ في ساعة متقدّمة من الصباح ، حتى أنّ الطلاّب يشعرون بعدم الاكتفاء بالساعات القليلة ، وهذا ما ينقله السارد على لسان السارد " وشعر بأنّه لم ينم إلاّ وقتاً قصيراً تلك الليلة حين استيقظ على صوت

[1] ــ المصدر نفسه : ص 117 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 18 .

جرس كهربائيّ أخذته الدهشة ، ثمّ ذكر أين هو ، فقفز من سريره ، إنّه الجرس الـــذي يدعو الطلاّب إلى الاستعداد لصلاة الفجر ، وما لبث صوت الناظر أن ارتفع من القاعة الكبرى : الصلاة...الصلاة ! ، إذن ، فلا بدّ له أن ينهض كلّ يوم في مثل هذه الساعة المبكّرة ، فيقصد المغاسل ويتوضّأ في الليل البارد ، ثمّ يتّجه إلى قاعة المسجد المتّصلة بمنى النوم ليؤدي صلاة الفجر "[1] .

إذا كان السارد أوضح بأنّ من مهام الناظر إيقاظ الطلاب بصوته المرتفع مـــن أجل أداء صلاة الفجر، فإنّ السارد سكت عن الشخصية التي تؤدي الآذان واكتفى فقط بوصف صوت المؤذن وجماله " ...وارتفع في تلك اللحظة صوت رقيق هادئ يهتـــف في الليل الأصم : " سبحان فالق الأصباح " فسرت رعشة في جسمه ..."[2]

أما رئيس المعهد (المدير) فدوره يبدأ مع صلاة الفجر أيضا وهـــذا مـــا ينقلـــه السارد ــ أيضا ــ على لسان " سامي " وهو في أول يوم في المعهد " ...أمّا الآن فـــلا بدّ من الوضوء والصلاة ، ولن يكون من اليسير أن يعود إلى النوم ، وخرج من الغرفة مع رفيقيه ، فالتقوا في الممر كثيراً من رفاقهم يتمطّون ويتثاءبون ، وإن هي إلاّ لحظة حتى فاجأهم ذلك الشيخ الكبير الجليل الذي افتتح في اليوم السابق ، وتهامسوا ، علـــى

[1] ــ المصدر السابق : ص 20 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 20 .

خشية ، إنّه رئيس المعهد ، وتساءل هو : ولكن كيف نبع هناك ؟ وأين كان ؟ أتراه قد بات ليلته في المعهد، أم أنّه قادم لساعته من منزله؟"[1]

في المقطع المتقدّم يرسم السارد صورة لمدير المعهد تحوطها هالة من الوقار والهيبة ، ويوضح بأنّ المدير يومياً يقوم بإلقاء درس بعد صلاة الفجر على الطلاب .

أمّا صوت الرئيس فقد وصف بالعلو كما وصف الناظر سابقاً ، وكأنّ بالسارد يريد تبليغ المتلقي/ القارئ بأنّ علوّ الصوت له دور في بسط السلطة والنفوذ وإبراز القوة أثناء إصدار الأوامر من الآمر إلى المأمور " ...وهدر صوته في الممر فجأة " أسرعوا إلى المسجد ! لماذا أنتم مبطئون في سيركم ؟ ألا تزالون نائمين؟ استيقظوا! أسرعوا " وتدافعت الأجسام الوسنى بالمناكب ، وأيقظ الماء البارد في المغاسل منْ لم يوقظه صوت الرئيس الهادر"[2] ، بالإضافة إلى إشراف المدير على أن يؤدي كلّ الطلاب صلاة الفجر ويحضروا الدرس الذي يلقيه بعد الصلاة ، يواصل إشرافه على برنامجهم الدراسي اليومي " ...وبعد الصلاة ، وقف الرئيس يوصيهم بارتداء ملابسهم والهبوط إلى قاعات الدرس ليبدأوا حفظ القرآن ... ورجعوا إلى غرفهم لينفّذوا آلياً توصية الرئيس"[3] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 21 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 21 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 21 .

الصرامة والهيبة و الجديّة التي تميز بها فريق الإدارة المشكّل من (الرئيس والناظر) ، لم تمنع من أن يكون لطفاء مع بعض الطلاب ، خاصّة من يمثّل حالة خاصّة مثل " سامي" الذي كان أصغرهم سنّا، فهو بحاجة لرعاية خاصّة ، وهذا ما ذكره سامي لوالده أثناء زيارته لأهله في عطلة الأسبوع[1].

الناظر ــ أيضا ــ مكلف بضبط النظام الداخلي والسهر على تطبيقه داخل المعهد ، بدءا بالحرص على ارتداء الطلاب الزي الديني الموحّد الذي يكلّف به خياط مختص في تفصيل الجبب يزور المعهد ليأخذ مقاساتهم قبل التفصيل والشروع الخياطة، يقول سامي: "... فأعلمني أنّ الخياط السوري الذي سيفصل الجبب قادم بعد غد إلى المعهد..."[2]، "...لقد وعدهم ، حين كان يقيس لأجسامهم ، أن يعود بالجبب بعد أسبوعين اثنين، ولكنّه لم يتّصل بالمعهد إلاّ بالأمس ، ليعلن أنّه قادم اليوم وليعتذر عن التّأخر "[3].

من مهام الناظر ــ أيضاــ الإشراف على الطلبة فترة الفطور والغذاء والعشاء ، بما أنّ نظام المعهد نظام داخلي .

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 23 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 24

[3] ــ المصدر نفسه : ص 26 .

المدير يشرف إشرافا كلياً على الطلاب ويهتمّ بضرورة أن يرتدوا جميعا الجبّة والعمّة ويحلقوا رؤوسهم ويطلقوا اللّحى " ...وكانوا في الاستراحة التي تلي الدرس الثاني ، حين وصل رئيس المعهد فدعاهم فوراً إلى الاجتماع في القاعة الكبرى ، وقد رأى هو على وجوههم من آثار الاضطراب مثل ما كان يشعر به ، ووقف الرئيس بهامته المديدة ، متّكئاً على عصاه ، عند باب الإدارة ، وبدأ كلامه بلهجة خبيثة : أراكم اليوم على غير عادتكم ، متشبّثين بالعمّة والجبّة ، فما هي القصّة؟ ، وسرعان ما انفجر صائحاً : اذهبوا فاخلعوا جميعا جببكم وعممكم وعلّقوها في المشاجب و عودوا على الفور ...وحين عادوا كان كلّ منهم ينظر إلى رأس زميله ، فإذا اثنان منهم فقط قد انصاعا للأمر ، فحلق أحدهم رأسه حتى بدا شبه أقرع ، وقصّره الثاني تقصيراً عجيباً حتى بدا كالأكراد..."[1]

رئيس المعهد جاء ليطمئنّ لمدى تطبيق أوامره من قبل الطلاب ، الحركات التي كان يقوم بها وهو وسط الطلاب تبرز الجانب السلطوي في شخصيته كمسؤول أول في المعهد ، بالإضافة الهيبة والوجاهة وبعض العنف الذي يوجهه للطلاب " ...وتحرّك الرئيس ، وأخذ يقف لحظة قصيرة أمام كلّ طالب ، ويسأله لماذا لم يحلق شعره ولم يرخ ذقنه ، ولا ينتظر جواباً منه ، بل يرفع عصاه ويضربه بها على رأسه ضربة

[1] ــ المصدر السابق : ص 34 .

موجعة وينتقل إلى سواه... وبعد أن انتهى الرئيس من استعراض الطلاّب جميعاً ، فنال كلٌّ من نصيبه ، إلاّ ذينيك الشيخين اللذين قصّ أحدهما شعره وقصّره الآخر..."[1] .

شخصية الرئيس رسمها السارد شخصية ذات وجاهة ولا تقبل مخالفة أوامرها تحت أي وضع كان ، فهو لم يكتف بزجرهم وتعنيفهم بل أعرب عن غضبه وسخطه من الطلاّب ، حتى بثّ في قلبوهم الرعب " ... انفتل فدخل غرفة الإدارة وهو يتمتم غاضباً بكلام لا يبين، وقد أوجس الجميع خيفة ، وترقّبوا تدبيراً قاسياً يتّخذه الرئيس بحقّ المخالفين عن أوامره ..."[2] .

السلطة والوجاهة التي تمتلكها الإدارة ، عندما تتفاقم وتشكّل عامل تضييق قد تتحوّل إلى شبح أو كابوس يهددّ المأمورين ومن هم تحت سلطتهم وسطوتهم ، وهذا ما يصوره لنا السارد في مقطع ، حيث كان الطلاب يسترقون لحظات لكي يمارسوا حريتهم بعيدا عن نظر الإدارة وكان السطح مكانا مناسبا لذلك كي يدخّنوا ، وكان سامي قد تخلّف عن رفاقه في الصعود إلى السطح ، وحين التحق بهم " فوجيء ببعض زملائه واقفين عند الحاجز ، وحين رأوا الباب يفتح ساد بينهم الاضطراب فحالوا أن يتفرّقوا ، وقذف اثنان منهم بشيء كان في يديهما ، ولكنهم إذ عرفوه ، عاودهم

[1] ــ المصدر نفسه : ص 34 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 34 .

الاطمئنان وقال أحدهم : لقد أخفتنا ...حسبناك الناظر ، ثم سحب يده من خلف ظهره ، وعاد إلى تدخين لفافته ، بينما سارع أحد اللذين قذفا باللفافة إلى تدخين سواها ..."[1]

الاضطراب والهلع الذي ساد في نفوس الطلاب وهم يدخنون ويسترقون النظر لفتاة تقف في شرفة منزل يقابل المعهد ، تصرّفات الطلاّب ناجمة عن حبّ اكتشاف للحياة ونوع من ممارسة الحرية في ظل نظام إدارة المعهد الصارمة والتزامها وتقيّدها بتطبيق تعاليم الدين،هم مجموعة طلاب لا يزالون في مقتبل العمر بل في سنّ المراهقة ، فالانحراف وبعض تصرفات الطيش متوقعّة منهم ، لكن طرائق علاجها من قبل إدارة المعهد يسودها الحدّة والتعنيف وعدم احترام خصوصية الطلاب وهذا ما يمكن رصده في موقفين اثنين :

1ــ عند وصول رسالة من "سميا" إلى "سامي" في بريد المعهد " فوجئ بالناظر يستدعيه إلى مكتبه ، ويطلب منه أن يغلق الباب خلفه ، فيفعل وهو يوجس خيفة ، وصمت الناظر لحظة قبل أن يتناول عن طاولته رسالة يبسطها له وهو يقول : هذه الرسالة لك ... وقد فتحتها كما تقتضي بذلك قوانين المعهد ... وهي من فتاة لم تكتب إلاّ الحرف الأول من اسمها (س) ...وخفق صدره ، والتهبت وجنتاه ، وأخذ ينظر إلى الرسالة بلهفة سرعان ما تنقلب إلى خوف إذ يتطلّع إلى الناظر فيجده قاسي العين ، جامد القسمات ، ومدّ يده إليه، فقال له الناظر: مهلاً ..سوف أعطيك إياها هذه المرّة

[1] ــ المصدر نفسه : ص 47 .

..ولكن يجب أن تعلم أنّ مثل هذه الرسائل محرّمة هنا ، وأنها لا تسلّم إلى أصحابها ..بل يجب أن تعرف أكثر من ذلك: إنّ الطالب الذي يتلقى مثل هذه الرسائل مهدّد بالفصل ! ، وتوقّف الناظر لحظة ثم أضاف : إنّ الطلاّب هنا للدراسة ، لحفظ القرآن ، والحديث والفقه ، لا للخفّة والطيش والحب ! "[1] .

فتح رسالة طالب وقراءتها استيلا ب علني لخصوصية الطلاب ، ناهيك عن خطاب التعنيف والتهديد ونظرات القسوة الموجّهة للطالب ، حتى أنّ الطالب لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو النطق بكلمة في حضور الناظر (الممثل الرسمي للإدارة) ، كلّ التصرفات التي يقوم بها الناظر كنوع من التعنيف من شأنها ترسيخ عدم الثقة والخوف في نفوس الطلاب ، فإن كان سامي لم يدخل في جدال مع الناظر ، فإن ذلك لا يعني رضوخه الكلي لأوامر الناظر " ...واحترق وجهه بدم الخجل الذي نفر إليه ، وأطرق في الأرض لا يحير جواباً ، ولكنّه شعر شعور المهانة لعاطفته التي شاء الناظر أن يذلّها. وفكّر للمرّة الأولى بأنّ هذا الحب الذي يملأ عليه نفسه قد غدا عنصراً هامّا من عناصر حياته لا يقلّ أهمية عن درسه ومستقبله ،غير أنّه آثر ألاّ يردّ على الناظر بشيء ، وظل يترقّبه حتّى مدّ له الرسالة وهو يقول : إذن أنذرك يا شيخ سامي ...وقد

[1] ــ المصدر السابق : ص 88 ــ 89 .

أعذر من أنذر !، فأومأ برأسه إيجاباً وتناول منه الرسالة بكفّ ترتجف ، وأخفاها في جيبه ثم خرج..."[1] .

كان هذا الموقف كفيل بتوضيح صورة من صور الخوف الذي تبثه الإدارة في أوساط الطلاب ، قائمة من الممنوعات والمحظورات ، وحريات تصادر ، وإنذارات وأساليب تهديد تبثّ الخوف و اللاّ أمان في قلوب الطلاب .

2 ــ عندما رتّب مجموعة من طلاب المعهد للخروج خلسة إلى السينما ، وبذلك اخترقوا المحظور ولا سيما وهم مشايخ ! ، إذ لا يليق بهم ارتياد دور السينما ، هذا المكان المشبوه[2] ، وعند افتضاح أمرهم من قبل الناظر ، دعا " سامي " وهو أصغرهم " حين استدعاه الناظر إلى مكتبه ، فخرج من الصف يوجس خيفة ، ولمّا عاد بعد دقائق إلى الصف ، كان يتجنّب النظر إلى أيّ من رفاقه الذين صحبهم بالأمس ، لا بدّ لهم أن يقرؤوا في عينيه أنّه خانهم، ولكنّه لم يدر هو نفسه كيف استطاع الناظر أن يحمله على الاعتراف بكلّ ما حدث ليلة أمس ، إنّه لم يستطع الكذب ، وحين خرج من مكتب الناظر ابتهل إليه كالأطفال ألاّ يخبر رفاقه بأنّه هو الذي روى له ما روى ، فوعده الناظر ودعاه للعودة إلى الصف "[3].

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 89 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 51

[3] ــ المصدر السابق : ص 53 .

شخصية الناظر تؤدي دور المربي ممثل رسمي للإدارة ، رغم صرامته لكن سامي كان صادقاً معه ، لكنّه في ذات الوقت أرغمه على غدر أصدقائه والوشاية بهم ، وهكذا رسّخ في ذهن الصبي بأن لا قيمة للأصدقاء والصداقة ، وقد كانت المعلومات التي اعترف بها سامي حجة لاستنطاق بقية الطلاب الذين فروا ليلا إلى دار السينما مع سامي " وكأنوا يهمون للصعود إلى المسجد ، عصر ذلك اليوم ، حين طلبه الناظر مع رفاقه الأربعة ، وبادرهم بأنّه علم ما ارتكبوه بالأمس ، وبأنّه لن يرفع قضيّتهم إلى رئيس المعهد، وإنما سيكتفي بتحذيرهم وتوبيخهم ، والتفت بعد ذلك إلى رفاقه ، فأنذرهم بالطرد إذا قصدوا السينما مرّة ثانية ...ثم وجّه إلى رفاقه نظرات ناريّة ذات مغزى ، فعلم أنّهم لا بدّ قد أدركوا أنّه هو الذي وشى بهم إلى الناظر ، مادام قد استثناه من التحذير بالطرد ، والواقع أنّ رفاقه لم ينبسوا ببنت شفة ، ولم يوجّهوا إليه كلمة أو نظرة ، فأدرك أنّ حبل صداقته بهم قد انقطع إلى الأبد ، وأحسّ بالخجل من نفسه..."[1] .

لم يهتم السارد بالمرّة بالجانب الفيزيولوجي كثيرا لكل من الناظر والمدير كممثلين رسميين للمدير ، كلّ ما قدّمه أنّ كلاهما له صوت عال ، وللصوت العال دور في بثّ الخوف والرعب ، أمّا ما عدا ذلك فاهتمّ بهما كرجلين يسهران على ضبط الطلاب والسهر على تسيير شؤون المعهد بنظامه الداخلي ، لكن الملاحظ أنّ الإدارة لا

[1] ــ المصدر السابق : ص 54 .

تستخدم أساليب التحفيز والترغيب كلّ ما في الأمر إصدار أوامـــر وانتظـــار امتثـــال وتطبيق من الطلاب ، ورصد مجموعة من المحظورات والممنوعات والمحرّمات ومن ينتهكها يعرّض لعقوبات قاسية تبدأ بالتهديد والوعيد وتنتهي بالطرد والفصل الكلي مـــن المعهد .

06 ــ الشيوخ /الأساتذة :

كلّ اهتمامات السارد انصبّت في تحديد صورة الأساتذة انطلاقـــا مـــن رؤيـــة الطلاب لهم ، ففيهم من يضحكون لاسمه وفيهم من يعلقون على تـــصرفاته وحركاتـــه فيهم من يبهرهم علميا ومعرفيا (على ندرتهم) ، وفيهم من ينبذونه ولا يحبون درسه .

الاهتمام الكلي كان لرسم صورة للمعلم من منظور الطالب والجانب الفيزيولـــوجي لـــم يكتمل ولم يوليه السارد أهمية كبرى ، بل راح يرصد الفروقات بين هـــؤلاء الأســـاتذة ونظرة الطلاب لهم ، كما أنّ بعض من صور الأساتذة تتشكّل من الآراء السائدة حـــول المادة التي يقدّمها.

فإن كان الرئيس متكفلاً بإلقاء درس على الطلاب بعد صلاة الفجر كما سبق الـــذكر ، فإنّ ذلك لا يعني عدم وجود تنوّع في المواد المقدّمة فقد كانوا يدرسون موادّ الدين على اختلافها من الفقه والحديث والتوحيد والسيرة ، ومواد الأدب والعلوم ، واللغة الفرنسية ، ولكنّه سرعان ما لاحظ أنّ تدريس هذه اللغة الأجنبية كان بمعدّل ساعتين في الأسبوع

فقط "[1] ، عدم الاهتمام باللغة الأجنبية من قبل إدارة معهد ديني دفعت سامي إلى الانصراف " ...إلى المطالعة في الكتب الفرنسية ولو كان ذلك سيكلّفه الجهد الشّاق "[2]. المطالعة كانت ملاذا لبعض الطلاب مثل سامي الذي " أخذ تعلّقه بالكتاب الذي يختاره هو نفسه يشتدّ ويعمق بقدر ما بدأ يملّ الكتاب الذي كانوا يختارونه له للدرس ، فقد كان هذا كتاباً أصفر في غالب الأحيان ، وكان مؤلّفه من القدماء الذين مضت على وفاتهم قرون ، وكان يشعر بأنّ هذا الكتاب نفسه قد مات مع صاحبه ، وعبثاً ما يحاولون أساتذة المعهد أن يبعثوه في نفوس الطلاب ، لقد كانوا يدسّون الفقه في كتاب ضخم لا يترك شيئاً من شؤون الإنسان، صغيرها وكبيرها إلاّ أورده، حتّى أصبحوا يعتقدون بأنّ هذا الكتاب يغني عن كلّ كتاب آخر ...ومع ذلك فكثيراً ما تغيب عنهم الحكمة من بعض أحكام الدين ، فإذا توجّهوا في ذلك إلى مدرّس الفقه ، أدلى لهم بما لا يقنعهم غالباً ، أو اكتفى بأن يقول :(ولا تسألوا عن أشياء إنْ تبدى لكم تسوؤكم) بل كان كثيراً ما يجيب : (ابني هكذا أنزل الشارع !) فيعلمون أنّه لا يحقّ لهم بعدُ أن يسألوا أو يمعنوا في الاستفهام ، ويكتفون بالحفظ على مضض "[3]

[1] ــ المصدر السابق : ص 22 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 22 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 40 .

اللجوء إلى المطالعة كان مبرراً ، فهو رغبة لإرضاء فضول معرفي وشغف علمـــي ، لم تستطع كتب وجهها لهم الأساتذة ولا حتّى الأساتذة تلبيتها ، إذ كـــان نمـــط التعلـــيم السائد في المعهد تقليدي يسوده ترديد نصوص وتلقـــين معـــارف دون الخـــوض فـــي التفاصيل ولا نقدها .

" وأمّا القرآن فقد كان مفروضاً أن يحفظوه كلّه أثناء بقائهم في المعهـــد "[1] أمّـــا درس المنطق فقد كان مملا " فقد كان يوشك ألاّ يفهم منه شيئاً ، وكان المدرّس يحفظه فيردّده عليهم أحكاماً وقواعد جافّة لا يمثّل لها بشيء من حياتهم ، فتظلّ نظريـــات مجـــرّدة لا يتذوّقوها ولا يأنسون إليها"[2].

" أمّا درس الحديث ، فقد كان يقذفهم في حيرة وتململ شديدين ، ذلك أنّ المدرّس أبلغهم أوّل الأمر أنّ هناك ما يزيد على ثلاثمئة حديث منسوبة إلى النّبي وهي زائفة ، وأنّه لن يدرّسهم إلاّ الأحاديث الصحيحة ، ولكنّه مع ذلك كان يأتيهم كثيراً من الخرافات علـــى أنّها من صحيح الحديث ، وكان يشرحها لهم شرحاً غريباً لا يطمئنون إليه ولا يثقـــون به ، وقد شكّ أحد الطلاّب يوماً بحديث أورده لهم هذا المدرّس الشيخ ، وعبّر عن شكّه أمامه ، فإذا به يغضب و يثور ، ثمّ يروي لهم أنّ رجلاً شكّ في حديث نبوي يقول: (إذا قام أحدكم من النوم فليغسل يده ، فإنّه لا يدري أين باتت يده) ، وأضاف المدرس أنّ

[1] ــ المصدر نفسه : ص 40

[2] ــ المصدر نفسه : ص 41

هذا الرجل الذي شكّ بهذا الحديث سخر من مضمونه وأخذ يتساءل : (أين يمكـــن أن تبيت يدي ؟ إنّها إلى جانبي !) ، قال الأستاذ الشيخ :(وحين نهض الرجل فـــي اليـــوم التالي وجد يده داخلة حتى المرفق في إسته ...واضطر الطبيب إلى قطع يده !) ..."[1]

ترديد مثل هذه الجمل على أساس أحاديث صحيحة ، رغم أنها تناقض منطقية تقـــذف عقول الطلاب في حيرة ، بل وتلقي بهم في غياهب الـــشك ، إذ لا عقـــل ولا منطـــق يصدّق ما يلقّنه هم على أساس أنه أحاديث صحيحة ومتواترة ، مع ذلك يـــصرّ الـــشيخ على الطلاب أن لا يشكّو ! ، " وعلّق مدرس الحديث على ذلك بقوله :(فلا تشكّوا يـــا أبنائي بأقوال الرسول ...إلاّ ما كان منها غير صحيح !) وظلّ الطلاّب حيـــث هـــم لا يعرفون أيّ الأحاديث صحيح وأيها غير صحيح "[2].

أما مادّة الأدب العربي فقد درّسهم مدرسان ، الأوّل اسمه الشيخ الفرفور، قدّمـــه الناظر للطلاّب قائلاً :" يسرّني أن أقدّم لكم الشيخ الفرفور مدرّس الأدب الذي أرجو أن تفيدوا من علمه وفضله ، فجعلوا يتبادلون نظرات باسمة مبعثها اسم الشيخ الذي كانـــت تبدو عليه المهابة والجلال "[3] ، بعد خروج الناظر فاجأهم رئيس المعهد بالدخول فعلموا أنّه أقبل يحضر أول درس لمعلّم الأدب الجديد ، على جاري عادته ، وقد رحّـــب بـــه

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 41 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 41 ــ 42 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 42

الشيخ الفرفور ترحيباً حاراً ، وراح يشيد بفضله ويثني على ترؤسه لهذا المعهد الجليل ... وكان أول درس ألقاه المعلّم عليهم قصيدة طويلة طلب منهم أن يحفظوها عن ظهر قلب ، وأنشأ يلقيها عليهم وهو يمثّل حركات الأسد والرجل تمثيلاً مسرحياً فغرت له أفواههم ...."[1]

الأسلوب التلقيني والحفظ والاسترجاع هي طريقة التدريس عند الشيخ الفرفور ، حتى أنّه صار مصدر ضحك وتهريج بالنسبة للطلاب " ...وأدرك الطلاّب أنّ عنصرا للتسلية قد دخل في برنامجهم الدراسي ..."[2]

الغريب في الأمر ومما يظهر هشاشة إدارة المعهد ، أنّ الشيخ الفرفور لا علاقة له بالتعليم ومع ذلك أدخلوه للتعليم بدون التحقّق من خبرته وتجربته ، وهنا يتساءل المتلقي/ القارئ عن المعايير التي تنتقي بها إدارة هذا المعهد الشيوخ الذين سيعلموا الطلاب " ...ثمّ من يكشف لهم بعد أيام أنّ الشيخ الفرفور ، مدرّس الأدب العربي ، لم يكن إلاّ نجارا في دمشق ..."[3] .

[1] ــ المصدر نفسه : ص 42 .

[2] ــ المصدر نفسه : 43

[3] ــ المصدر نفسه : ص 43

طرائق انتقاء الشيوخ تظلّ هنا مبهمة ، فكيف لنجّار أن يقدّم دروسا في الأدب في معهد رسمي ، أفلا يوجد ملف إداري يتضمّن الوثائق الرسمية والشهادات؟ ، هذا ما يستوقف القارئ .

خابت آمال الطلاب في الشيخ الذي انتظروه أسابيع طويلة " ...والناظر يعدهم بأنّه قادم من دمشق ، وكان قد مضى زهاء شهرين على بدء الدروس حين وصل مدرّس الأدب "[1]

بعد انكشاف حقيقة الشيخ الفرفور ، "...أعفي من تدريس الأدب العربي ولكن أنيطت به مهمّة المحافظة على خزائن المؤن ...وقال أحد الطلاّب في ذلك : (كان شيخنا قيّما على غذاء عقولنا فأصبح قيّماً على غذاء بطوننا !) ، وغدا هذا الشيخ موضع تندّر وتفكّه كانا يشيعان في الجو مرحاً وجذلاً يصيبان الطلاّب "[2]

حين تهتزّ صورة إدارة المعهد وصورة أحد الذين اعتبروهم شيوخاً ، تتراجع الثقة في نفوس الطلاّب ، فهم يشعرون ــ حتماً ــ بأنّ الإدارة تسند مهام التدريس خبط عشواء ولا تراعي الخبرة والتخصص والمستوى .

التجربة الفاشلة في إسناد مادة الأدب العربي لشيخ مثل الشيخ فرفور ما كانت لتمّحي من أذهان الطلاّب لولا تعويض بشيخ كفء وعلى دراية بالأدب ومتخصص في

[1] ــ المصدر السابق : ص 42 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 44 .

ذلك " ...وبعد بضعة أيام ، حلّ محلّ الشيخ الفرفور مدرّس للأدب كان سوريّاً أيضاً ، ولكنّه كان يتذوّق الكلمة والصورة والفكرة ، ويملك طاقة عجيبة على أن يحبّب الطلاّب جميعاً بها ، فلم يمض وقت قصير حتى أصبح درس الأدب آثر درس إليهم وأحبّه إلى نفوسهم..."[1]

المدرّس الثاني للأدب العربي صحّح صورة الطلاب لمدرّس الأدب العربي الزائف، بل إنّه كان سبب في تفجير مواهب أدبية عند الطلاب ، مواهب كانت بانتظار معلّم متميّز يجيد إحياءها يقول السارد عن سامي :" ...كانت دروس هذا المدرّس الأديب هي التي كهربت روحه بالموهبة ورسمت له طريق مستقبله ..."[2]

لكن رغم أنّه كان المدرّس الأمثل لكن لم يطل مكوثه ، فبعد مرور بضعة أشهر اختفى " ...وعبثاً حاول أن يفهم سرّ اختفائه ، وكلّ ما سمعه عنه بضع إشارات عن سلوكه ...ثمّ بلغه فيما بعد أنّ مدرس الأدب قد ارتدى الجبّة والعمّة في دمشق وأصبح قاضياً شرعياً..."[3]

الأمر الملاحظ في تقديم صورة مدرّس اللغة العربي في الروايات العربية ، دوما تأتي صورة مشوّهة ويكون المدرّس فيها مدعاة للضحك والاستهزاء ، فإن كان

[1] ــ المصدر السابق : ص 44 ــ 45 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 45 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 45 .

الشيخ الفرفور غير متخصص في الأدب العربي ، فالمدرّس الثاني متخصص ومع ذلك ألحقت به تهم تطال سلوكه ، فمتى تظهر صورة مشرّفة مشرقة مدرس الأدب العربي في روايتنا العربية ونصوصنا الأدبية تقدّم اعتزاز العربي بلغته كمقوّم رئيس من مقومات أمته وهويته.

ناهيك عن صورة الشيوخ الأساتذة ، فإن المنهاج والدروس والطريقة التي تقدّم بها للطلاب طريقة تلقينية كلاسيكية مملّة تدخل الطلاب في دوامة ومتاهة تجعلهم ينتظرون، ينقل "سامي وهو شخصية رئيسية في الرواية بأنّ الطلاّب " لا يعون شيئاً ممّا يلقى عليهم من دروس ، وهو على يقين من ذلك ، فإنّ هو نفسه لم يكن يفهم شيئاً ممّا يقوله هؤلاء الذين يتدفّقون في الحديث كالسيل ، كان رفاقه جميعاً معلّقي السّمع بباب المعهد الخارجي يترقّبون أن يفتح..."[1] .

هذا الأسلوب الممل في التدريس دفع بعض الطلاّب الراغبين في تثقيف أنفسهم يعون أنّ ما يقدّمه لهم الشيوخ لن تكون له أهمية تذكر إذا ما رتبوا أوقاتهم ، وتوجهوا لمكتبة المعهد للاستزادة والمطالعة الحرة و تثقيف أنفسهم مثلما فعل سامي وصديقه رفيق " ...واستغرق في القراءة والمطالعة ، وكان يقضي معظم ساعات فراغه في مكتبة المعهد التي تردها عشرات الكتب من كلّ حدب وصوب ، عربية وأجنبية ، وكان على ثقة من أن هذه المكتبة ستثقّفه أكثر مما سيثقّفه المعلّمون ، وكان يلازمه صديقه

[1] ــ المصدر السابق : ص 26 .

رفيق ، يكاد لا ينفصل عنه ، فيتبادلان الرأي فيما يقرآن ، وينفقان الساعات الطوال منْكبين فوق الكتب حتى كاد يصبح جزءاً منها ..."[1]

الفراغ العلمي الذي تفطّن له الطلاّب ، هو في الواقع مسؤولية تقع على عاتق الإدارة والمعلمين ، وقد تفطّن له بعض الطلاّب الراغبين حقيقة في تثقيف أنفسهم وحاولوا سدّ الفراغ في الالتفات إلى المطالعة التي تلبي شغفهم المعرفي الذي لم تتمكّن الدروس والمناهج المتّبعة وحتى الشيوخ في المعهد الديني من توفيرها لهم .

07ـ الطلاّب :

عرض البحث تحليلاً وتقديماً لشخصيتين اثنتين وهما (سامي ورفيق) بشكل منفرد عن بقية الطلاّب ، وذلك لأنّ سامي شخصية محورية في رواية الخندق الغميق بل في الثلاثية كاملة ، أمّا رفيق فقد كان الصديق المقرّب لسامي وبتطور الصداقة بينهما حدثت علاقة حب بين رفيق وهدى شقيقة سامي ، وبهذا صارت شخصية رفيق شخصية فاعلة ومحرّكة للأحداث ومساهمة في توجيه مسار السّرد ، وعليه كان لزاماً عرضه منفرداً والتقديم له بمعزل عن باقي الطلاّب الذين أدوا دورا ثانويا أو هامشيا في الرواية .

[1] ـ المصدر السابق : ص 39 ـ 40 .

لتقديم بقية الطلاّب هنا في هذا المقام أهمية كبرى في صياغة فكرة عــن هواجــسهم وأفكارهم وتصرّفاتهم فهم طلاب ينتمون لمعهد ديني بنظام داخلي صارم ولا يخفى ما للحياة الدينية من جديّة .

وهم مجموعة من الطلاّب في مقتل العمر وحداثة السن ، وفيهم ممن يمــرّ بمرحلــة المراهقة ، لم يهتم السارد بضبط أعمارهم وتحديدها ،أو بوصف أشكالهم ،وانتمــاءاتهم الطبقية بقدر اهتمامه بتحركاتهم وممارساتهم السويّة والغير سويّة وحتى الشّاذّة .

الضغط النفسي والكبت والمنع والقوانين الرادعة التي يفرضها المعهد بنظامــه الداخلي أفرزت تناقضاً حاداً في نفوسهم ، فبين الالتزام بتــدارس القــرآن وحفظــه والصلاة والمواظبة على الدروس الدينية ،وارتداء الزي الديني (الجبّة والعمّة) وحيــاة المشيخة وما يقابلها من استجابة لنداء النفس والروح واللهفة لاكتشاف الحياة بمطلقهــا مسافة فجّرت التناقض وزادت من حدّته ليبلغ بهم الأمر إلى التمــرّد عــن القــوانين، والفرار من المعهد خفية لحضور عرض في دار السينما التي تعــدّ مــن المنكــرات، والأماكن المشبوهة في عرف المعهد الديني وكل المؤسسات الدينية ومن لهــم توجّــه ديني .

بعد التخطيط والتنسيق بين الطلاّب للهروب من منازلهم في عطلة الأســبوع باتجــاه السينما ، إذ صوّر السارد الطلاّب وهم يتخلصون من زيّهم الديني بطرق مختلفة بــدءاً بسامي و ورفيق و ثلاث طلاب ، يبدأ السارد بوصف سامي وهو يخطط للهروب مــن

البيت متخلصا من زيه الديني ثم الالتقاء برفيق الذي تخلّ هو الآخر بطريقته الخاصّة من زيّه الديني ، ومن ثمة الالتقاء برفاقهم الثلاثة الذين وجدوهم لا يزالون مرتدين جببهم وعممهم ، فسامي " ...قصد غرفة الاستقبال وأخذ جبّته فلفّ بها عمّته ، ثمّ أدخلها برفق تحت إحدى الأرائك، حتّى إذا تيقّن من أنّهما غير ظاهرتان للعيان ، خرج على مهل وفتح الباب الخارجي ، ومضى مسرعاً ، وهو يشعر بأنّه أصبح خفيفاً رشيقاً للمرّة الأولى منذ بضعة أشهر ، وكان صديقه رفيق أوّل من رآه في المكان الذي تواعدوا للقاء عنده وعجب أن يراه حاملاً في ذراعه سلّة متوسّطة الحجم ، وإذ سأله عمّا فيها أزاح رفيق ورقة كانت تغطي وجه السلّة ، فظهرت العمّة و تحتها الجبّة ...وإن هي إلاّ دقائق حتى أقبل الرفاق الثلاثة الذين كانا ينتظرانهم ، فاستغربا أنّهم لا يزالون يحتفظون بزيّهم الديني ، ولكن ما لبث اثنان منهم أن دخلا دكاناً قريباً ثمّ خرجا منه بلا جبّة وعمّة ، وأمّا الثالث فقد انتظر حتى وصل رفيقاه ، فاختبأ وراءهما في الظلام ثم نزع عمّته عن رأسه فحلّ المنديل عن الطربوش بعد أن خلع جبّته وطواها في صحيفة كانت معه ، وأخرج من سترته نظّارتين فوضعهما على عينيه ثمّ قادهم إلى السينما "[1] .

المغامرة والمجازفة والتمرّد وحب الاكتشاف ، دعتهم للتخلّص خلسة من الزي الديني ، تحت قيادة احد الطلاب والذي بدا متعودا عن زيارة السينما وغيرها من

[1] ــ المصدر السابق : ص 49 ــ 50 .

الأماكن التي لا تليق بالشيوخ ، وهو الذي لم يكتف بقيادتهم للسينما بل إنهم دعاهم لزيارة مكان آخر بعد الخروج وهذا المكان سكت السارد عن تسميته ولكن رفض سامي ورفيق للذهاب معهم تظهر أنّ المكان حانة أو مرقص أو بيت دعارة " وخرجوا من السينما في ساعة متأخّرة من الليل ، واستحثّ هو صديقه رفيق للعودة ، ولكنّهما فوجئا بأنّ رفاقهما من الثلاثة الآخرين واقفين يتشاورون فيما بينهم ، ثم يلتفت أحدهم فيدعوهما إلى مرافقتهم إلى مكان قريب لم يذكر ما هو ، ولكن رفيق يسرع إلى الرفض ، أما هو فلم يفهم إلى أين دعاهما زميلاهما ، ولم يفهم لماذا رفض رفيق ، ولم يحاول أن يسأله في ذلك حين استقلاّ الترام عائدين إلى منزلهما. "[1]

أسرع رفيق للرفض لأنه يعلم ماهية المكان الذي سيتوجه له رفاقهما ، وعدم فهم سامي كان بسبب انضمامه بعدهم جميعاً للمعهد ، وهو لم يتعوّد بعد على خططهم ومغامراتهم التي هي تعبير عن الرفض لواقع صارم يعيشونه بسبب انخراطهم في الحياة الدينية في مرحلة عمرية لم يتبلور وعيهم لدرجة اختيار مصير قد يكون لصيقا بهم طوال حياتهم .

الطلاّب كانوا يقتنصون فرص العيش بلا قيود وممارسة ، فهم يصعدون إلى سطح بناية المعهد للتدخين خلسة عن عيون الإدارة والقائمين على شؤون المعهد ، ويسترقون النظر إلى "...طيف فتاة يلمّ بالنافذة وعاد الطيف بعد دقائق يقف خلف

[1] ــ المصدر السابق : ص 50 .

الشباك ، فإذا هي فتاة شقراء الشعر ناضرة الجمال ، ترتدي ثوب نوم أزرق ، وترفع بصرها تنظر إلى القمر،ترفّ على وجهها ظلال الغبطة والرضا ...وحين رفعت ذراعها فأسدلت الستار على النافذة ..."[1] .

ارتياد السينما والتدخين وملاحقة الفتيات بالنظرات من المحظورات بالنسبة لمن انخرط في الحياة الدينية الصارمة ، مع ذلك يصور لنا السارد هذه الممارسات كأفعال مسندة لطلاب وهم مشاريع شيوخ ولا شك في أنّ المغامرة والتمرّد وحب التجريب والاكتشاف هي الدافع الأساس في ذلك وأكثر.

جانب آخر خفي في حياة الطلاب في المعهد الديني بنظامه الداخلي ، وهو شذوذ فئة من الطلاب وممارسات جنسية مثلية ، وقد مرّر السارد صورة من صور هذه الممارسات عبر صوت سامي "...واستبدّ به قلق غريب تلك الليلة ، فظلّت عيناه مفتوحتين ردحاً طويلاً ، وكان يوشك أن يغمضهما حين رأى في الظلام شبح رفيق له يدخل غرفتهم ، فيقترب من سرير رفيق آخر ، ويبدآن يتهامسان ...ولم يلبث طويلاً حتى سمع هسهسة قبلات وتنهّدات ..."[2]

من مظاهر الشذوذ والنهم الجنسي وصولاً إلى حركات تبؤ بالجنون وهذا ما نقله السارد عن أحد الطلبة اسمه عبد الكريم كان غريب الأطوار وهذا ما تحدّث به رفيق

[1] ــ المصدر نفسه: ص 47 ــ 48 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 48 .

لصديقه سامي "...وجاءه صديقه رفيق بعد ذلك بأيام يخبره بأنّ كلاماً خفياً يسري بين الطلاب بأنّ الناظر قد فاجأ زميلهم عبد الكريم مساء اليوم السابق وهو في حالة مريبة ، وظل هذا الكلام غامضاً مبهماً في ذهنه ، فنظر إلى رفيق يستوضحه من غير أن يتكلّم..."[1] ، بعد اندهاشهما مما كان قد بدر عن عبد الكريم " ...راحا يتحدّثان عن عبد الكريم و يبتعثان كل ما يعرفانه عنه فقد كان شرهاً غاية الشراهة يلتهم في دقائق ، حتى إذا أتى عليه رفع بصره يجيله في طعام الآخرين ، ثم يمكث ينتظرهم ليأكل فضلاتهم من غير تردّد ..وكان هذا النّهم يتجلّى خاصة في عينيه ، إذ كانتا تجحظان وتتسعان وينبعث منهما نور غريب ، وكانت تبدو منه إلى ذلك حركات عجيبة لم يكونوا يجدون لها تفسيراً ، فيغادر الصف من غير أن يردّ على المعلّم يسأله عن سبب خروجه ، وكان أحياناً أخرى ينحني فوق طاولته ويروح في نوم عميق ، ومن غرائبه أنّه لا يني يستعدي الأقوياء من الطلاّب ويتحدّاهم لينازلوه في ألعاب القوى كالمصارعة والملاكمة وحمل الأحجار الثقيلة ، فلا يستجيبون لتحديه ..فإنهم مازالوا يذكرون أنّه كان يوماً يتنافس مع أحدهم في لعبة صراع اليد فلما غلبه هجم عليه فحمله يتنافس بين ذراعيه ثم ألقى به أرضاً وراح يضربه بقبضة يده ضرباً متّصلاً لم يُنْجه منه إلاّ تدخّل بعض الرفاق ..."[2]، لم يكن كريم طالباً طبيعيا ،وقد ثبت بعد ذلك بأنّه مصاب بمرض

[1] ــ المصدر السابق : ص 46 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 56 .

عقلي " ...ومضت بضعة أيام فلاحظ الجميع فيها تغيّب عبد الكريم عن المعهد ، ثم علموا أنّه نقل إلى مستشفى الأمراض العقلية"[1] ، لم يكن عبد الكريم لوحده يمثّل حالة شاذّة ومتفرّدة في وسط الطلاّب بل "... كان في المعهد طالب آخر ينتمي للجيل السابق من المشايخ يثير فضولهم وتساؤلهم ، وقد ظلّ هو أيّاماً طويلة لا يعرف أنّ هذا الطالب هو أخو صديقه عزيز ، كان يسوق حياة عزلة لا يكاد يكلّم أحداً أو يجتمع بأحد، وكانوا يرونه يطوف أرجاء الحديقة ردحاً من الليل ، ولا يأوي إلى فراشه إلاّ وقد أنهكت قواه ، وبقدر ما كان عبد الكريم شرهاً أكولاً كان زهير قليل الطعام هزيلاً ..وبقدر ما كان الطلاّب يتجنّبونه وينفرون منه ، كانوا يميلون إلى أخيه عزيز ويلتفّون حوله ، وقد توجّه إلى عزيز يوماً بسؤال عن أخيه ، فكان جوابه أنّ زهير يعاني من بعض العقد النفسية يحاول هو جاهداً أن يحرّره منها ، وذهب عزيز إلى أنّ أخاه إنسان شديد الذكاء مرهف الحس ، بل هو يحسبه عبقرياً حين يحدّثه فيجده في حديثه عمقاً وتبصّراً وحكمة ، وأنّه لا بدّ من أن يتخلّص من شذوذه ذلك ، فيعود إلى مخالطة الناس"[2].

للتعريف ببعض الطلاب وبما يعانونه من أمراض نفسية وعقد متراكمة ، كان لزاماً نقل نصوص من الرواية تصف تحركاتهم وأجواء من حياتهم التي يحكمها انضباط قانوني في معهد داخلي .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 56 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 58 .

يتابع السارد تطوّرات وأخبار الطلاّب ، فينبؤ القارئ بتعافي عبد الكريم وخروجه من مستشفى الأمراض العقلية ثم زواجه ، وقد جاء ذلك في معرض الحديث عن حالة سامي ووصف علاقته بالوسط الطلابي والنظام الداخلي في المعهد الديني: " ...وقضى بعد ذلك بضعة أيام في قلق ممضّ على صديقه ، وفي هذه الأيّام سرى النبأ بأنّ عبد الكريم قد خرج من مستشفى الأمراض العقلية ، وأنّه سيتغيّب بضعة أيّام لأنّه قد تزوّج ، وحين عاد عبد الكريم، كان يحمل مع محفظته ، كيساً كبيراً وزّع عليهم منه ملبّس العرس ..وكان يبدو ، إذ يبتسم لهم جميعاً ، أنّه قد هدأ ، وخبا ذلك النور الغريب الذي كان ينبعث من عينيه ، وحين كان كلّ طالب يهنّئه بالزواج ، كان يردّ عليه بقوله (العقبى لك) فينصرف كلّ طالب، وهو يفكر بهذه الكلمة ، ويستشعر مزيجاً من الفرحة والأسى ..."[1] .

" وبعد بضعة أيّام ، بلغهم في ساعة واحدة نبآن : موت عزيز وجنون أخيه زهير ، واهتزّ المعهد كلّه للنبأين ، وبكى الجميع بحرقة على عزيز ، وشيّعوا جنازته بحسرة عميقة ، وكان هو أشدّهم أسى وأعمقهم حزناً ، وأحسّ أنّ هذا الحادث سيكون آلم ذكرى من ذكريات المعهد في نفسه ، وأيقن أنّه فقد صديقاً كبيراً لن يحظى بمثله بعد ، وكتب قطعة رثاء صادقة بعث بها إلى المجلّة التي كانت تنشر لصديقه الراحل

[1] ــ المصدر السابق : ص 58 ــ 59 .

قصصه المترجمة ، وترقرقت في عينه دمعة حين رأى كلمته منشورة في المجلّة ..."[1]

.

إلى جانب هذا تسرد الرواية مشاهد من الشغب الطلاّبي و بعضا من الكمائن والمكائد التي كان يضعها بعض الطلاّب للتندّر بالشيوخ ولإقناعهم في مواقف محرجة أمام الملأ "...وكان الطلاّب في قاعة الطعام ، انبعث من طاولة الشيخ فرفور مفرقعة صغيرة لم تلبث أن تبعتها سلسلة من المفرقعات ، وإذا الشيخ ينهض من مجلسه ، وهو يحسّ أنّ صوت المفرقعة ينبعث من مؤخرته ، ويأخذ يدور على نفسه مذعوراً لا يعرف ما يفعل ، و المفرقعة لا تزال مشتعلة تبعث طلقات صغيرة لا تنقطع ...وحين صمتت الطلقات ، كان الشيخ قد بلغ في دورانه وسط القاعة ، فوقف يلهث ، ثم رفع يديه إلى السماء وانفجر صائحاً : غضب الله عليكم جميعاً يا مشايخ النحس ! ..."[2]

ينقل السارد مشاركة الطلاّب بعضهم بعض الأفراح والأحزان في جو أخوي تسوده الألفة والمحبّة ، فعلاقتهم ببعض تعدّت علاقة الزمالة والالتقاء في قاعة الدرس ، فمن كان له فرح لا تكتمل فصوله إلاّ إذا شارك رفاقه في ذلك ، ومن أصيب بخطب جلل اهتز بقية الطلاّب وتكاتفوا لمساندته والوقوف معه لتجاوز محنته .

[1] ــ المصدر نفسه : ص 59 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 44 .

الطلاّب كانوا متفاوتين في السنّ ، وهم مقسّمون إلى دفعات لكن ذلك لم يمنعهم من الاندماج سوياً لا سيما أنّهم تحت سقف نظام داخلي .

أمّا فيما يخصّ تلقّي الدروس وانسجامهم مع الشيوخ والمواد المقدّمة فقد سبق العرض لها ضمن الحديث عن الإدارة مشكّلة من الناظر والرئيس، والشيوخ والمناهج التي كانت مقررة عليهم .

ب ـــ شخصيات رواية الحي اللاتيني :

ـ الشخصيات الرئيسية :

01 ـ الشخصية المحورية / البطل بالمفهوم التقليدي :

هي الشخصية الأبرز والأكثر حضورا تساهم في بلورة الأحداث ودفع درجة السرد وصياغة الأحداث ، تمثّلت الشخصية المحورية في شاب يبلغ من العمر خمسا وعشرين سنة سافر إلى باريس قصد مواصلة دراسته ، هو طالب يعدّ أطروحة دكتوراه في الأدب العربي جرّده السارد من الاسم ، فالحديث عنه في نسيج السرد كان بصيغة الغائب والمخاطب ، لم يكن شاباً جميلاً بل كان شكله عاديا وكانت له بشرة تغزوها سمرة كسبته رجولة تجذب المرأة الغربية .

الشخصية المحورية وبخلفية تفكيره الشرقي، كان يرى سفره إلى باريس فسحة لإطلاق نفسه على أعنّتها ولاستنشاق الحرية" سيكون في الحي اللاتيني، سيحقّق الحلم

المستحيل بعد ردح قصير ، ستبدأ الحياة التي ما انفكّ يعيشها في الخيال ، منذ تهيّأت له أسباب السّفر إلى باريس "[1]

الحرية عند البطل ، مفاهيمها تبدأ بمحاولات عديدة لاكتشاف عالم المرأة ، هــذا العالم الذي ظلّ محاطاً بكثير من التخيّلات التي يرسمها الشاب المشرقي ، وهو فــي عالمه المعزول محفوفاً بالكبت والمنع والرّدع "...إنّه يريد أن ينسى حداثته وأصحابه ، وبضع فتيات عبرن حياته بغموض ، ليبدأ من أوّل الطريق ، إنساناً جديــداً ، يــستلهم الحياة شخصية جديدة ..."[2]، فالشرق كان الماضي بالنسبة للبطل والغــرب هــو أمــل منتظر وها قد تحقق .

التوجّه لباريس عاصمة الجّن والملائكة كان بالنسبة للبطل لغاية ظاهرية وهي الدراسة والحصول على شهادة عالية ، ولظاهرة خفية وهي الهروب من عالم الــشرق المكبّــل بالممنوعات والمحظورات التي يراها البطل جزء من اكتشاف الحياة ومتعها .

يلحظ القارئ/ المتلقي وهو يتصفّح القسم الأول والثاني وجزءا من القسم الثالث ، رصد السارد لعلاقات البطل بمجموعة من الفتيات الغربيات منهنّ من كانــت متعــة عابرة ومنهنّ من ربطته بها علاقة عاطفية لم تتعدّ الانبهار بها كامرأة غربية متحــررة

---

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني (رواية) ، شركة النشر والتوزيع (الدار البيضاء)ــ دار البيضاء، دار الآداب (بيروت ــ لبنان) ، ط 16 ، 2006 ، ص 09 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 05 .

ومنهنّ "جانين " التي أحبّها بصدق وعاشرها ، واكتشف ذاته مـــن خلالهـــا ، ومعهـــا عرف كيف يشقّ مستقبله، رغم أنّ العلاقة انتهت بفشل ذريع سببه اختلاف الثقافـــات ، وتعارض أهداف الحياة عنده وعندها ثم فراق .

يقول السارد واصفاً استقبال البطل لهذا العالم الجديد وهـــو مكلّـــل بمجموعـــة أمنيات محاولا التقرّب من المرأة كيانا وإنسانا ، ونصب عينيه دوما المقارنة بين المرأة التي تركها في شرقه والمرأة التي وجدها في الغرب / باريس. " ...لا ، لا تحـــاول أن تحتجّ أو تنكر، أجل شرقك ذلك ، لم يغركَ بالهرب منه سوى خيال المرأة الغربية سوى اختفاء للمرأة الشرقيّة في حياتك ، إلاّ أن تطلّ في بسمة لا تزيد الحرمان إلاّ حرماناً أو أن تشعرك بوجودها بلمسة تائهة ، خائفة ، بعيدة ، تملأ ذاتك بمئة عقدة ، وتميت فيـــك ثقتك برجولتك، أو أن تسعى أنت إليها حين تشعر تارة بالغربة الروحية مـــع امـــرأة لا تعطيك إلاّ جسداً فيه برودة الثلج ، وطوراً بالاشمئزاز والغثيان يتنـــافس فـــي خلقهمـــا عشرة أسباب على الأقل ...هكذا عرفت المرأة في شرقك ، فعرفت الخوف والحرمان والكبت والشذوذ والانطواء والخيال المريض ، عرفت الخيال على أيّ حال ، فكان لك فيه منجى من نفسك وجوّك ومحيطك ومجتمعك ، وقد أمسك هذا الخيال بذهنك ، فقاده إلى البعيد الذي خلقت إطاره في وجدانك فصول من الكتـــب ، أو مغـــامرات صـــديق ...وأصبحت يوماً ، فإذا كيانك كلّه ينزع إلى تقريب هذا البعيد، أو الانتقال إليه علـــى وجه التدقيق، وها أنت اليوم عائش فيه ، هذا البعيد ، الذي أضحى قريباً حميمـــاً بـــين

يديك، فماذا أجداك العيش فيه ؟ لقد هربت من جراحاتك في دنياك الشرقية ،فما الـــذي أبته من الهرب إلى هذه الدنيا الغربيّة؟..."[1].

الصورة التي قدّمها السارد للبطل هي نموذج للشاب الشرقي التي تكبّله عـــادات وتقاليد ونمطية في التفكير ، لكنّ البطل ورغم خجله المبالغ فيه حاول التخلّص من عقد متراكمة للوصول موازنة بين الحفاظ على الهويّة والانفتاح على الآخر / العالم الغربي .

شخصية البطل شخصيّة قومية ، حامل لهموم أمة ، مؤمن بعدم التخلي عـــن القـــضايا الوطنية ، ولطالما جمعته جلسات وحوارات مع طلاب عـــرب فـــي الحـــي اللاتينـــي يتناقشون في قضايا الفكر والأدب والثقافة ومشاكل الوطن الكبير .

مزجت شخصية البطل بين الجديّة واللامبالاة وجرّب ألوان العبث من مقـــامرة ومغامرة وما شابهها ومعاشرة فتيات باريس ومدنها المجاورة ، جال وصال في مسارح باريس وفي السينما وفي المقاهي والمراقص ، فكانت تجربة لحياة شاب مقبـــل علـــى الحياة بقلبه وعقله وروحه وكل كيانه .

في نهاية الرواية ناقش البطل أطروحته وكُلّلت بالنجاح وتوّج بشهادة الدكتوراه .

وفي فترة مكوثه في باريس كان قد بمجموعة من الـــشباب الطـــلاب العـــرب الثائرون، والرافضون لوضع عربي متشرذم ، وقوميون ومثقفون وناشطون ومـــشاريع

[1] ــ المصدر السابق : ص 25 .

أدباء ، وآخرون منسلخون من هوياتهم وفاشلون في دراستهم التي هي السبب الـــرئيس الذي أبعثتهم لأجله أوطانهم ، لكن تاهوا في الدروب وأخذهم بريق الحضارة الغربيـــة فنسوا الغاية الكبرى لتواجدهم في باريس .

02 ــ جانين مونترو:

فتاة جميلة تتوقّد ذكاء وفطنة ، وهي طالبة في كلية الحقوق[1]،" قدمت حديثاً إلى باريس من قرية صغيرة بالألزاس لتتخصّص في الصحافة بإحدى مدارس العاصمة"[2] ، وفـــي لقاء لها مع الشخصية المحورية أخبرته بأنّها" ... وصلت منذ أيام فقـــط ،واســـتأجرت غرفة في ذلك الفندق ريثما تبحث عن أسرة فرنسية تنزل لديها"[3] قالت ذلك "ولم يخـــف عليه أنّها كانت تقصد إلى الاقتضاب قصداً " [4] .

جانين فتاة تعشق دراستها وثابر من أجل النجاح ، تدرس بالكلية وتعمل بمخزن من أجل الحصول على أموال تدبر بها شؤونها ، تعمل بمخزن وهي غير راضية عـــن

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 87 .

[2] ــ المصدر السابق: ص 94

[3] ــ المصدر نفسه : ص 94

[4] ــ المصدر نفسه : ص 95

عملها فيه وتبحث عن صحيفة أسبوعية لتقدّم فيها روبورتاجات[1] ولكن فرص العمل قليلة ونادرة ، إذ لم يسعفها الحظ للحصول على ما تبتغيه.

في سياق سرد الأحداث تبيّن أنّ لجانين موقف من الحركات الاستعمارية في إفريقيا الشمالية ، إذ تتحدّث وتقول :"...أنا أطالع كثيراً من الصحف اليوميّة ، وجميع الصحف المهتمّة الآن بأنباء الاضطرابات في إفريقيا الشمالية ، وأصارحك القول ، بهذه المناسبة ، إنّي لا أستطيع أن أفهم سياسة القمع والإرهاب التي تسلكها حكومتنا هناك "[2].

لقاؤها الفعلي الأول بالشخصية المحورية كان عند باب الفندق ليلا " ...ولم يستطع في الظلام أن يتبيّن ملامحها جليّاً ، ولكنّه أدرك منها وجهاً أبيض وشعراً أشقر ، ثمّ إذ اقتربت منه عينين زرقاوين صافيتين"[3].

كان لقاؤها الأول بالشخصية المحورية سريعاً عابرا ، إذ لم تهتم له رغم أنّه اهتمّ لأمرها " ... وهبط إلى باحة الفندق باكراً في صباح اليوم التالي وكان عليه أن يتّوجّه إلى السربون لسماع محاضرة في الشعر الفرنسي الحديث، ولكنّه أزمع أن يترقّب ظهورها هي فتاة الليلة الماضية ، حتّى لو اضطرّ إلى التضحية بهذه المحاضرة التي

[1] ــ المصدر نفسه : ص 135 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 204 .

[3] ــ المصدر السابق: ص 86 .

كان يحرص على سماعها أشدّ الحرص، وظلّ جالساً في الباحة ثلث ساعة ، ثمّ رآها تهبط السّلم وهي عجلى ، وتلمّ به دون أن يبدو أنّها قد رأته ..."[1] .

هذا الموقف أدخل كان كفيلاً بأن يوقع البطل في إحراج ، ولكن لم يثن عزيمته على التقرّب والتعرّف بجانين،وقد أدرج السارد هذا المقطع لينبأ القارئ أنّ ثمّة علاقة متينة ستتشكّل بين جانين والبطل .

وقد ثبت له ذلك ففي مساء ذات اليوم وبعد عودته من لقاء جمعه برفاقه العرب " ...كان يسير في شارع سوفلو متّجهاً نحو البانتيون حين لمحها بعيد تنعطف إلى شارع سان جاك، فحثّ خطاه حتّى أدركها حذاء كلية الحقوق فبادرها من غير أن يلقي عليها التحيّة:أتسمحين يا آنسة أن تقولي ما معنى هذا كلّه!؟"[2].

كان يقصد بعبارة (هذا كلّه) ذاك التجاهل الذي لاقاه منها ، وقد كانت هذه الكلمة كفيلة في توريط في إحراج إذ " التفتت إليه منتفضة ، وإذ رأته اصطبغ وجهها كلّه احمرار، فقال في نفسه : (لقد أدركتْ أنّني فتى البارحة) ، ولكنّها ما لبثت أن توقّفت وشعّت عيناها ببريق غريب ، وقالت له بلهجة تنبض عصبية:

ــ ماذا تعني يا سيّد؟ ثمّ كيف يحقّ لك أن تتحدّث بهذه اللهجة إلى من لا تعرفه؟"[3].

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 86 ــ 87 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 88 ــ 89 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 89 .

كانت ردّة فعلها قد أثّرت في البطل " فانكمت في نفسه سريعا تلك الجرأة التي ما فتئت تضرم جوانحه منذ الظهيرة ، وفهم أنّه أحمق إذ بادرها بتلك العبارة فلم يسعه إلاّ أن يبتسم ببلاهة ويقول : المعذرة يا آنسة ..."[1].

وبعد ارتباك وإحراج واعتذار، " استعاد ثقته بنفسه ، وانحلّت عقدة لسانه ولم يدر كيف تأتّى له أن يقول : ــ معنى تصرّفك هذا الصباح!

ولم يدع لها أن تعبّر عن استغرابها فأردف ، أن أستفيق باكراً صباح اليوم ، فاهبط إلى باحة الفندق في سبيل انتظاركِ ، وأن تمرّي بعد ساعة من هذا الانتظار ، فلا تلقي بالاً إلى هذا الذي يترقّب ظهورك ، بعد أن قضى ليلة طويلة أرّقته فيها بسمة تقطر بالعذوبة.. وحين فرغ من النطق بهذه العبارة الطويلة أطلق زفرة ممتدّة ، ثمّ نظر إليها يقرأ تأثير كلامه في نفسها ، وسقط عن كاهله كلّ الاضطراب الذي كان يتعثّر به إذ رأى على شفتيها تلك البسمة نفسها ، بسمة الليلة الفائتة ثمّ قالت : أرى أنّ صاحبنا رومانتيكي أكثر من اللزوم!، فلم يفهم من العبارة إلاّ أنّ عليه أن يعرّفها بنفسه ، فقال لها اسمه ثمّ مدّ يده يودّ مصافحتها ، وتردّدت هنيهة قبل أن تبسط له كفّها ، ثم قالت: جانين مونترو.

ورآها فجأة تتوقّف ، وقد اكتسى وجهها بغمامة كدرة ، وتقول له :

[1] ــ المصدر نفسه: ص 89 .

أعذرني ، ينبغي أن أتركك إنّ لديّ بعض الأعمال المستعجلة ، وسرعان ما مضت مبتعدة عنه ، من غير أن تنتظر منه كلمة "[1]

ردود فعل جانين أمام إصرار البطل كشفت عن جانب نفسي في شخصيتها إذ كان في "بسمتها حنان وفي عينيها الغموض "[2] ، لكن البطل فسّر ذلك تفسيراً خاطئا فاعتقد أنّ "هذا الغموض والتردّد والإقدام والإحجام ، ليس من شأنها كلّها إلاّ أن تزيد لهفته إليها ".[3]

لكن الأحداث اللاحقة في الرواية كشفت عن أمور أخرى جعلت من جانين تتعامل معه بجفاء وتبدو له فتاة غامضة .

وقد بدت تتضح أسباب ذاك الغموض رويداً رويداً في اللقاء الموالي الذي كان لقاء قدّم فيه كلا الطرفان أنفسهما وتعارفا ، وبدأ جدار الجليد يذوب .

" ــ أنت شرقيٌّ إذن ؟

ــ نعم ، من لبنان ، وأنتِ؟ هل أنتِ باريسية؟

ــ لا أنّني من (الألزاس)"[4]

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 89 ــ 90 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 90 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 90

[4] ــ المصدر السابق : ص 91 .

في هذا اللقاء يعود السارد ليعيد رسم ملامح جانين التي وصفها قبل وصفا عابراً ، هنا يصفها من خلال عيني الشرقي الذي تتحـدّث إليـه ، بعـد أن حـدّد نظـره فيهـا " ...وأغضت جانين مونترو ، فأدرك هو أنّ نظرته المحدّدة قد آذتها.والحق أنّه لم تكـن له في ذلك حيلة فقد كان في عينيها الزرقاوين صفاء لم يعهده في عينين قبلهما ، وكان يحسّ وهو ينظر فيهما ،أنّ نظراته تستحم في مياهها الدافئة ، بالرغم من أنّها نظـرات خاطفة هاربة"[1]

الغموض الذي كان يسكن عيني جانين كان شاحذا لفضول الفتى الشرقي " شـعر منـذ التقت عيناه بعيني جانين للمرّة الأولى ، بأنّ للمرّة الأولى ، فكان كـلّ همّـه بعـدُ أن يجتذب هذا النظر الهارب ، ويثبّته في نظره ، حتّى يتاح له أن يسبر أغواره ..."[2]

جانين كانت تبتعد عن الشاب ليس لأنه شرقي ، بل لتجربة حب مـرت بهـا وكانـت نهايتها خطوبة ثم خيانة من طرف خطيبها ثم فسخ للخطوبة وقطع لحبل الحب قبـل أن يتم عقد الزواج .

هذه التجربة الفاشلة أدخلت جانين لمنعطف جديد في بناء علاقاتها الاجتماعية ، وصارت لا تثق بالشبّان ، حتى عندما دعاها البطل لشرب فنجان شاي بعـد إصـراره

[1] ــ المصدر نفسه : 91

[2] ــ المصدر نفسه : ص 91 .

استجابت ولم تشأ صدّه وردّه ، لكنّ قبولها لدعوته كان ينبأ بأنّها تضع حدا فاصلا بينه وبينها إذ قالت:" لا مانع عندي من ذلك ، على ألاّ نبقى وقتاً طويلاً"[1].

الجلسة التي كانت بينهما في مقهى (لاسورس) ، أشارت للقارئ أنّ ثمّة علاقة قوية متينة ستتشكّل بين جانين وهذا الفتى الشرقي " ...وجلس قبالتها ، شعر بأنّه مقبل مع جانين منترو على عهد جديد من حياته ، لا يدري من أمره إلاّ أنّه جديد ، لم يخب ظنّه بصفاء نفسها ونقاء سريرتها ..."[2] .

ترتسم صورة جانين صورة لفتاة متناقضة أدهشت الفتى ولم يعرف كيف السبيل لفتح حوار معها دون أن يحرجها أو يقع هو في إحراج خاصة بعد الإحراج الذي أوقعته فيها من قبل وهي تصرّ على صدّه ، وهاهي الآن تظهر في صورة الفتاة الرقيقة الهادئة "...قد أدهشته أن تكون جانين ، تلك الفتاة المتردّدة الحائرة المتقلّبة التي عرفها من قبل ، هي جانين نفسها ، هذه الهادئة الرقيقة الواثقة من نفسها ، لكأنّ ذاتها الأولى كانت مصطنعة ، وكأنّ هذه هي الطبيعية "[3] .

ظلّ الاضطراب والغموض يقاسمها الجلسة في المقهى " ...وكان يحسب أنّه نجح في هدم ذلك الجدار من التهيّب والحيطة الذي كان قائماً بينهما ، إذ فاجأته

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 93 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 93 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 93

بالنهوض، وبأنّ عليها أن تتركه في الحال.يا إلهي أيّ مزاج هذا!، أيكون التردّد والقلق والحيرة هي طبيعتها الحقّ؟ أو يكون حديثها الأول إليه ، وإرهاف سمعها إلى حديثــه ، واهتمامها بأنبائه، أيكون ذلك كلّه هو التصنّع الذي ليس في طبعها؟"[1]

التردّد والخوف من الإقدام على تجربة جديدة لم يختف في تصرفات جانين في اللقاءات الأولى ، حين فاجأته بالنهوض بغية الانصراف تساءل قائلا: " ولكن علامَ العجلــة يــا آنسة جانين؟ فأجابته: إنّه موعدٌ مع زميلةٍ لي من طالبات الصحافة .

ثمّ مدّت يدها تودّ مصافحته ، فأدرك أنّ البطء لا يجدي أمام هذه الكفّ المبسوطة، ولم يسعه إلاّ أن ينهض ، فيقول لها ، وهو يتناول كفّها : حسناً ...ولكن متى نلتقــي مــرّة أخرى! ، فاشتدّ بريق عينيها ، وإن كان صفاؤهما قد اغتلم ، وأجابت في ضيق وبعــد تردّد طويل لم تنجح في إخفائه أو تبريره : أخشى ألاّ يكون ذلك في اســتطاعتي مــرّة أخرى،وفي اللحظة نفسها سحبت كفّها من كفّه، كأنّها شعرت بأنّ أمد التقائها كان أطول ممّا قدّرت، ثمّ ابتسمت له بسمةً أدرك سريعاً أنّها كانت تنبض بالتكلّف ..."[2]

هذه التصرّفات التي تنبؤ بشخصية انطوائية أو لا لباقة لها في التعامل مع الآخــرين ، في الحقيقة هي ليست صفات وسمات لشخصية جانين في الأصل ولكنّها تولّــدت إثــر الصدمة العاطفية التي تمّ الإشارة لها سابقاً.

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 95 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 95ــ 96 .

تحوّلات كثيرة في مسار الأحداث ، وفي العلاقة بين جانين والفتى العربي انتهت بهما لعلاقة عاطفية ثم حب من الطرفين وانسجام ، اعتبر فيها الفتى العربي أنّه التقى بنصفه الثاني ، واعتقدت جانين أنّها دخلت مرحلة جديدة في حياتها ، وبها تستطيع أن تسترجع ثقتها بنفسها وأن تقرّ بأنّ هناك من الرجال يستحقّ أن تهبه قلبها وحياتها وهي على ثقة بأنّه لن يغدر بها كخطيبها (هنري) ، حتى تحطّمت بعد مأساتها الغرامية تلك " ففرّت من قريتها، وكانت تفرّ من قريتها ، وكانت تفرّ من الموت ، لأنّ الرغبة عاودتها غير مرّة في أن تنتحر "[1]، بعد تجربتها العاطفية تلك فقدت الثقة بذاتها وبالآخرين " ...إنّها بحاجة إلى من تثق به ، بعد أن زعزعت ثقتها بالإنسان كقيمة ..."[2].

تحوّلات جديدة في علاقة جانين بالبطل بدأت بسردها لمأساتها العاطفية له " وقد دخل معها غرفتها واستبثّها سرّها وجفّف دموعها بمنديله"[3].

أخذت العلاقة بينها منعرجاً جديدا كانت نتائجه حب عاصف ثمّ حمل جانين من البطل ، هذا الأخير الذي ما أن ذهب إلى بيروت في إجازة ،وتلقى نبأ حمل جانين في رسالة وصلته منها ، حتى قرّر التخلي عنها وعدم الزواج منها ، بل إنّه لم يفكّر بشكل

[1] ــ المرجع نفسه : ص 108 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 114 .

[3] ــ المصدر السابق: 103 .

جدي في الارتباط بها ، بل إنّه شكّك بأن يكون الجنين من شخص آخر، مما جاء في رسالة جانين " ...لقد قصد الطبيب أمس ، فأبلغني أنّي سأصبح أمّا إنّها ثمرة حبّنا يا حبيبي ، ولست أدري ما ينبغي أن أفعله ، إنّ الطبيب لم يخفِ المخاطر التي سوف أواجهها إذا لم أقبل حياة هذا الطفل ، ومع ذلك أنا مستعدّة أن أقدم على جميع التضحيات وأواجه جميع المخاطر ، ولكنّي انتظر منك إشارة لأنني لا أملك وحدي أتخذ قراراً ما ، فماذا أفعل يا حبيبي؟لماذا أنت بعيد عنّي هذا البعد كلّه؟"[1].

بعد صراع مع الذات وشكوك وتحريضات عائلية خاصة من قبل الأم كتب البطل رده الجبان معلناً لا مسؤوليته " صديقتي جانين : تلقيت رسالتك التي تبلغينني فيها أنّك تنتظرين مولوداً ، على ما قال الطبيب ، وقد دهشت حقاً حين فهمت أنّك لم تعلني هذا النبأ لجميع أصدقائك ، وهم ليسوا قليلين ، هؤلاء الأصدقاء الذين أعرف أنّه كان لك مع بعضهم علاقات غير طاهرة ، ما علاقتنا نحن الاثنين ، فأحسبك لا تشكين بأنّها كانت بريئة ، ولهذا أجدني ، وتجدينني أنتِ كذلك غير متأثّر البتّة بهذا النبأ ، وليس لي أن أقدّم لكِ أيّة تضحية أو إشارة ، تحياتي الصادقة لكِ"[2].

[1] ــ المصدر نفسه : ص 213 ــ214 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 216 ــ 217 .

بعد خمسة أيام أرسلت جانين ردا في رسالة قصيرة مقتضبة معبرة تقول لـــه فيهـــا :" شكراً..سأواجه مصيري بشجاعة"[1].

بعد هذا الحدث صار السارد ينقل لنا أخبار جانين من خـــلال دفتـــر مـــذكراتها الأليم، بعد إجهاضها للجنين ، ودخولها في حالة عوز شديد جراء نفـــاد أموالهـــا فـــي العلاج ، بل صارت لا تكاد تجد ما تأكله .

حتى البطل حين عودته إلى باريس لم يجدها في الفندق ، فهي لم تعد قادرة على تسديد فاتورة الغرفة ، وفي المطاف دلّه رفاقه على مكان تواجدها حيث كانـــت فـــي" كهـــف بروغولا في حي سان جرمان ديبريه ببوليفار سان جرمان"[2].

ذاك الكهف الذي يقدنه فتيات يزعمن أنهنّ وجوديات ، والوجودية كما تقول إحـــداهن" أن يعيش المرء هكذا ، عيشة متحرّرة من كلّ شيء بلا مسؤولية!"[3].

جانين في آخر المطاف وبعد انكسار الأمل الذي أضاء عادت لتهتزّ ثقتها بنفسها وبمن حولها أكثر من ذي قبل ، ودخلت في حالة الهوس والعدمية واللامبالاة .

حتى عندما عرض عليها البطل الزواج رفضت ، لعدة أسباب فالحياة لم تعد تعني لهـــا شيئا وطلبه ذاك جاء متأخراً في صيغة الشفقة ، ثمّ هناك سبب أخير لخصته له بقولهـــا

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 223

[2] ــ المصدر نفسه : ص 247 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 248 .

:" ...لقد استعدت ما حدّثتني به أمس عن المستقبل وعن آمالك ، وعن حياة الصراع الذي أنت مدعوٌّ إلى أن تعيشها في بلادك ، فوجدت أنّ دنياك التي تحلم بها أوسع وأعظم من أن يستطيع الثبات فيها شخص ضعيف مثلي ، إنّك الآن تبدأ الضال ، أمّا أنا فقد فرغت منه ، ومات حسّ النضال في نفسي ..."[1].

في آخر الرواية وإثر الصدمة العاطفية اللامتوقعة اجتمعت في شخصية جانين تناقضات عديدة من ضعف إلى لا مبالاة إلى تسامح إلى أمنيات جميلة تزفّها للشاب العربي الذي لم تتوقّع منه أن يوصلها إلى ذاك المآل وهي التي حدّثته عن آلامها وآمالها وجراحاتها ، وهي التي أحبّه بصدق تام لا يخالطه شك.

03 ــ الأم : ظهرت الأم في مواضع قليلة من الرواية وهي امتداد لصورة الأم في الرواية الأولى (الخندق الغميق) ، هي صورة لامرأة شرقية تقليدية ، يصف السارد ملامح وجه الأم بصغره وتجاعيده وإطلالة الهدوء التي تعلوه.

تقليدية الأم تبدو في ثنايا أفكارها التي بثّها السارد في بعض المواضع في الرواية ، فهي امرأة حدّدت مسبقاً وجهة نظرها الخاصّة بالغربيات الأجنبيات المسيحيات ، ومن تلك النظرة راحت تحرّض ابنها على البعد عنهنّ وعدم الاختلاط بهنّ ، وقد أوصته

[1] ــ المصدر السابق : ص 261 .

بذلك عند سفره وأصرّت على تذكيره بالبعد عن الباريسيات في رسائلها "أعود فأحذّرك يا بنيّ من نساء باريس ...وقاك الله شرّ بنات الحرام..."[1] .

انطلاقا من حرصها على ابنها ، تريد الأم أن تختار له بنفسها الفتاة التي تراها مناسبة ، وقد كانت في زياراته تقنعه بناهدة ، وكانت الأم تذكره بها وبغيرها من الفتيات اللواتي تودّ ترشيحهنّ للزواج به وكل ما تقوم به هو صرف نظر وقلب ابنها عن الفتيات الغربيات ، ويتضح ذلك في رسائلها إليه " أخشى يا بني أن يصرفك الغرب عنّا ، وأخشى فوق ذلك أن تسحرك امرأة من هناك فتقع في شباكها ، وتخيّب أمل أمّك الصغيرة بك . إنّ ناهدة تنتظرك يا ولدي أقرأ ذلك في عينيها كلّما زارتنا ، أرى الحنين فيهما كلّما جرى الحديث عنك ،وإن كانت تمسك عن ذكرك ، وأنت تعرف خجلها ، ومع ذلك فإن لم تكن راغبا في ناهدة فهناك نعمت وثريا وهدباء ابنة خالتك ، هناك كثيرات ، عد يا بني لأخطب لك أجمل فتاة وأشرفها وأطهرها..."[2]

الأم في هذه "كانت تلمّ بالفرنسية"[3] ،كانت تتفحّص رسائل "جانين" التي تصل لابنها من باريس[4] ، وهنا يمكن الوصول إلى نقطة جوهرية لدى بعض الآباء والأمهات إذ هم من

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 72 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 162 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 191 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 191

فرط حرصهم على أبنائهم يتدخلون في شؤونهم الخاصّة ولا يسمحون لهم بالاستقلالية في اختيار المصير .

وبالفعل فقد كان لرأي الأم دور فاعل في تغيير رأي الابن ، مع تظافر أسباب أخرى ففي آخر الرواية ترك جانين وتخلى عنها بعد أن صارت بقايا إنسان .

ـ الشخصيات الثانوية :

01 ـ ناهدة :

فتاة لبنانية حاصلة على شهادة الباكلوريا[1] منعت أسريا من مزاولة الدراسة الجامعية ، وتمّ إقناعها بصرف نظرها للزواج ولا فائدة من مواصلة دراستها.

تبدو صورة ناهدة أنموذجا للفتاة الشرقية الخاضعة لما تمليه الأسرة ككفيل ورقيب ، وقد اتضح ذلك في مواقف جمعتها بالشخصية المحورية ، إذ حين سألها عن الفرع الذي ستدرسه في الجامعة " قلبت شفتها السفلى ولم تجب"[2] ، وأجبت والدتها قائلة :" ليس في النيّة أن تتمّ ناهدة التخصّص ...وما جدوى أن تمضي في التخصّص العالي ؟ إنّها لن تصبح محامية ولا طبيبة ولا كاتبة ...غداً يأتيها ابن الحلال وقد آن الأوان!"[3].

---

[1] ـ المصدر نفسه : ص 194 .

[2] ـ المصدر نفسه : ص 194 .

[3] ـ المصدر السابق : ص 194 .

كان الفتى (الشخصية المحورية)، القادم من أجواء باريس متفاجئا بكمّ الضغط الممارس ضدّ الفتيات في الشرق ، إذ كيف لناهدة أن تخضع لقرار أسري ولا تتم دراستها العليا.

في لقاء جمع ناهدة والشخصية المحورية ، تبدو فتاة خجولة ومتردّدة وكلّ ذلك رواسب التربية في الشرق كما يذكر السارد " ...والتقت أعينهما إذ أحسّ كلّ منهما بأنّه يقاطع الآخر ، ثمّ رآها تتراجع فجأة وفي عينيها أثر من خوف ، كأنّما شعرت بأنّها قريبة إليه قرباً لم تكن تقدّره ...رأى الفتاة الشرقية ، الفتاة العربية تتراجع أمام الشّاب أيّ شاب عربيا كان أم أجنبياً أما الرجل ، وعيناها طافحتان بالخوف منه ، رواسب من الخوف تجمّعت أجيالاً في هذه الخطوة"[1].

أمام هذا الموقف ، يبدو السارد لا يقدّم صورة لناهدة فقط ، بل يقدّم صورة للفتاة الشرقيّة أمم صورة لفتيات غربيات عرفهن الفتى العربي ورفاقه في باريس .

ناهدة رفضت هدية الفتى المتمثلة في كتاب يشمل مجموعة مسرحيات لسارتر رفضت الهدية لأنّها رأت عنوانا غير مناسب لتقاليد مفروضة اجتماعيا ، و خشت أن يعثر والدها على الكتاب بحوزتها" وسمعها تقرأ عناوين المسرحيات : الذباب ، جلسة سرية ، موتى بلا قبور ...وتوقّفت عند المسرحية الرابعة تسأله : ما معنى ؟، فأجاب دون أن يحوّل إليها نظره : مومس ، بغيّ ...فانتفضت ناهدة ثمّ قالت وهي تمدّ إليه يدها

[1] ــ المصدر نفسه : ص 196 .

بالكتاب : لا أرجوك، أعطني سواه ، ما عسى والدي يقول إذا رأى هذا العنوان ، وإذا رأى أنّ هذا هو أيضاً الكتاب الذي أهديته إليّ؟"[1].

السلطة الأبويّة والرقيب الاجتماعي هو الذي كان يتحكّم في أفعال وتصرّفات ناهدة ، وقد أدرج السارد هذه الشخصية فمتن الرواية وكأنّ به رغبة لوضع القارئ حيال مقارنة بين صورة المرأة الغربية والمرأة الشرقية ، ناهدة هي نموذج يمثّل فئة النساء في المجتمعات الشرقية في تلك الحقبة الزمنية ، ومع أنّ شخصية ناهدة لم تظهر كثيرا في الرواية لكنّها أدّت دورها المنوط في إجراء المقارنة وتقريب الرؤيا للوقوف على التناقضات بين مجتمعين يعيشان في حقبة زمنية واحدة ، لكن لكلّ مجتمع عاداته وتقاليده ومعتقداته ومجال كلام عن سلبيات ذلك وايجابيته قد يطول ، الغاية هنا تقديم شخصية ناهدة بوصفها صورة للفتاة الشرقية .

02 ــ صبحي :

شاب سوري قدم إلى باريس من أجل استكمال الدراسات العليا رفيق الشخصية الرئيسية ، التقيا على متن الباخرة وفيها تعارفا وكانت وجهتهما واحدة وهي باريس . في كلود برنار تقاسما الغرفة وكان متلازمين ، بعدها فكرا في الانفصال والاستقلال وليكن منهما حقّ في بناء تجربته الخاصّة في بلاد الغرب ، حيث الحرية وحيث الحياة المختلفة عمّا عهداه في الشرق ، ومن ثمّة استأجر كلّ منهما غرفة فردية وخاصة وكانا

[1] ــ المصدر السابق : ص 199 .

في فندقين متجاورين بحيث لم ينقطعا عن بعض بل ظلا على صداقة ، وكان يلتقيان بين فترة وأخرى[1].

لم يهتم السارد بتصوير جوانب كثيرة من شخصية صبحي فهو ليس شخصية بارزة في مجمل الأحداث ، وكلّ ما اهتمّ به هو إبراز مدى استهتاره ولا مبالاته ، ومدى عشقه وولهه بالنساء ويعتزّ كونه زير نساء غربيات ، وكلّما واتته الفرصة راح يسرد مغامراته مع فتيات باريسيات مغامرات كانت بالنسبة له نكهة الكلام وزينة المجالس التي تضمّه ورفاقه العرب الذين قدموا لباريس لاستكمال دراساتهم العليا والتخصّص في مجالات متنوعة من العلوم والمعارف والآداب .

03 ــ فؤاد :

شاب سوري قدِم إلى باريس لإتمام الدراسة في الترجمة ، التحق بمعهد اللغات الشرقية ، طالب تبدو عليه سمات الوقار والرّصانة ، كان من الشخصيات التي لها تأثير بارز في الشخصية المحورية .

يمتلك فؤاد حسّاً ووعياً قومياً قوياً ، وقد كان صاحب مبادرة تشكيل رابطة تضمُّ الطلبة العرب في باريس ، وقد اقترح ذلك على الشخصية المحورية بعد فراغهم من مشاهدة مسرحية (العادلون) لألبير كامو[2] .

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 09 وما بعدها

[2] ــ المصدر السابق : ص 233 وما بعدها

صوّر السارد شخصية فؤاد شخصية لها من النبل النصيب الأوفر ومن الإنسانية أرقى المستويات ، حتّى أنّ الشخصية المحورية كان يراه قدرة ونموذجا يحتذى ، إلى درجة أنّه كان يعتقد أنّ فؤاد معصوم من الوقوع في شراك الحب .

فؤاد كان قد تخلّى عن صديقته فرنسواز بعد جدال حول السياسية الاستعمارية الفرنسية المنتهجة في شمال إفريقيا ، وقد أوضح الحوار اختلاف وجهتي نظرهما اختلافاً تاما ، فوجهة نظر فرنسواز التأييد المطلق ووجهة نظر فؤاد الرفض المطلق ،وكان هذا التناقض الحاد كفيل بإلغاء الصداقة التي جمعتهما فترة زمنية ، تخلّى عنها فؤاد بعد إيمانه بأنّ فرنسواز ليست الفتاة التي يطمح بأن تكون زوجة له فهي لا تحمل همّا شرقياً ولا تبالي بآلام شعوب ترزح تحت نير الاستعمار ، يقول فؤاد محدّثاً ومجيبا صديقه الذي سأله إن كان يفكّر بالزواج من فرنسواز :" فكّرت طويلاً في هذا ، ولكنّني انتهيت إلى إلغاء هذه الفكرة ، إنّنا مدعوون في المستقبل يا عزيزي إلى مواجهة كثير من قضايانا القومية التي لا تعني أحداً سوانا ، وأنا لا أعتقد أنّ زوجة أجنبية تستطيع أن تعين زوجها في معاناة مثل هذه القضايا ، إنّني أريد أن تكون زوجتي رفيقة حياتي حقّا ، بكل ما في الرفقة من معنى ، ولئن أنا تزوّجت يوماً ، فلن أتزوّج إلاّ فتاة عربية ، وإنّ فرنسواز تعرف ذلك الآن!"[1]

[1] ــ المصدر السابق : ص 145 .

فؤاد من الطلاّب العرب الذين كانوا في باريس يتحرّقون شوقاً لإتمام دراساتهم والعودة إلى أوطانهم للشروع في نشر الوعي القومي والنضال ، على أنّ ذلك لم يمنعه من أن يعشق الحياة في باريس التي بلورت وعي وصاغت فكره للانطلاق في بناء مستقبل أفضل هناك في بلاد الشرق .

04 ــ فرنسواز :

فتاة فرنسية على قدر كبير من الجمال والجاذبية تعمل أمينة في إحدى المكتبات بباريس[1]، كان بينها وبين فؤاد صداقة وإعجاب ، انتهت بتخليهما عن بعضهما البعض ، فلكلّ منهما آراؤه التي تتناقض مع الطرف الثاني كما سبق الإشارة آنفا.

لم تحظ شخصية فرنسواز بحضور مكثّف في الرواية فهي من الشخصية التي حضرت لصياغة الأحداث ولتوضيح رؤى متباينة بين عالمين الشرقي والغربي.

05 ــ تيريزا:

امرأة في سن السادسة والأربعين ،تشتغل خادمة بفندق "ليغران زوم " الذي نزل فيه الشخصية المحورية ، وكانت صورتها وحضورها بالنسبة له امتثال لصورة والدته وحضورها ، ومن ثمّة نشأت ألفة ومودّة بينهما ، وحدّثته عن بعض شؤونها .

تيريزا امرأة فرنسية أرملة فقدت زوجها في الحرب العالمية الثانية ، تعيش تيريزا لإعالة أبناءها الأربعة كبيرهم لم يتجاوز سن الثانية عشر[1] .

[1] ــ المصدر نفسه : ص 144 .

تيريزا نموذج للمرأة الأوربية المكافحة والتي تتحمّل وزر حروب وصراعات نشبت وخلّفتها وأطفالها للحياة وشظف العيش .

ج ـــ أبعاد الشخصيات في رواية " أصابعنا التي تحترق " :

ـ الشخصيات الرئيسية :

1 ـ سامـــي ميمون :

شاب لبناني ، نشأ نشأة دينية في صباه[2] ، وفي مرحلة شبابه وبعد التحاقه بالتعليم المدني وتخليه عن التعليم الديني ، اشتغل بالصحافة[3]، لكنّه سرعان ما ترك مهنة "الصحافة "، والتحق بإحدى الجامعات الباريسية فتحصّل منها على درجة الدّكتوراه في الأدب العربي ، فاكتسب ثقافة أدبية وفلسفية فرنسية ، وأُتيح له أن يبرع في ترجمة نصوصها ، خاصّة المتعلّقة بالفلسفة الوجودية السارترية[4] ، وقد نشر تلك النصوص عبر صفحات مجلة " الفكر الحر " ، التي أسّسها بعد عودته من " باريس" بالاشتراك مع صديقيه " سمير " و " ضياء " [5] ، لكنّه سرعان ما استقلّ بها

---

[1] ـ المصدر السابق : ص 99 .

[2] ـ سهيل إدريس: أصابعنا التي تحترق(رواية) ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط08 ، 1998 ، ص 141 .

[3] ـ المصدر نفسه : ص102 .

[4] ـ المصدر السابق : ص 105 .

[5] ـ المصدر نفسه : ص 10 .

لوحده وأنشأ دار نشر تابعة لها بالاشتراك مع صديقه الشاعر " عصام الحلــواني "[1] ، وقد أطلق على دار النشر ــ أيضاً ــ اسم " الفكر الحر "[2] .

ألّف رواية بعنوان " على ضفاف السين "[3] ، دوّن فيها مرحــلة حياته خلال إقامتــه بباريس ، كما رصد فيها صور الصراع الحضاري القائم بــين الثقــافتين الــشرقية / العربية بروحانيتها المتجذّرة والغربية / الأوربية بماديّتها الصارخة .

تميّز بنشاطه القومي ، وطموحه الجامح ، حيث حمل على عاتقه نشر الــوعي القومي في أوساط الجماهير ، وقد بدا عبر كامل صفحات الرواية ، ملتزمــاً بالقــضيّة القومية ولم يحد عن فكرته قيد أنملة ، ولم يتزعزع إيمانه بها ، وقد سعى بكل ما أوتي من جهد من أجل إنجاحها والترويج لها ، واعتمد في ذلك عدّة وسائل ؛ مثل : تنظــيم الملتقيات والاجتماعات والمهرجانات الخطابية التي تعرّف بالفكر القومي وتُشيد بأهميته للشعوب العربية التي تعرّضت للتفكّك والتشرذم بفعل الاستعمار . وفي الوقــت نفــسه كان عضواً نشيطا في جمعية أدبية في " بيروت "[4]

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 211 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 187 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 36 .

[4] ــ المصدر السابق : ص 94 .

عُرف "سامي " بتمجيده لحرية الفكر والتعبير , وشعوره بالمسؤولية تجاه قضايا الأمّة العربية ، ورفضه لأيّ التزام حزبي ، وكان ذلك بموجب تأثّره القوي بالفلسفة الوجودية على وجه العموم والسارترية* على وجه الخصوص وقد ظهرت ملامح هذا التأثّر في كثير من مواقفه في الرواية ، والتي سيتمّ التعرّض لها بالتحليل والمناقشة لاحقا .

من الجوانب السيكولوجية / النفسية المتعلّقة بشخصية "سامي" ، تميّزه بـ «... نرجسية كثيفة في بعض الأحيان , قاسية مبهمة ...»[1]. فبإشرافه على قراءة وتصويب المقالات التي ترده من أجل النشر في مجلة " الفكر الحر " وتصحيحه للكتب التي تنشرها دار النشر التابعة لها أصبح يحسّ نفسه فعلاً ؛ " ... متعهّد أدباء ..."[2] ، وقد بدا عليه الشعور بالفخر والاعتزاز عندما وصفه أحد أصدقائه بقوله بأنّه : " راعي الأدب, وحامل أعباء الأدب ..."[3] ، كما يعتبر أنّ له الفضل الكبير في اكتشاف المواهب الأدبية الصاعدة من خلال تشجيعه للشباب ونشره لقصائدهم وقصصهم ومقالاتهم عبر صفحات مجلّة " الفكر الحر " .

---

* ــ نسبة إلى الفيلسوف الوجودي الفرنسي الشهير ، " جان بول سارتر "

[1] ــ مطاع الصفدي : الشهادة في أصابعنا التي تحترق , مجلة الآداب ،مج 1 , ع 10 ، بيررت , لبنان ، 1962 , ص 15 .

[2] ــ سهيل إدريس : أصابعنا التي تحترق ، ص 248 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 182 .

تميّز " سامي " ــ أيضا ــ بكثــرة علاقاته العاطفية مع الفتيــات مما أغرقه في هوّة الخيانة الزوجية ، وأودى به إلى الدّخول في دوّامة الصراعات النفسية مع ذاتــه ، بحيث أصبح يشعر بالذّنب وفصم عُرى العهد الذي بينه وبين زوجته " إلهام " .

ركّز السّارد على وصف " ســامي " بالخجل المفرط ، عندما يُعــرّض محدّثــه لإحراج لم يقصده ، فيحاول الإسراع في تدارك الموقف خشية تعرّض محدّثه للإحراج هو الآخر فيزيل عليه " ... ما كان يودّ أن يوفّره عليه من حرج ... "[1].

كما كان "... يبدو لطيفاً جداً ... "[2] ، ولعلّ هذا هو السّبب في انجــذاب الكثيــر من الأدباء إليه رغم التصادم الإيديولوجي الذي يكون بينه وبينهم .

أمّا الجانب الفيزيولوجي / الجسمي لــ" سامي " فلم يركّز عليه السّارد إلاّ مــا جــاء عرضاً

كوصف " إلهام " لصوته بقولها :" إنّ في صوته خشونة ، ولكن فيــه حناناً عجيبــاً... "[3] ، واتّصافه بــعينين عسليتين[4] .

---

[1] ــ المصدر نفسه: ص 12 ــ 13 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 149 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 141 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 150 ــ 161 .

وعلى الصعيد المالي / الاقتصادي (مستوى المعيشة) , فقد كان سامي مثالا للذي يعاني ضيقاً مادياً ، لكنّ السارد حاول أن يصوّره مصطبراً على ذلك راضياً بمستواه الاجتماعي , فإلى جانب انشغاله بأعباء المجلّة لجأ إلى مهنة التدريس بحيث التحق بمعهد " بكفيا " لتعليم اللّغة العربية للأجانب[1] ، ليتمكّن من تقاضى راتب شهري معتبر ، يضيفه إلى المبلغ المالي الزهيد الذي يتحصل عليه كمردود من المجلّة ودار النشر ، وبهذا العمل الإضافي استطاع أن يخدم فكرته القومية ، حيث تولّى تعليم الأجانب اللّغة العربية التي هي أبرز أركان الفكر القومي , وضَمن الحصول على مبلغ مالي معتبر ؛ يساعده على تسديد ديونه ، ومشاركة ذويه في نفقات البيت[2] ، وتأثيث بيته حيث أنّه كان مقبلاً على الزواج[3] .

عموماً ، فإنّ السارد لم يهتم بتصوير الجوانب السيكولوجية / النفسية و الفيزيولوجية، لشخصية " سامي " بل كان كلّ همّه أن يبلغ القارئ / المتلقّي أن

[1] ــ المصدر نفسه : ص 152 – 159 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 145 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 183 .

"سامي" مثال للشّاب المثقف الأديب النّاشط التّقدّمي القومي* ، والمولع بنشر وترجمة النصوص الفسلفية الوجودية خاصة .

من الجانب الفنّي يمكن اعتبار " سامي " هو البطل الأوّل في أحداث الرواية ، ولعلّ اختيار اسم " سامي " لشخصية " البطل " لا يخلو من رموز وإيحاءات فهذا الاسم من السموّ ، وفي ذلك إشارة وتلميح لسموّ بعض المبادئ التي يدعو إليها والأهداف التي يصبو إلى تحقيقها ،ثمّ تليه في البطولة " إلهام راضي " .

* – **التقدمية** : من المصطلحات التي شاعت خلال القرن العشرين (20م) ، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتيارات الفكرية والسياسية المعاصرة ، يقصد بالتقدمية " الرغبة والعمل من أجل التقدّم بكلّ ما ينطوي عليه من تجديد وتحديث ، وما يتبعه من خلق وإبداع جديد يقدّم لحضارة البشرية إسهاماً جديداً من قبل الأمّة العربية ... كما تعني أيضاً مساعدة الشعوب المضطهدة وتقديم العون لحركات التحرر ومقاومة الظلم والوقوف مع كل ما هو خير وتقدّم وحريّة للشعوب الأخرى ..." ، وتعتبر **الرجعية** المصطلح المقابل للتقدمية , فالرجعية تتعلّق بالرجوع إلى الوراء ، والرجوع إلى الوراء يعني شيئين : " الأول : هو المحافظة على ما هو موجود حتّى ولو كان متخلفّاً عن روح العصر..." ولعلّ العبارة الأكثر ملائمة لتكون مقابلاً للتقدمية هي عبارة المحافظة وليست الرجعية " ...يقال للشخص الذي يتمسّك بالموجود المتخلّف محافظاً ، وليس رجعياً . وإن جاز استعمال عبارة الرجعية في مثل هذا الحال فهو لأنّه يعني التمسّك بما أصبح في الخلف بالنسبة إلى ما حققه العصر الحديث في تلك الناحية ، الأمر الذي يجعله متخلّفاً ..." (للتوسّع أكثر يما يخصّ مصطلحي التقدمية والرجعية وما يتعلّق بهما ينظر : سعدون حمادي : عن القومية والوحدة العربية سألني سائل فأجبت ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت , لبنان , ط 02 ، 2000 ، ص 229 – 230 وما بعدها) .

02- إلهام راضي :

طالبة جامعيّة لبنانية ، تبلغ من العمر تسعة عشرة ربيعاً[1]من مدينة " بعلبك"[2]، قدمت إلى العاصمة " بيروت " بعد حصولها على شهادة الباكلوريا ، لمتابعة دراستها الجامعية ،فالتحقت بالأكاديمية اللّبنانية[3]"...لإعداد ليسانس فلسفة ..."[4], وفي فترة الموسم الدراسي كانت تسكن في بيت شقيقتها المتزوجة في " بيروت "[5].

تنتسب " إلهام " إلى أسرة بعلبكية محافظة[6] , وهذا ما أخبرت به " سامي " في أولى زياراتها له في مكتبه في مقرّ مجلّة " الفكر الحر "، وقد كانت غايتها من تلك الزيارة هي دفع مبلغ وقسيمة الاشتراك في المجلّة حتى تضمن وصول أعدادها إليها عبر البريد، وقد كانت على اطّلاع مسبق ببعض أعداد المجلّة .

بدت " إلهام " على بصيرة ومعرفة بالقضايا القومية والأدبية والسياسية ...الخ , وهذا ما تمخّضت عنه مناقشتها مع " سامي " في أولى زياراتها له في مكتبه ، ممّا

---

[1] ــ سهيل إدريس : أصابعنا التي تحترق ، ص 147 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 11 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 14 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 14 .

[5] ــ المصدر نفسه : ص 130 .

[6] ــ المصدر نفسه : ص 15 .

جعله ينجذبُ إليـــها ويُعجب بها ، حيث " نظر إليها في شيء من الدهشة المُعجبـــة "[1]، وقال في نفسه : "... إنّـــها تعـــي من قضايا الأدب أكثـــر ممّا تحتمـــــله طالبـــة "[2]، وهذا ما جعله يحسّ أنّ بينهما "... قاسماً مشتركاً من الثقافة ... "[3] .

أعطى السّارد قدراً نسبياً لرصد الجانب السيكولوجي / النفسي و الفيزيولوجي / الجسمي لشخصـــية " إلهام " , فهي فتاة متواضعة في مظهرها غير متكلّفة في التّـــزيّن فـــ "... وجهها كان خالياً من آثار الزينة وشعـــرها كان مرسلاً في غير ما عنـــــاية فكانت تنبعث منه نكهة توحّش "[4] ، كما تميّزت بقدر من الجمال[5]، وبعينين سوداوين[6].

تـــولّت " إلهام " سكرتارية تحرير مجلة " الفكر الحر "[7] بعد أن خطبها " ســـامي " فساعدته على تحمّل أعباء المجلّة ، وشجّعته على المضيّ قدماً في تحقيق طموحاته ، لاسيما وأنّها تتمتّع بثقافة أدبيّة وهي ــ أيضاً ــ من أنصار التيار القومي .

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 11 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 11 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص144 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 10 .

[5] ــ المصدر نفسه : ص 147 .

[6] ــ المصدر نفسه : ص 10 , 112 , 113 ,131 , 132 , 136... وغيرها من الصفحات الأخـــرى التـــي كرّر فيها السارد على هذا الوصف .

[7] ــ المصدر نفسه : ص153 .

أتقنت" إلهام " اللغة الفرنسية بمساعدة " سامي " ، وبذلك تمكّنت من نشر نصوص مترجمة من التراث الفلسفي الفرنسي ، على صفحات مجلة " الفكر الحر " ، وقد كانت تعرض ترجماتها على " سامي " كي يصوّب لها ما ورد فيها من أخطاء[1] ، لأنّه هو أستاذها الأول في الترجمة ، وله باع طويل في هذا المجال .

ـ الشخصيات الثانوية :

01 ـ كريم الهادي :

كاتب وأديب قومي من أبرز المساهمين في تحرير مجلّة " الفكر الحر " ، إذ كان يوافيها تباعاً بمقالاته وتحقيقاته وإبداعاته الأدبية دون انتظار أي مقابل مالي , لأنّه كان يعتبر تلك المجلّة مجلّته[2] .

يُعتبرُ كريم من المناضلين السابقين في صفوف حزب " الأرجوانيين " الموالي لـ " الاتّحاد السوفياتي " ، ولكنّه قرّر الانفصال المفاجئ عن الحزب بسبب" قرار التقسيم وخلق إسرائيل ! "[3] ، في العام 1949م .

---

[1] ـ المصدر السابق : ص 105

[2] ـ المصدر نفسه : ص 43 .

[3] ـ المصدر نفسه : ص 272 .

كـــانت الشؤون السياسية من أبـــرز الاهتمامات التي تؤرّقـــه , حيث يـــقول عـــن نفسه : " ...إنني لا أستطيع إلاّ أن أعيش عصري . وينبغي أن يكون لي فيه موقـــف . إنّني أرفض

أن أكون من الهامشيين "[1] .

من النّاحية الاجتماعية والماليّة يعاني "كريم " ضيقاً ماديـــاً ، فهـــو يـــشتغلُ مدرّســـاً ،وراتبه

الشّهري لا يكاد يُغطّي احتياجات أسرته التي تتكـــوّن مـــن والدتـــه وزوجتـــه وأولاده الخمسة[2].

سيكولوجياً / نفسياً ، تميّز كريم بالعزّة والأنفة والكرامة بحيث كان لا يتكـــتّم علـــى حالته الماديّة لكن أصدقاؤه على علم بحاله[3].

من خصاله الإيجابية التي عُرف بها بين الجميع ، تقديسه للعهود ووفاؤه ووضـــوحه الحاسم ، ممّا جعل "سامي " يُحبّه ويحترمه ويقول عنه : " هو أعزّ صديقٍ لي .. وأنـــا أحترمهُ إنساناً وأديباً "[4].

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 46 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 43 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 43 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 160 .

لم يهتم السّارد بالتصوير الفيزيولوجي / الجسمي لــ " كريم " ، بل اكتفى فقــط بما جاء عرضا في الكلام كوصفه إيّاه بقوله " ... رجل ممتلئ الجسم ..."[1].

في الصفحات الأخيرة من الرواية عاد الــسارد لتــسليط الــضوء علــى الجوانــب الإيديولوجية لــ شخصية "كريم " ، خاصّة عندما تحــدّث عن عودته للانضمام مــرّةً أخرى لــ حزب " الأرجوانيين " / " الشيوعيين " الذي كان قد أعلن فيما قبل الاستقالة منه ، وقد كان قرار عودته مرتبطاً بالموقف الإيجابي الذي اتّخذه " الإتحاد السوفياتي " حيال العدوان الثلاثي على "مصر " 1956م ، وقد تمثّل موقفهم في شــجب واســتنكار ممارسات الغزو ، وقد برّر "كريم " عودته للحزب بقوله أنّ الموقف الذي وقفــه " ... الإتحاد السوفياتي من قضية الغزو المثلّث يمسح كلّ أخطائه السّابقة ! "[2].

في هذا الموقف الإيديولوجي / السياسي الأخير تكشّفت شخــصية " كــريم " عــن خصائص سيكولوجية / نفسية أخرى وهي التّمزّق والتّشتّت والتراجع والاضطراب في اتّخاذ قراراته فهل هذا فعلاً " قدرُ المُثقّف الذي يُريد أن يظلّ حُراً "[3].

02 ــ وحيد حقّي / رهفل مهشاه :

[1] ــ المصدر نفسه : ص 158 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 272 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 273 .

تاجر لبناني امتلك ثروة طائلة من الأموال وقد كان يدير مشاريعه في اليابان/طوكيو أين عاش فترة من الزمن ، واتّخذ لنفسه اسماً مستعاراً وهو "رهفل مهشاه "عُرف به بين أصدقائه[1] ، رغم انشغالاته التجارية فقد كان أديباً مميّزاً واسع الإطّلاع بقضايا الأدب وشؤونه وله أعمال أدبية أشهرها مجموعته القصصية الموسومة بـ "لفحة لهب "[2]، ففي لحظات الكتابة والإبداع "... ينسى ثراءه وتجارته وأعماله ومغامراته مع الحياة ، ينسى ذلك كلّه ليستحيل عبداً للحرف يُمجّده ويُقدّسه ويجد من السّعادة في كتابته مالا توفّره له أمتع ملذّات الدّنيا ... "[3] . فقد كان يقرض الشعر[4] ، ويكتب القصة فمن أبرز قصصه ، قصة بعنوان " لفحة لهب "[5]

قبل عودته إلى "لبنان " كان "وحيد " قد تعرّف على "سامي " عن طريق المراسلات الأدبية التي كانت جارية بينهما " ... فخلّفت بينهما صداقة مخلصةً ..."[6] ، وعند

---

[1] ـ المصدر نفسه : ص 21 .

[2] ـ المصدر نفسه : ص 23

[3] ـ المصدر السابق : ص 19 .

[4] ـ المصدر نفسه : ص 98 .

[5] ـ المصدر نفسه : ص 23 .

[6] ـ المصدر نفسه : ص 19 .

التقائهما بعد عودته واستقراره النّهائي في أرض الوطن / لبنان ، توطّدت صداقتهما أكثر وتطوّرت "... إلى حبّ وتقدير عميقين "[1].

تميّز " وحيد " بالجود والكرم فقد بادر بالتبرّع بمبلغ ألف (1000) ليرة لبنانية لصديقه " سامي " لمّا علم أنّه يمرّ بضائقةٍ مالية صعبة عطّلت تصريف شؤون مجلّة " الفكر الحر " في الوقت الذي قدّم فيه "وحيد " ورقة " الشيك " التي تحمل ذلك المبلغ المالي ، ظهرت خاصيّة من الخصائص الإيجابية التي يتحلّى بها . وهي اللّباقة وحسن التّصرّف وعدم إحراج من يودّ أن يُقدّم له مُساعدة ماديُة ، حيث قام بنفسه وفتح درج مكتب " سامي " ووضع ورقة " الشيك " واستطرد يقول لـ " سامي " :" إنّ هذه المجلّة يجبُ أن تستمرّ . أنا أدرك ما يواجه أمثالها من صعوبات . وهي قد تكون الآن أو في المستقبل بحاجة إلى من يدعمها . فاعتبر هذا سُلفةً منّي ... "[2] ، ثمّ أردف يقول له : " ...اعتبره ديناً ... من يدري ، فقد أحتاجُ يوماً إليك فأستردّه منك ... "[3] ، لكنّ ذلك لم يمنعه من الاتصاف بالازدهاء في بعض المواقف[4] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 19 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 22 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 22 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 21 .

تميّز " وحيد " بالطرافة التي تعتبر خاصية من خصائص شخصيته , فهي "... ليست تّكلّفاً أو ابتساراً ، لم يكن يطيق العادي المألوف ..."[1] ، وقد كان يعتقد بأنّ "... أكبر مصيبة تلحق بالإنسان هي أن يستسلم للرتابة وينساق لليومي ... "[2] ، ويرى بأنّه" ... يجب على المرء أن يثير الدهشة فيما حوله . بهذا وحده يستطيع أن يُدهش نفسه , فيقتل الضجر والاجترار"[3].

إيديولوجياً ، تجنّد " وحيد " في صفوف حزب " الهلال " ، رغبة منه في البحث عن ذاته فقد كان يحسّ أنّه إنسان ضائع ، رغم ثروته المالية وشهرته الأدبية[4] .

كانت مرحلة انضمامه لحزب " الهلال " نقطة تحوّل جذري في حياته، خاصّة الحياة الأدبيّة فقد أصبحت قصائده ومقالاته وخطبه تكتسي طابع الدعاية الحزبية[5].

تعرّض لأزمة مالية / إفلاس , كان سببها إنفاق كل ماله من أجل خدمة الحزب[6] ، وقد بدت ملامح العوز على مظهره حتّى بلغ حدّ عدم إيجاد مبلغ مالي لشراء حاجاته الضرورية[1] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 60 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 60 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص60 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 63 .

[5] ــ المصدر السابق : ص 98 – 99 .

[6] ــ المصدر نفسه : ص219 .

كان "وحيد " بانضمامه لحزب " الهلال " يصبو لترأّس الحـــزب ، ومنـــه الارتقـــاء لزعامة البلاد[2] ؛ لكن ذلك بقي في حيّز الآمال والطموحات الخيالية ، ففي آخر حياتـــه شلّت يداه, ثمّ بدأ الشلل يغزو جسمه تدريجياً حتّى أصبح عاجزاً تماماً عن الحركـــة ولا يكاد ينطق بكلمات قليلة[3] , ثمّ انتهى به الأمر إلى الموت ؛ وقبل وفاته "...تمكّـــن ذات لحظة من أن ينطق بكلمتي " الحزب ...والحكم " ... "[4]، ولعلّ توظيف شلل اليـــد فـــي هذا الموضع هي إشارة خفية و تلميحة ذكية لعجز المثقف في اســـتتمام واســـتفاء كـــل المشاريع التي يصبو إلى تحقيقها .

03 ــ عصام الحلواني :

شاعر سوري في ربيع العمر ، شريك " سامي " في دار النّشر ، إلاّ أنّه لا يساهم في شؤونها الإدارية نظرا لغيابه الدائم بسبب اشتغاله بالسّلك الدبلوماسي فهـــو ســـفير سوريا في " بريطانيا " / " لندن " .

بدا عصام كثير الزيارات للعاصمة اللبنانية / بيروت من أجل تفقّد شـــؤون دار النّشر ومُلاقاة الأدباء والشّعراء الذين تربطه بهم علاقات حبّ ومودّة .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 220 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 22– 263 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 263 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 263 .

تميّز بميله للهو والعبث وإقامة العلاقات العاطفية الدائمة والمتجددة مع الفتيات .

له عدّة دواوين شعرية صادرة عن دار النشر التي يشترك فيها مع "سامي " ، كانت قصائده في أغلبها غزلية , وقد كان يبّرّر موقفه من ذلك قائلاً : "... أنّ شعر الحبّ والغزل يُرهفُ الحسّ ويعلّمُ تعلّم تذوّق الجمال ، وأنّ علينا أن نثقّف حسّ المواطن ونرهفه بالشعر والفن... "[1] .

تمتّع عصام ــ كشاعرــ بشهرةٍ كبيرة ، كان يرى أثرها واضحاً في الأمسيات الشعرية التي يقيمها في سوريا ولبنان وغيرها من الدول العربية والأجنبية ، حيث يكون فيها إقبال جماهيري لا يحظى بمثله شاعر آخر بل لم يحظ " ... بمثله إلاّ المطربون المشهورون"[2]، وقد كان أكثر جمهوره من النّساء[3] ، وكان الكثيرات منهنّ يحفظن شيئاً من شعره[4].

هذه الشّهرة الأدبية خلّفت له في نفسه غروراً ونرجسيةً فائقةً فقد قال عن نفسه أكثر من مرّة : " إنّ الزمان لن يجود بأكثر من عصام حلواني واحد كل خمسة قرون

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 29 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 77 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 83 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 91 .

!"[1]، ففي كلامه هذا تلميح بإعجابه المفرط بشعره وإبداعه وإنتاجه عامّة[2] ، ولعلّ هـذا الأمر هو ما جعل بعض أصدقائه يمازحونه بمناداتهم إيّاه بـ : " عصام نرجس "[3] بدلا من " عصام الحلواني ".

رغم غروره ونرجسيته لكنّ جميع من حوله لا ينكرون حضوره الفعّـال فـي الجلسات العامّة واللّقاءات الأدبية فـ " ...حسبه أن يحضر حتّى يخلـق أجمـل جـوّ بظرفه وأناقته وشبابه..."[4] .

لم يكن لهوه ومجونه مانعاً يحول بينه وبين امتلاك الشعور بالحسّ القومي ، فقد كان كثيراً ما يقرض قصائد شعرية تنضح بالإحساس والـشعور القـومي ؛ مـن أبرزهـا القصيدة التي كتبها عن "بور سعيد " إثر اجتياح العدوان الثلاثي للأراضـي المـصرية 1956م , وقد دفع بها لـ صديقه " سامي " كي ينشرها على صفحات مجلّـة " الفكـر الحر"[5] .

04- هاني الغريب :

---

[1] ـ المصدر نفسه : ص 28 .

[2] ـ المصدر نفسه : ص 28 - 68 .

[3] ـ المصدر نفسه : ص 68 .

[4] ـ المصدر نفسه : ص 28 .

[5] ـ المصدر السابق : ص277 .

شاعر لبناني من مدينة بعلبك ، من أصدقاء عائلة " راضي " (أسرة إلهـــام) ، وصديق حميم لـــ " سامي " بحكم العلاقات والمراسلات الأدبية بينهما[1].

تميّز تفكيره بالطوباوية , ويظهر ذلك من خلال المشاريع الخيالية التي يصبو إلـــى تحقيقها على أرض الواقع[2].

من دعاة القصيدة الجديدة / الشعر الحر , والمناصرين لهـــذا الـــنّمط مـــن الكتابـــة الشعرية والقارضين على منواله[3].

وطنيّ / قُطري ، لا تهمّه القضايا القومية لا من قريب ولا من بعيد ، ولقد كان من

أبرز المنتقدين للقوميين[4] .

اتّصف بالهدوء والرويّة في المناقشات الأدبية والفكرية والسياسية[5].

05 ــ حسّان راضي :

شقيق " إلهام " / صهر " سامي " ، شاب لبناني محامي من مدينـــة " بعـــــلبك " ، وصفته " إلهام " بقولها : " ... إنّه مُحام ومثقّف ..."[1].

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 11 – 12 .

[2] ــ المصدر نفسه: ص 84 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 84 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص275 .

[5] ــ المصدر نفسه : ص 84 .

ليس مولعاً بالمطالعات القصصية ، ونادراً ما ينجذب لـــنصّ روائـــي ، مـــن بـــين الروايات القليلة التي قرأها و استهوته ؛ رواية " على ضفاف السين " التي ألّفها " سامي " فقد قال " حسّان " عن نفسه بعد قراءة هذه الرواية : " الواقع أنّي لست مغرماً بالأدب القصصي ، ولكن حين قرأت الصفحات الثلاث الأولى ، رأيتني مشدوداً إليها , كما لو أنّها ممغنطة ، وقد أعجبتني إلى حدٍّ بعيد ... "[2].

06ـ رفيقـــة شاكـــر :

مُدرّسة وأديبة / روائية[3] ، سورية تقطنُ في بلدة صغيرة تقع شمال " دمشق "[4]، لم يـــذكر السارد اسم البلدة في الرواية همه أن يشير إلى أنها ليست من بنات المـــدن الكبرى أو العواصم .

اهتمّ السّارد بتقديم وصفٍ فيزيولوجي / جسمي لها ، فوصفها في بادئ الأمـــر من خلال صورتها الفوتوغرافية التي أرفقتها مع إحدى رســـائلها التـــي بعثـــت بهـــا لرئيس تحرير مجلّة "الفكر الحر " ، حيث يقول عنها أنّها كانت من " ... هاتيك اللّواتي

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 16 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 90 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 31 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 123 .

يبهرن بجمالهنّ ويخلّفن في نفوس الشبّان آثار سحر وفتنة "[1]. تساءل السارد / الراوي ، عمّا إذا كانت " رفيقة" ــ فعلاً ــ على ذلك القدر من الجمال حقاً أم أنّه فنّ التصوير والإضاءة هو الذي أضفى عليها جمالاً[2].

في إحدى الإجازات الصيفية قرّرت " رفيقة " السّفر إلى لبنان مع أربعة من زميلاتها المدرّسات لقضاء العطلة كاملة فيها , في هذه الفترة التقت " رفيقة " على المباشر مع صاحب مجلة " الفكر الحر " / " سامي " الذي انعقدت بينها وبينه قبل هذا اللّقاء مراسلات أدبية تحوّلت بعد لقائهما هذا إلى صداقة فعلاقة عاطفية , في سياق سرد اللّقاء الأوّل الذي كان بين " سامي " و " رفيقة " عاد الرّاوي لاستكمال الكلام عن البعد الفيزيولوجي / الجسمي لها حيث قال :"... كانت معتدلة القامة ريّا الجسم ، ممتلئة الصّدر ، وكان شعرها كستنائي اللّون ، مرسلاً على كتفيها ... "[3] .

" رفيقة " نموذج لفتيات الشرق / العرب اللّواتي يعشقن غرفهنّ[4] ، بحيث صوّرها السّارد شبه منعزلة عن العالم الذي يحيط بها ، حيث كانت تقيم علاقة وديّة بينها وبين غرفتها التي تقضي فيها باقي يومها بعد الإياب من دوام العمل اليومي / التدريس . وقد

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 31 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 31 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 35 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 39 .

كانت تستثمر وقت فراغها في الكتابة والمطالعة[1] ، فتلك اللّحظات كانت " فرحة الحياة ومُتعة العيش الحقيقية "[2] بالنسبة لها .

بدت " رفيقة " أنموذجاً للفتاة المتحرّرة والمستهترة في آن واحد [3]، حيث أنّها لا تعطي اعتبارا للقيم الاجتماعية .

أتاحت لها فرصة قضاء صيفٍ كاملٍ في " لبنـــان " فرصة التعرّف على الشاعر والدبلـــوماسي الكبيـــر " عصام الحلواني ", فقد التقيا أوّل مرّة في مقر مجلّة " الفكـــر الحر"[4]، وقد قامت بينهما ــ أيضا ــ علاقة عاطفية , وقد دوّنت قصّتها معه في رواية كاملة وسمتها بـــ " مغامرة "[5]، وقد دفعت بهذه الرواية لدار " الفكر الحـــر لكـــي يـــتمّ نشرها وتوزيعها.

07ــ سميحة صادق :

أديبة وروائية مصرية تقطن بـــ " القاهرة " ، من أبرز المساهمين في تحـــرير مجلة " الفكر الحر " حيث كانت توافيها عن طريق المراسلات بآخر إبداعاتها القصصية[6] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 31 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 31 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص38 و ما بعدها.

[4] ــ المصدر السابق : ص 68 .

[5] ــ المصدر نفسه : ص 242 .

[6] ــ المصدر نفسه : ص 94 .

تعرّفت على " سامي " عن طريق تلك المراسلات ، ولكن كانت العلاقة بينهما أدبية فقط .

كانت من بين الأدباء الذين رشّحهم " سامي " للمشاركة في مهرجان أدبي حول فن القصّة ، وكان هذا الملتقى الذي امتدّ طيلة خمسة أيّام من تنظيم الجمعية الأدبية التي ينتمي إليها " سامي" في " بيروت "[1] ، وقد كان ترشيحه إيّاها للمشاركة بعد تيقّنه من أنّها "... خير من يتحدّث في فنّ القصّة ... "[2] ، وقد كان مبنياً على مطالعاته لنتاجها الأدبي الذي ترسله لمجلة " الفكر الحر " ، وغيرها من الصحف والمجلاّت الأدبية .

في الأيّام الخمسة التي قضتها " سميحة " في " بيروت " تعرّفت بشكل مباشر على " سامي " ، وانعقدت بينهما علاقة صداقة حميمة ، سرعان ما تطوّرت إلى علاقة عاطفية[3] .

بعد عودتها إلى " القاهرة " انقطعت أخبارها ومراسلاتها ، لتجدّد تواصلها بمجلّة " الفكر الحر " ورئيس تحريرها ، وقد حملت أولى رسائلها بعد هذه الأشهر

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 94 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 94 .

[3] ــ المصدر نفسه : 93 – 94 – 95 .

الطويلة , رسالة تحمل خبر عزمها على السفر إلى " بريطانيا " قصد إعـداد رسـالة الدكتوراه[1].

تبادلت مع " سامي " عدّة رسائل غرامية , حتّى أنّ حضورها فـي الروايـة كـاد يقتصر على صوتها في الرسائل المتتابعة[2] ، والتي كان السّارد يورد نصوصها كاملـة دون حذف أو اقتطاع ،ألّفت قصّة أخرى مستوحاة من تلك الأيام التي قـضتها فـي " بيروت " وعلاقتها بـ " سامي" [3] ، وغيرها من المقالات والقصص والروايات التي من خلالها أثبتت للأدباء والنّقاد والقرّاء جدارتها في مجال القص والسرد .

08ـ عبد القادر رحماني :

ضابط جزائري يحمل رتبـة ملازم أوّل[4] ، كان في السابق من أبرز الـضبّاط الشباب الجـزائريين الذيـن انضمّـوا للجيش الفـرنسي في فتـرة الحرب العالمية الثانيـة (1939 ـ 1945) ، بعد انـدلاع ثورة التحرير الجزائرية المضفّرة (01 نوفمبر / شباط 1954م), تمـكّن " عبد القادر " من الفرار من الجـيش الفرنـسي ،

[1] ـ المصدر نفسه : ص 94 .

[2] ـ المصدر نفسه : ص 93 -127 -178 – 228- 229 – 230 -231 – 232 – 233 – 234 .

[3] ـ المصدر السابق : ص 97 .

[4] ـ المصدر نفسه : ص 171 .

ليبدأ التخطيط هو ورفاقه لخدمة وطنه / الجزائر , خاصّة بعد التأكّد من النوايا السيئة للاستعمار الفرنسي من خلال وعوده الكاذبة .

تزوّج " عبد القادر " خلال فترة إقامته في فرنسا ، من امرأة فرنسية ، من أشدّ المناصرين للقضية الجزائرية .

09- عزيز :

أديب لبناني ، يقيم في " برازيل " ، قرّر اعتزال الكتابة ، واستبدلها بالاهتمام بعالم المال والبذخ ومخالطة الوزراء والسفراء[1] ، بدل الأدباء والشعراء ، كان حضوره في الرواية متجسّداً في صوته عبر الرسائل العديدة التي كان يرسلها لصديقه " سامي "[2] ، وكل تلك الرسائل كانت تحمل في التوقيع اسم المدينة البرازيلية التي كان يقطنها وهي مدينة : "ريو دي جانيرو " ، ممّا يعني أنّه مستقرّ خارج الوطن / لبنان ، وقد حملت تلك الرسائل التي أوردها السارد بالنّص الكامل الكثير من أرائه ومواقفه في الحياة .

10 ــ ضياء وسمير :

هما شريكا " سامي " السابقين في مجلّة " الفكر الحر "[3] ، قبل أن يستقلّ سامي بملكيّتها، كان " سمير " يتولّى إدارة الشؤون المالية للمجلّة[1] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 72 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 72 – 73 –74 –75– 125 – 126 –127 – 261 – 262 – 263 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 10 .

إلى جانب ذلك كان " ضياء و"سمير " شريكين في تأسيس دار نشر وتوزيع تحمل "دار الفنون "[2].

11 ــ سلمى العكاوي :

شابّة لبنانية سمراء ذات شعر أسود منتثر على جبينها حتّى يكاد يحجبه[3] ، وعلى وجهها

«...حمرة باهتة تضرب إلى السفرة ...»[4] ، تميّزت بتصنّعها للتواضع ، إلاّ أنّ من حولها كانوا يعرفون أنّها فتاة مغرورة[5] .

تعدّ " سلمى " أديبة ناشئة ، مازالت لم تكتسب حظا من الشهرة .

زارت دار" الفكر الحر " ودفعت بمخطوط يضمّ أولى رواياتها بغية إصدارها ونشرها ، وقد اختارت لهذه الرواية عنوان " أريد الحرية "[6] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 24 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 10 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 189 .

[4] ــ المصدر السابق : ص189 .

[5] ــ المصدر نفسه : ص 190 – 193 .

[6] ــ المصدر نفسه : ص 190 .

12 ــ عبلة سلطان :

رفيقة " سلمى العكاوي " التي صحبتها في القدوم إلى دار " الفكر الحر" , هي فتاة لبنانية تميّزت بامتلاء الجسم وطول القامة[1] ، الغاية من استحضارها في الرواية كشخصية هامشية ، هي فتح ملفّ " المثلية الجنسية "(Homosexualité) ، فهي نموذج اجتماعي للشواذ جنسياً .

13ــ مدير معهد بكفيا : مستشرق فرنسي قدم إلى لبنان حيث ولّته السلطة الفرنسية إدارة معهد فرنسي يهتمّ بتدريس اللّغة العربية لـ " ...الرعايا الفرنسيين الذين أوفدتهم حكومتهم ليلتحقوا بمعهد أنشأته... "[2]، وقد كان الأساتذة الذين يشتغلون فيه عرب من بينهم " سامي" .

ألزم مدير معهد " بكفيا " الأساتذة عدم الخوض في القضايا السياسية[3] أثناء التدريس ، لأنّ غاية المعهد هي "... تدريس اللّغة العربية , ومحاولة حمل هؤلاء الأجانب على أن

يتفهّموا قضايانا بمعزل عن كل تأثير أو حكم مسبّق ... "[4] .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 189 .

[2] ــ المصدر السابق: ص 153 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 170 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 159

وقد كان جميع الطلبة الذين ينتمون لهذا المعهد كباراً ، فهم أكبر مـــن " ســـامي " سناً[1].

14 ــ شقيقات إلهام :

أ ــ **نُهـــى :** أختها العازبة وهي التي ناقشتها طويلا في مسألة اتّخاذ قـــرار زواجها واختيار شريك الحياة[2] وكان ذلك في الفترة التي بدأت " إلهام " تفكّر بشكل جدّي فـــي القبول النّهائي بـــ " سامي " زوجاً لها .

ب ــ **شقيقتها المتزوّجة في بيروت :** وهي التي تستقرّ عندها " إلهام " طيلة الموســـم الجامعي ، وتعتبر عائلة زوجها عائلة محافظة[3] .

ج ــ **شقيقتها المتزوجة في مصر :**

قامت " إلهام " بعد زواجها بزيارتها رفقة زوجها " سامي "، كما قام " سامي " مرّة أخرى بزيارتها رفقة صهره " حسّان " وذلك بعد انتهاء الغزو الثلاثي في مصر[4] .

الشخصيات في نصوص الثلاثية ، يتفاوت الاهتمام بتـــشكيل أبعادهـــا حـــسب أهميتها ودورها في مسار الحكي ، وبهذا العرض والتحليل للشخصيات يكون البحث قد

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 159 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 140ــ 146 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 130 .

[4] ــ المصدر السابق : ص 280 .

قدّم للقارئ بنية الشخصيات ، وقد تقدّم إدراجها في الفصل الأول من البحث لأنّ الروايات الثلاثة ذات طابع كلاسيكي يولي أهمية كبيرة للشخصيات التي هي الفاعل والمحرك الأساس للأحداث ، التي تجري في مسارح تشكّلت منها فضاءات الأمكنة .

الفصل الثاني

طوبوغرافية أمكنة الثلاثية ووظائفها في النسيج السردي

تمهيد :

أولا : إشكالية تحديد المفهوم وتعدّد المصطلح

ثانيا : أنواع الأمكنة

1 ــ المكان المجازي

2 ــ المكان الهندسي

3 ــ المكان كتجربة معاشة

4 ــ المكان المعادي :

ثالثا : تمظهر الأمكنة وتشكّلها في نصوص الثلاثية

1 ــ المدارس والجامعات ومراكز التعليم الأخرى

أــ الكتّاب

ب ــ المدرسة الدينية/ المعهد الديني

ج ــ الجامعات ومعاهد التعليم المدني

2 ــ أماكن عرض الفنون ومقرّات الاهتمام بالأدب والفكر

أ ــ السينما

ب : المسرح

ج ــ مكتب / مقر المجلّة

3 ــ المرافق العامّة

أ ــ المقاهي

ب ــ المطاعم

ج ــ أمكنة للفسحة والمتعة وأخرى للاستجمام

4 ــ أماكن السكن والرسمية والمؤقتة

أ ــ البيوت / المنازل

ب ــ الفنادق

5 ــ أماكن التنقّل والحركة اليومية

أ ــ الأحياء والشوارع

ب ــ محطّة السيارات والمطار والميناء

تمهيـــــــد :

ارتبط الإنسان منـــذ القدم بالمكان كمـــحيط يشمله ويخلّد ذكرياته، وقـــد كانـــت إبداعاتـــه ــ ولا تزال ــ هي أكبر دليل لتعلّقه وارتباطه بالأمكنة ، ففي القـــديم كـــان الشّعراء العرب يستهلّون قصائدهم بوصف الأماكن والوقوف على الأطلال الدّارسة ، وكان ذلك بمثابة العرف السّائد السّائر لديهم ، ثمّ أبدع أصحاب النثـــر فـــي توظيـــف وتوصيف وتثبيت الأمكنة في سيرهم الشعبية وأقاصيصهم وحكايـــاتهم ومقامـــاتهم* ... الخ .

أمّا حديثاً ــ في عصر ثورة الأجناس الأدبية ــ صار المكان مكوّناً رئيسياً لمختلف النصوص الأدبية لاسيما الرواية التي عُدّت من قبل بعض النّقاد المعاصـــرين ســـيدة الأجناس الأدبية ، فالمكان فيها هو« أحد المكوّنات الحكائية التي تشكّل بنيـــة الـــنّص الروائي لكونه يمثّل العنصر الأساسي الذي يتطلّبـــه الحـــدث الروائـــي ، والشخـــصية الروائية في الوقت نفسه ، ولهذا يلعبُ دوراً مركزياً داخل منظومة الحكي ، لأنّ الحدث الروائي لا يمكن أن يتمّ في الفراغ ، بل لا بدّ من مكان يقع فيه ، كي يأخذ مـــصداقيته،

* ــ يمكن ملاحظة حضور الأمكنة في النصوص النثرية القديمة خاصة ذات الطابع القصصي مثل السير الشعبية (سيرة عنترة بن شداد ــ سيف بن ذي يزن ــ الظاهر بيبرس ...) ، ونصوص ألف ليلة وليلةو مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري .

وتتمّ عملية تبليغه بنوع من المصداقية إلى المتلقي »[1]،وإن كان الحكي يقوم على تعدّد الأحداث واختلافها فإنّ تنوّع الأماكن ضرورة من ضرورات الفنّ الروائي وإن كان«... الزمان يسمح للرواية بالتقاطع مع الموسيقى من حيث الإيقاع ودرجة السرعة ، فإنّ المكان يدنيها من الفنون التشكيلية من حيث رسم الفضاءات ونحتها بواسطة الكلمات ، ومن ثمّ يشكّل المكان قسيماً للزمن »[2]، وتظلّ « الأشياء هي رفات الزمان وبقاياه »[3].

بالإضافة إلى كلّ ذلك فإنّ المكان هو مسرح تنمو فيه الأحداث وعلى خشبته تُعرض .

أولا : إشكالية تحديد المفهوم وتعدّد المصطلح

أولى النّقاد العرب اهتماماً كبيراً للبنية المكانية في دراساتهم ، وذلك للأهمية القصوى التي يتمتّع بها داخل البنية السردية ، إلاّ أنّ هذا الاهتمام تمخّض عن إشكاليات نقدية عديدة كان على رأسها إشكالية التداخل والتمازج بينه وبين بعض المصطلحات الأخرى أبرزها مصطلح الفضاء والحيّز، وممّا لاشكّ فيه أنّ هذا التداخل

---

[1] ــ أحمد مرشد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، دار فارس للنّشر والتوزيع ، الأردن ط 01 ، 2005 ، ص 127 .

[2] ــ أحمد فرشوخ :جمالية النص الروائي (مقاربة تحليلية لرواية لعبة النسيان) ، دار الأمان ، الرباط ، ط01 ، 1996، ص 86 .

[3] ــ ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1982 ، ص 57.

هو نتيجة من نتائج اختلاف الترجمات والنقل عن المقاربات النّقدية الغربية التي يعزى لها قصب السّبق في التنظير والتطبيق للدرس السردي الحديث والمعاصر .

إنّ هذا التّخبّط هو نتيجة من نتائج اختلاف الترجمات فمصطلحات (الفضاء ــ المكان ــ الحيّز) ترجمة للكلمتين الفرنسية والانجليزية(Space ــ Espace) .

اهتمّ النّقّاد الغربيون ببنية النّص السردي ــ بعد الحرب العالمية الثانية ــ وقد تربّعت بنية المكان / الفضاء / الحيّز على مساحة شاسعة في دراساتهم الرائدة بحيث أدخلوه في دراساتهم التنظيرية والإجرائية ، من بين النّقاد الغربيين الذين أبلو بلاءً حسناً في هذا المضمار نذكر المنظّر السوفيتي (يوري لوتمان Iouri Lotman)،إلى جانبه الباحث (رولان بورنوف Roland Bourneuf) الذي حثّ على ضرورة دراسة المكان مع البنيان المشكّلة لجسد النّص السّردي " مقترحا علينا أن نصف بطريقة دقيقة طبوغرافية الحدث،وأن نحلّل مظاهر الوصف ونهتمّ بوظائف المكان في علاقاته مع الشخصيات والمواقف والزمن وأن نقيس درجة كثافته أو سيولة الفضاء الروائي محاولين الكشف عن القيم الرمزية والإيديولوجية المرتبطة بعرضه وتقديمه في الكتاب [1]"

[1] ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء ــ الزمن ــ الشخصية) ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ،لبنان ــ الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ، 1990 ، ص26 .

وقد قدّم (رولان بورنوف) نقداً صريحاً لكلّ من (جورج بــولي Gorge Poulut) و(جلبرت دوران Gilbert Dorant) اللذين قاربا المكان في ذاته و لذاته وأخرجوه من المجموع العناصر التي تشكّل النّص السردي .

من أهمّ المفاهيم التي بثّها (يوري لوتمان) في دراساته ولاقت ذياع صيت في الأوساط النقدية الأكاديمية ، مفهوم التقاطب المكاني الــذي أقامــه علــى الثنائيــات الــضديّة على(الأعلى/الأسفل)(القريب / البعيد)(الدّاخل / الخارج)...الخ .

وقد عرض (يوري لوتمان) نماذج مختلفة في دراساته (اجتماعية ، سياسية ،) تضمّنت صفات مكانية ، وحاول جاهداً تقديم شروحات نقدية نظرية متتاليــة لمفهــوم التقاطب ،ثمّ اتبعها بتطبيقات نقدية أخرى برهنت ريادته الإجرائيــة / التطبيقيــة فــي التحليل والتأويل[1] .

كما كان لــ (هنري مترون Henri Metherand) مساهمات نقدية في هــذا المجال بحيث قدّم كتاباً بعنوان (خطاب الرواية Discour de Roman) .

لكن رغم كلّ هذه الجهود التنظيرية والإجرائية في النّقد الغربي، فإنّ قــصب الــسّبق يعزى للناقد (غاستون باشلار Gasten Bachlar) في كتابه (جماليات المكان La Potique de L'espace) الذي أصدره

[1] ــ المرجع السابق : ص 34 ــ 35 .

رغم اعتراف العديد من النّقاد بأنّ مصطلح الفضاء ليس معادلاً للمكـــان ،إلاّ أنّ التداخل بينهما بات السّمة الغالبة في الدراسات النقدية العربية ، وهذا منذ ظهــور أوّل مقاربة نقدية غربية في هذا المضمار، والتي تُعزى لغاستون باشلار عام 1957 م، وقد كان الأديب الناقد " غالب هلسا " هو أول من قــام بتعريــب كتــاب باشــلار (La Potique de L'espace) إلى(جماليات المكان) ، بعد تعريبه لهذه الدراســة أخــذ " هلسا " على عاتقه همّ دراسة البنية المكانية في الرواية العربية ، فقد قــدّم بحثــاً فــي مؤتمر الرواية بمدينة فاس المغربية عام 1979م وسمه بـــ (المكـــان فـــي الروايـــة العربية) ، أبرز ما تضمّنه هذا البحث هو ذكر أهمية ودور المكان فـــي الروايـــة ثـــم تقسيم المكان الروائي إلى أنواع وهي[1]:

ثانيا : أنواع الأمكنة :

1 ــ المكان المجازي :

يتواجد في روايات الأحداث المتتالية ، بحيث يكون المكان فيها مكوّناً أساسياً في العمل الروائي ، من سلبيات المكان المجازي هو خضوعه لأفعال الشخصيات وتأثّره بها .

2 ــ المكان الهندسي :

[1] ــ مجموعة من الباحثين : الرواية العربية واقع وآفاق ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط01 ، 1981 ، ص 217 وما بعدها .

وهو المكان الذي يغتني السارد بوصفه وعرض أبعاده الخارجية بدقّة متناهية وحياد ملحوظ .

3 ــ المكان كتجربة معاشة :

ويقصد به المكان المعاش كتجربة داخل العمل الروائي، هذا النوع من الأمكنة قادر على إثارة الذكريات عند المتلقي / القارئ ، ومن المحتمل أن يكون هذا المكان هو المكان الذي عاشه السارد .

4 ــ المكان المعادي :

و يتمظهر في الرواية من خلال السجون والطبيعة الخالية من البشر، وأماكن الغربة والمنفى ...الخ .

يبدو " غالب هلسا " ــ من خلال هذا التقسيم ــ متأثراً بالمنهج الظاهراتي الذي لا يفصل بين هندسة المكان والإحساس الداخلي للشخصيات / الفواعل .

أثار البحث الذي قدّمه " غالب هلسا " جدلا كبيرا في أوساط النّقاد والمشاركين في أشغال المؤتمر، وقد كان الناقد المغربي " محمد برادة " أبرز من قدّم له انتقادات حادّة وجريئة ، فبعد أن وصف البحث بـ" المنهجية الفوضوية " و " التحايل بحثاً عن نوع البراءة قال بأنّه « ...لا يمكن تقسيم الأمكنة أو الفضاءات في هذه الحال إلى مجازية وغير مجازية ، لأنّها كلّها مجازية ، أي لا تساوي الواقع ، كما لا يمكن أن نقول مكان هندسي أو مكان معاش، لأنّ جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية قد يصفها الكاتب وقد لا

يصفها وقد يستنبطها من خلال إحساساته الداخلية ، والمكان المعـــادي يظـــلّ بـــدوره فضاء... »[1].

من خلال ما تقدّم يُلاحظ أنّ " محمد برادة " يستعمل مـــصطلحي المكـــان والفـــضاء كمصطلحين متعادلين ويرفض رفضا قاطعا تقسيم الأمكنة إلى أنواع لأنها من منظوره كلها أمكنة متخيّلة / مجازية .

أمّا النّاقد المغربي " حسن نجمي " فقد دعا بشكل صريح إلى اعتماد مـــصطلح الفضاء في عدّة دراسات وأبحاث له وقال بأنّ الفضاء ليس معادلاً للمكان[2] ، كم يرى ــ أيضاً ــ أنّ مصطلح الفضاء هو الأنسب في المقاربات النقدية الـــسردية ، كمـــا أنّ فضائية الأدب هي فضائية اللغة من دون شك حيث يقول عـــن الفـــضاء : «... إنّـــه موجود على امتداد الخط السردي ، إنّه لا يغيب حتى ولو كانت الرواية بـــلا أمكنـــة ، فالفضاء حاضر في اللّغة ، في التركيب ، في حركية الشخصيات في الإيقاع الجمـــالي لبنية النص الروائي،وعندما يرفض أن نسميه أن نحدّده ، أن نمنحه هويـــة وأن نعبّـــر

[1] ــ المرجع السابق : ص 396 .

[2] ــ حسن نجمي : شعرية الفضاء السردي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت / الدار البيضاء ، ط01 ، 2000 ، ص 51 .

عنه ، فإنّه لا يغيب بل يظلّ كاناً هناك في الظّـــل بانتظـــار لحظـــة إدراك ملائمـــة أو استجابة أكثر تعاطفاً...»[1]

وجّه " حسن نجمي " نقداً للباحثين الذين رفضوا توظيف مصطلح (الفضاء) في دراساتهم، حيث أنّ «... كلّ إلغاء أو إقصاء لمفهوم الفضاء في النظرية الأدبية إنّما هو قمعٌ لهوية من هويات الخطاب الأدبي وضمنه الخطاب الروائي (...) كما أنّ هذا الدّفق النّظري الصارم يفرغ العمل الأدبي من عمقه الشعري »[2]

في المقابل أدلى النّاقد المغربي "حميد لحميداني " بدلوه في معالجة مفهـــوم مـــصطلح المكان وميّز بينه وبين المصطلحات المتاخمة له فمن خـــلال دراســـاته تطـــرّق إلـــى مجموعة من المصطلحات المتعلّقة بالموضوع مثـــل :" الفـــضاء الروائـــي والفـــضاء الجغرافي والفضاء الدلالي والفضاء النّصي والفضاء بوصفه متطوراً"[3] ، وقـــد أبـــدى انحيازه لمصطلح الفضاء نظراً لاتّساع هذا المصطلح وشموليته فهو " يـــشمل المكـــان بعينه الذي تجري فيه أحداث الرواية بينما مصطلح الفضاء يشير إلى المسرح الروائي بأكمله ويكون المكان داخله جزءاً منه "[4]إنّ الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل مـــن

---

[1] ــ المرجع نفسه : ص 65 .

[2] ــ المرجع نفسه : ص 59 .

[3] ــ حميد لحميداني : بنية النص السردي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ــ لبنان ،الدار البيضاء ــ المغرب ،ط1 ،1991 ،ص 75 ــ 76 .

[4] ــ المرجع نفسه : ص62 .

المكان ، إنّه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثّلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تمّ تصويرها بشكل مباشر،أم تلك التي تدرك بالضرورة ، وبطريقة ضمنية مع كلّ حركة حكائية "[1].

للعلم فإنّ النّاقد "سعيد علّوش" هو أوّل من أدخل مصطلح الفضاء حيزّ الاستعمال والاستخدام في المعجم الأدبي العربي الجديد[2] .

مقابل بذل الجهود لإيجاد حدود تفصل بين هذه المصطلحات المتقاربة للمفهوم الواحد ، أنّه يلاحظ أنّ بعض النقّاد لا يجدون مانعاً من استخدام المكان والفضاء كمصطلحين مترادفين ، من بين هؤلاء النّقاد "حسن بحراوي" ، فرغم أنّ كتابه جاء موسوماً بـ : بنية الشكل الروائي(الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية) ، إلاّ أنّه عنون الباب الأول من هذا الكتاب بـ " بنية المكان في الرواية المغربية " ، ومن هنا يظهر الاختلاف على توظيف المصطلح بين العنوان الكلي(عنوان الكتاب) والعنوان الجزئي (عنوان الباب)، للإشارة فإنّ "حسن بحراوي" احتفظ بمصطلحي الزمن والشخصية في أبواب اللاحقة لباب البنية المكانية ، وقد جاءت هذه العناوين مطابقة لعنوان الكتاب وهي كالآتي:" البنية الزمنية في الرواية المكانية"ثم "بنية الشخصية في الرواية

---

[1] ـ المرجع نفسه : ص 64 .

[2] ـ شريبط أحمد شريبط : بنية الفضاء في رواية "غدا يوم جديد " ، مجلة الثقافة ، وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر ،العدد 115 ،1997 ،ص144 .

المغربية"، وفي تضاعيف الباب الأول الخاص بالبنية المكانية أنّه يستخدم تارة المكان وتارة الفضاء ، وفي الوقت نفسه قدّم تعريفا للفضاء حاول من خلاله التفريق بين المصطلحين ، وقد اعتبر المكان جزء من المفهوم الواسع للفضاء فهو "في العمق ليس سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة "[1]

وفي معرض تقديمه لكتاب الفضاء الروائي ،استخدم المصطلح مركباً وهو(الفضاء المكاني)[2]،وهذا دليل على تساوي المصطلحين في التوظيف من منظوره وعدم وجود عائق في حضور أحدهما مكان الآخر واستخدامهما بصيغة مركّبة ما دام كلاهما يؤديان نفس المفهوم .

لكن هناك من الباحثين من يختار أحد هاذين المصطلحين (الفضاء ــ المكان) ، ويوظفه في مقاربته دون أن ينفي وجود المصطلح الآخر وقابلية استخدامه في الموضع الذي يمكن أن يكون مناسبا أكثر لحضوره ، من بين هؤلاء الباحثين ،الباحثة آمنة

[1] ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ،ص31 .

[2] ــ جيرار جونيت وآخرون : الفضاء الروائي ، ترجمة : عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ــ المغرب ، بيروت ــ لبنان ، دط ،2002 ، مقدمة الكتاب ،ص5 .

يوسف التي وظّفت مصطلح المكان[1] في كتابها " تقنيات السرد في النظرية والتطبيق " ، إذ ترى بأنّ المكان من شأنه أن ينتج الفضاء الروائي الذي يشمل جميع الأمكنة .

أمّا النّاقد الجزائري "عبد الملك مرتاض " فيطالعنا بميله ودفاعه عن مصطلح "الحيّز" ويقدّم تبريراً وتفسيراً لاستخدامه لهذا المصطلح دون غيره من بقية المصطلحات بحيث يقول :"... لقد خضنا في أمر هذا المفهوم وأطلقنا مصطلح الحيّز مقابلاً للمصطلحين الفرنسي والانجليزي (Espace ـ Space) ولعلّ أهمّ ما يمكن إعادة ذكره هنا أنّ مصطلح الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ ، بينما الحيّز لدينا ينصرف استعماله إلى النشوء والوزن والثقل والحجم والشكل على حين أنّ المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده "[2] كما يطلق عبد الملك مرتاض مصطلح الحيز "على كل فضاء خرافي أو أسطوري أو كل ما يدل عن المكان المحسوس ، كالخطوط والأبعاد ،والأحجام ، والأثقال ،والأشياء المجسّمة مثل الأشجار والأنهار وما يعبر بعبور هذه المظاهر الحيزية من حركة وتغيير"[3]

---

[1] ـ آمنة يوسف: تقنيات السرد (في النظرية والتطبيق) ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1،1997،ص 25.

[2] ـ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ،عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،ط1 ،1998 ،ص 141 .

[3] ـ عبد الملك مرتاض :تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1995 ،ص245 .

إنّ وجهة نظر "عبد الملك مرتاض" تفصل فصلاً كلياً بين الفضاء والمكان،"فالفضاء يقتصر انطلاقه من اللامحدودية أي من الأجواء التي لا سيادة فيها والتي تأخذنا إلى مسرح الخيال بعيداً عن الواقع في حين المكان منحصر في موقع جغرافي أو مسرحاً للأحداث والحركة والشخصيات "[1]

وقد وجد "عبد الملك مرتاض" من سار على نهجه في استخدام هذا المصطلح المبتدع في حقل الدراسات السردية ، من بينهم "مراد عبد الرحمن مبروك" و"عبد الحميد بورايو" ، ولكنّهما استخدما المصطلح بصيغة مركبة ، فمراد عبد الرحمن مبروك يوظفه تارة بصيغة "حيز التضاريس المكانية " وتارة أخرى يوظفه بصيغة " حيز المكان الجغرافي" ويقصد "التضاريس المكانية المحدودة بحدود معينة في النص الأدبي ، سواء كانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية ، وتتمثّل هذه التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النّص والعلاقات بينها هي التي تكون الانتظام في نسق النّص"[2].

أمّا "عبد الحميد بورايو" فوظّف(الحيز المكاني) في دراسته لرواية "نوار اللوز" لواسيني الأعرج ، ويقصد من خلال استخدام هذا المصطلح مجموع الأمكنة التي تعدّ

---

[1] ــ زهيرة بنيني : بنية الخطاب الروائي عند غادة السمّان (مقاربة بنيوية)،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الحديث ،إشراف :الأستاذ الدكتور الطيب بودربالة (مخطوط) ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر ــ باتنة ــ(1428 ــ 1429 هـ/ 2007 ــ 2008 م) ،ص 189 .

[2] ــ مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبولوليتكا النص الأدبي (تضاريس الفضاء الروائي نموذجا)،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط1 ،2002 ،ص68 .

مسرحاً للأحداث والوقائع والتي تؤدي دوراً هاماً في نسق النّص ، بدءاً بتتبعها لمسار الشخصيات وتنقلها من مكان إلى آخر ومروراً بالأمكنة المتخيلة التي تكتسب مرجعيتها وملامحها من خلال وقائع القصة[1] .

بعد هذا المهاد النظري الذي كانت الغاية منه التفريق بين مصطلحات الفضاء/المكان/الحيّز، لا بدّ من التنويه بأنّ مصطلح المكان هو الأوفر حظاً والأكثر توظيفاً في البحوث الأكاديمية التي تعنى بدراسة البنية السردية باعتبار المكان هو " المجال الذي تسير فيه أحداث الرواية من تحولات على مستوى أفعال الشخصيات ومن رؤية السّارد التي يحدّدها من خلال عالمه الإنساني الذي يبنيه والمواقف المختلفة التي تنبثق منه والقانون السّائد في هذا العالم والنّظم المتعدّدة التي تحكمه ،إنّ المكان هو المدى الذي يحقّق فيه الراوي كل تصوراته من خلال ارتباط عناصر الرواية "[2] "فالنّص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خياليا له مقوماته الخاصّة وأبعاده المميزة"[3] هذا من أجل إضفاء الإحداثيات المكانية على المنظومات الذهنية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، ممّا يسهم في تجسيدها وجعلها أكثر فهما وقبولاً لدى المتلقي

---

[1] ــ عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،دط ،1994 ،ص 143 ــ 149 .

[2] ــ زهيرة بنيني : بنية الخطاب الروائي عند غادة السمّان (مقاربة بنيوية)، ص190 .

[3] ــ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1984 ، ص 74 .

وهذا التبادل بين الصور المكانية والذهنية يمتدّ لالتصاق معاني أخلاقيـــة بالإحـــداثيات المكانية تنبع من ثقافة المجتمع وحضارته "[1] "كما يكشف المكان الجانب اللاشعوري في الشخصية فتتخذ دلالة رمزية إضافة إلى دلالتها المادية..."[2]، وبذلك ينجح الراوي فـــي بناء عالمه السردي المشحون بتصوراته والمفعم بالأمكنة المتخيّلة التي تحمـــل قـــوانين هندسية وحدود جغرافية تدنيها من الأمكنة الواقعية .

ثالثا : تمظهر الأمكنة وتشكّلها في نصوص الثلاثية

رغم تعدّد الدراسات في مجال السرديات إلاّ أنّ النقد الروائي لم يفلح في تحديد صيغ معيّنة تحدّد مظاهر " انبناء المكان في النّص الروائي ، وتتخذ صفة الـــشمولية ، وقابلية الاندراج على الأماكن الروائية في إبداع أمم ذات ثقافات متنوعة ، كمـــا هـــو الشأن في صيغ تقديم الشخصية الروائية ،ووظائفها داخل منظومة الأفعال الحكائيـــة ، وفي صيغ البنية الزمنية من حيث الترتيب والسرعة ،لأنّ المكان الروائـــي يتـــصف بخصائص (جغرافية ، واجتماعية، وتاريخية ، وذاتية) ..."[3] ، وفي ظلّ هذا التـــشتّت الذي تعاني منه الدراسات النقدية المهتمّة بمقاربة البنية المكانيـــة اختلفـــت طرائـــق التحليل والتفكيك ، وكان لزاما على كل باحث أن يختار مصطلحا يلتزمه في مقاربته ،

---

[1] ــ المرجع نفسه : ص 75 .

[2] ــ ريم العيساوي : المكان في الرواية النسوية المغاربية ، مجلة الروافد ، مجلة تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام ، الإمارات العربية المتحدة ، الشارقة ، ع85 ،يونيو 2002 م ، ص 28 .

[3] ـ أحمد مرشد : البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، ص 132 .

حتى يتفادى ــ من البداية ــ حدوث أي خلط أثناء عملية القراءة والتلقي، وعليه فإنّ هذه المقاربة سترتكز في دراسة بنية المكان على ثنائيتين وهما:(الفضاء المكاني المفتوح) و(الفضاء المكاني المغلق) ،وقد تمّ اختيار المصطلح مركباً،بعد اتّضاح شمولية مصطلح الفضاء وبلاغة حضور مصطلح المكان ، فالفضاء ينسحب على الأماكن التي تجري فيها أحداث الرواية كما ينسحب على مساحة صفحة الكتاب من بياض وسواد ونقاط وفواصل ...الخ ، إلاّ أنّ هذه الدراسة اقتصرت فقط على دراسة الفضاءات المكانية التي جرت فيها أحداث الرواية مع توضيح مدى ارتباطها ببباقي البنيات المشكّلة لنص الثلاثية .

للإشارة فإنّ هذا الاختيار لا يمنع من توظيف مصطلح المكان مفردا في ثنايا التحليل ، وذلك لأقدمية هذا المصطلح مع نظيره ،وقربه من الواقع أكثر .

1 ــ المدارس والجامعات ومراكز التعليم الأخرى :

تعدّ أماكن الدراسة وطلب العلم مراكز إشعاع لما لها دور في تنوير وتثقيف مريديها ، من مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية والأجناس البشرية ، وعلى هذا الأساس فهي جزء لا يتجزأ من الأمكنة العامة .

اشتملت الثلاثية على عدّة مراكز دراسية انقسمت بين مراكز التعليم الديني ومراكز التعليم المدني .

تواجد هــذه الأماكن ضرورة لا مناص منها ، إذ أنّ أهم شخــصيات الثلاثيــة طلبة علم، فانتقال الأحداث إلى هـــذه الأماكن كان أوتوماتيكيــا ، فالــسارد يقتفــي خطوات الشخصيات أينما كانت ليصور لنا ما يستجدّ من أحداث.

أ ــ الكُتّاب :

ليس هناك إشارة لمعماريته كمكان ، لكن طريقة التدريس فيه تبدو تراثية قديمة ، فالجلوس فيها على الحصير، والشيخ يعاقب الصبيان بالفلقة التي نقل لنا السارد جزءا من مظاهرها حين وصف مشهد تطبيقها على أحد الصبيان الذين لم يمتثلــوا لأوامــر الشيخ " ...وفيما هو كذلك غمز بعينيه أكبر الصبيين سنّاً ، ثــمّ جــذب فــوزي مــن الصفوف فألقاه أحد الصبيين أرضاً ، بينما سارع الآخر إلى إدخال قدميــه فــي آلــة صغيرة هي قضيب من الخشب المتين ، ربط طرفاه بحبل ، وأخذ يلفّ القضيب علــى الحبل بسرعة كبيرة ، وما هي لحظات حتّى انحصر قدما فوزي ، وكان المعلّــم أبــو محمود قد تناول عصا، فراح ينهال بها على القدمين المحصورتين المرفــوعتين إلــى أعلى ، ولا ينسى في الوقت نفسه أن يرفع صوته ويشير إلى الصبيان أن يرفعوا كذلك أصواتهم بالدعاء حتّى لا يُسمع صوت البكاء الذي كان فوزي يصعده ..."[1]

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق ، ص 13 ــ 14 .

الكتّاب من الأماكن الباهتة الحضور ، إذ جاء السارد على ذكره في الصفحات الأولى من رواية الخندق الغميق ، ثمّ لم يتكرّر الحديث عنه في بقي صفحات الرواية . أمّا في الروايتين التاليتين (الحي اللاتيني) و(أصابعنا التي تحترق) ، فلم يحضر نهائيا الكتّاب كمكان ، نظراً لأنّ سياق الأحداث والأفكار المطروحة لا تستدعي الكتّاب كمكان لتتجسّد فيه حركة الشخصيات التي تدير دفّة الأحداث وتدفع عجلة السّرد.

ب ــ المدرسة الدينية/ المعهد الديني:

عند تتبع مراكز طلب العلم في الثلاثية ، أول ما يطالعنا هو مركز التعليم الديني/المعهد الديني في الرواية الأولى (الخندق الغميق) الذي التحق به سامي وهو طفل صغير لم يبلغ الحلم بعد ومازال في طور النشأة والتربية ، والتحق به ليصبح شيخاً ، وقد كان النظام داخلياً في المعهد بحيث يفرض على الطلبة قضاء أيام الأسبوع كاملة في المعهد على أن يذهبوا لزيارة ذويهم في عطلة الأسبوع ، ونظراً لحداثة سن سامي فقد وجد صعوبة التأقلم مع أجوائه الجديدة وأحس بالغربة خاصة في أول ليلة قضاها فيه " ... حاول كثيراً أن يخنق دمعته ولكنه عبثاً ما حاول، إن صور أمه وأبيه وإخوته لا تفارق خياله ، بالرغم من أنه لم يغادرهم إلا منذ الصباح ، ولكن هذه كانت الليلة الأولى التي يبيت فيها خارج منزلهم وهو غريب على هذه الجدران التي تحيط به ، غريب على هذين الرفيقين اللذين يبدو أنهما استسلما للنوم منذ ساعة ، كأنهما يصادقان الغرفة منذ سنوات، إنه منذ هذه الليلة طالب داخلي في هذه

المدرسة الدينية ، ألم يختر هو نفسه هـذا المصير ؟ ..."[1]، وفي اليوم الموالي نهـض مبكراً ليبدأ تنفيـذ البرنامج الـذي وضعته إدارة المدرسة للطلبة ، " وشعر بأنه لـم ينم إلا وقتاً قصيراً تلك الليلة حين استيقظ على صوت جرس كهربائي أخـذته الدهشة ، ثم ذكر أين هو ، فقفز من سريره ، إنه الجرس الـذي يدعو الطلاب إلى الاسـتعداد لصلاة الفجر ، وما لبث صوت الناظر أن ارتفع في القاعة الكبرى :

ــ الصلاة ...الصلاة !

إذن ، فلا بد له أن ينهض كل يوم في مثل هـذه الـساعة المبكـرة فيقـصد المغاسل ، ويتوضأ في الليل البارد ، ثم يتجه إلى قاعة المسجد المتصلة بمبنـى النـوم ليؤدي صلاة الفجر " [2] ، ولقد كان من العسير عليه أن ينهض في تلك الساعة المبكرة وهو يعلم أنه " ... لن يكون من اليسير أن يعود إلى النوم ، وخرج من الغرفـة مـع رفيقيه ، فالتقوا في الممر كثيرا من رفاقهم يتمطون ويتثاءبون "[3].

والملاحظ أن إدارة المعهد بأكملها تكون على أهبة الاستعداد لاستقبال يوم جديد منـذ الساعات الأولى من النهار ، فلم يكن الطلبة فقط هم المعنيون بـالنهوض بـاكراً ،"... فاجأهم ذلك الشيخ الكبير الجليل الـذي افتتح الـدروس فـي اليـوم الـسابق ،

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 19 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 20 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 21 .

وتهامسوا على خشية ، إنه رئيس المعهد وتساءل هو : ولكن كيف نبع هنـــاك ؟ وأيـــن كان ؟ أتراه قد بات ليلته في المعهد ، أم أنه قادم لساعته من منزله ؟ وهدر صوته في الممر فجأة :أسرعوا إلى المسجد! لماذا أنتم مبطئون في سيركم ؟ لا تزالون نـــائمين ؟ استيقظوا! أسرعوا ..وتدافعت الأجسام الوسنى بالمناكب ، وأيقظ المـــاء البـــارد فـــي المغاسل من لم يوقظه صوت الرئيس الهادر ..."[1] وبعد الصلاة يتوجهـــون إلـــى " ... قاعات الدرس ليبدأوا حفظ القرآن ... لم تمض عليه دقائق حتى تنبه إلى أن القاعة قـــد امتلأت بهدير أصم أشبه ما يكون بهدير النحل ،وصمت لحظة يتسمع ، فأخـــــذ ذلـــك الهدير الخفي يرتفع رويداً رويداً لا يبين منه حرف واحد ، وأدار نظره في رفاقه ، فإذا هم غارقون في تجربة الحفظ ، وكان بعضهم قد سمع ذلك الهدير ، فوضع أصابعه في آذانه حتى لا يسمع الآخرين ، وكانت تأخـــذ أجسامهم جميعاً هزة يـــسيرة ، فيتمايـــل بعضهم ذات اليمين و ذات اليسار ،ويتمايل بعضهم الآخر إلى الأمام وإلـــى الخلـــف . والتفت إلى يمينه ، فإذا زميله مغمض عينيه لا تتحرك شفتاه ولا يميل جسمه ، فعلم أنه لم يستطع أن يقاوم رغبته في النوم ، على أنه رآه يفتح عينيه ذات لحظة مـــــذعـــوراً ..."[2] ، بعد ساعات حفظ القرآن يقبل الطلبة على فطور الصباح " ... إقبالاً عظيمـــاً ، بالرغم من أن الطعام لم يكن يزيد عن فنجان من الشاي ، وبضع حبات من الزيتون لا

[1] ــ المصدر السابق: ص 21

[2] ــ المصدر نفسه : ص 22 .

تتجاوز العشر ، وقليل من دبس العنب ، أين هـذا من طعام بيتهم الغني اللـذيـذ ؟..."[1] ، وبعد ذلك يقبلون على استماع الدروس التي يلقيهـا أساتـذتهـم الـذيـن يدرسونهم " ... مواد الدين على اختلافها من الفقه والحديث والتوحيد والسيرة ، ومواد الأدب والعلوم ، واللغة الفرنسية ..."[2] ، وقد كان تدريس اللغة الفرنسية محـدوداً " ... بمعدل ساعتين في الأسبوع فقط ... "[3] ، وقد كان هـذا النظام يقض مضاجع الطلبـة ويشعرهم بالملل فكانوا أحياناً " ... يحسون في قاعة الدرس ... بأنهم يكادوا يكونـون في سجن "[4] ، خاصة وأن المدرسة الدينية بنظامها الداخلي خالية من مرافـق الترفيـه والتسلية التي يطيب لأترابهم ارتيادها ، فإدارة المدرسة لم توفر لهم التلفـاز والملعـب والمقهى ... الخ، بل كانت الدراسة والجد هما السمة التي وسم بها ، بحيث لـم يكـن للطلبة وقت يرتاحون فيه إلاّ ذلك الوقت القصير الـذي يفصل نهاية الـدروس عـن موعد العشاء ، وقد كان بعضهم يقضيه في حديقة المعهد ، يراقب هبوط الليل ويفكـر في أشياء متعددة تتزاحم إلى ذهنه في ذلك الوقت القصير الـذي خصص للراحة بعـد قضاء يوم مليء بالدروس والنشاطات التعليمية ، ونظـراً لهـذا الـضغط النفـسي

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 22

[2] ــ المصدر السابق : ص 22 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 22 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 27 .

والدراسي الــذي يعانيه الطلبة في المدرسة الدينية ضحى التعليم المــدني ــ خاصــة ارتياد الكليات ــ حلماً يراود بعضهم ، وما كان ذلك ليتأتى لهم إلاّ بحــصولهم علــى شهادة الثانوية العامة التي تتيح لهم الدخول عالم التعليم المدني ، لــذلك عزم الــشيخ " سامي" :"...أن يستعد لتقديم امتحان شهادة الثانوية الحكومية ، إلى جانب دراسته الدينية ، وأنفق الأيام والليالي يعاني من صعوبات الدروس العلمية ، ولا يأوي إلى فراشه إلاّ وقد أحسّ بالإرهاق في جسمه والألم في عينيه ، ولكنه كان على يقين مــن أن ذلــك وحده سينقــذه..."[1]، وبعد نجاحه في الامتحانين الكتابي والشفوي صار يتطلع بــشغف إلى المستقبل فقد " كان يحس ،وهو يستعجل قدوم العام الدراسي استعجالاً ، بان أواخر الصيف تتباطأ وتثقل عليه حتى يحسب أنها لن تنتهي ، وكان يستشعر شوقاً يبلــغ حــد اللهفة إلى أن يلتحق بتلك الكلية ليتابع على مقاعدها آخر مراحل الدراسة الثانويــة ... وكان يمني نفسه بأن يجد في تلك الدراسة متعة كان محروما منها في الدراسة الدينيــة الثقيلة ..."[2]

لم يتوان السارد في إدراج مقارنات بين التعليم الديني والتعلــيم المــدني علــى اعتبار أن الأول يضيق الخناق ويحدّ من الآفاق والثاني يطلق الحرية والعنان للطلبــة ، وقد كانت مقارنته تلك انطلاقا من تجربة سامي الــذي اختار بعد نجاحــه أن ينفــصل

[1] ــ المصدر السابق : ص 95 ــ96 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 122 .

عن المدرسة الدينية ويلتحق بالكلية " ... وإذ قصد الكلية يوم الافتتاح ،وجلس في قاعة الصف ، التفت حوله ينظر إلى رفاقه الجدد فيحس نشوة قاسية في ضلوعه ويشعر بأن روحاً جديدة تسري في كيانه ، فتبعث فيه إحساس الصبا والفتوة وتستخف بفكره وخياله ... لقد حرم أن يعيش في هذا الجو سنوات ، وألقي في جو يفرض رصانة كانت تثقل عليه كالكابوس وتخلق له شعوراً عنيفاً بالغربة... وإنّ به لهفة أن يسوق حياة هؤلاء الرفاق ، بما فيها من خفة وعبث ، وأن يرتع في جو من الأحلام والآمال مطلق من كل قيد " [1]

لقد كانت الحياة الدينية والنظام الداخلي للمدرسة الدينية ينفي كل حرية وخصوصية للطلبة المنتسبين لها ، وحتى إذا وصلت إلى أحدهم رسالة ، فلا بدّ من أن تطلع عليها الإدارة أولاً وتقرأ ثم تسلم إلى صاحبها " ... كما تقتضي بذلك قوانين المعهد..."[2]

لم يدع السارد صورة المدرسة الدينية والمشايخ قاتمة ، فقد أنصفها حقها شيئاً ما عندما تكلم عن الاحترام الذي حظي به سامي من قبل رفاقه في الكلية الذين" ... يكنون له نوعاً من التقدير لعلّ منشأه حديثه إليهم عن عهده السابق في المشيخة "[3]

---

[1] ــ المرجع السابق : ص 122

[2] ــ المرجع نفسه : ص 88

[3] ــ المرجع نفسه : ص 123

وكما كان الالتحاق بالجامعة حلما يراود " هدى " التي هي مقبلة على امتحان الباكلوريا وتتمنى النجاح رغم الإحباط المستمر الذي كانت تواجهه من قبل والدها ، الذي سبق أن منعها من ارتياد المدرسة ، لكنه عاد وتراجع في قراره لكنه أنذرها بأن هذا آخر عام يسمح لها فيه بالدراسة " ... وكانت حجته في ذلك أن المرأة مخلوقة للزواج وان عملها لن يفيدها شيئاً بعد أن تجد نصيبها ، فيترتب عليها أن تكون في خدمة زوجها وأولادها وبيتها..."[1]

ج ــ الجامعات ومعاهد التعليم المدني :

بالانتقال إلى الرواية الثانية / الحي اللاتيني ، يصبح ارتياد الجامعات والكليات واقعاً لا حلما ، لا سيما أن أبرز شخصيات الرواية هم طلبة هاجروا إلى باريس من أجل إتمام دراساتهم العليا فمنهم من هو بصدد إعداد رسالة الماجستير وفيهم من يعد أطروحة الدكتوراه في تخصصات مختلفة الأدب والصحافة والحقوق ...الخ ، أملاً في أن يعودوا إلى أوطانهم متوجين بشهادات جامعية عالية تمكنهم من تقلد مسؤوليات ومناصب عمل تدفع بلدانهم إلى المضي قدماً للتقدم والتحضر ، ولكي يظفروا بتلك الشهادات انتسبوا إلى جامعات ومعاهد باريسية لها سمعتها الطيبة في الأوساط الأكاديمية العالمية ، كجامعة السربون ومعهد اللغات الشرقية في باريس.

[1] ــ المرجع السابق : ص 159 .

وقد اهتم السارد كثيراً بتصوير حياة الطلبة المهاجرين في باريس ، خاصة صبحي وعدنان اللذان التقيا " ... على ظهر الباخرة ، فإذا هم متقاربون في السن ، وإذا تفكيرهما مشابه لتفكيره ، وصحيح أنهما قدما العاصمة الفرنسية ليتخصصا في غير الفرع الذي أقبل يلتحق به فهما محاميان يودان أن يعدا دكتوراه الحقوق ، بينما هو يعد دكتوراه الآداب..."[1]

ومن أجل دمج المتلقي / القارئ في أجواء الجامعة الباريسية اتخذ السارد وسيلة مختلفة وهي التركيز على متابعة المشاريع العلمية للطلبة والحديث عن المعاهد والكليات والتخصصات بدل الإغراق في وصف الجامعة كمكان ، وبهذا صار لدى القارئ فكرة عامة عن التخصصات التي ينتسب إليها الطلبة بل حتى عناوين بحوثهم ورسائلهم التي سيقدمونها لجامعاتهم التي ينتمون إليها في باريس " ... فها هو بعد وصوله إلى باريس وتأمين مكان السكن قال : "... في نفسه أن عليه بعد أن يقصد السربون ليسجل اسمه ، وأن يسعى إلى مقابلة الأساتذة المختصين ليشاورهم في أمر الرسالة التي سيعدها لنيل الدكتوراه ..."[2] وكانت " ... رسالته التي يعدها عن الشعر العربي الحديث "[3] ولا يتوقف السارد عند الإخبار بعنوان الرسالة أو موضوعها فقط بل

---

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 13

[2] ــ المصدر نفسه : ص 41

[3] ــ المصدر نفسه : ص 237

يذهب إلى تتبعها من مرحلة ، ترتيب الفصول وتنسيقها مروراً بمرحلة البحث والتحرير إلى غاية أجواء التحضير لمناقشتها ، بل يوم وجلسة المناقشة أيضا ، فبعد أن أتمّ سامي جزءاً كبيراً من رسالته تراخى فترة طويلة عن إتمام ما تبقى منها ، ثم عاد مرة ثانية " ... يدفعها الدفعة الأخيرة نحو غايتها، وكان قد قابل أساتذته وأطلعهم على عدد من وافر من الفصول جهداً كبيراً من إقناع الرئيس بمناقشة الرسالة في دورة حزيران القادم ، حتى أنه تحصّل من أجل ذلك على استعجال رسمي من وزارة المعارف لم يجد الرئيس بداً من النزول عنده . وأحس بعد ثلاثة أشهر أن حمى العمل والرغبة في انجاز الرسالة قد استغرقته في جو من الانعزال عن كل ما حوله ، وقد يبكر في نهوضه صباحاً ، فيجلس إلى مكتبه حتى يحس لذغة البرد..."[1] "... إن شاغله الأول أن يتم رسالته . وقد أتمها في أوائل شهر نوار ، ثم حملها إلى السربون مرتعش اليدين ، فنال عليها الإذن بالطبع . وإن إلا أسبوع حتى ضربها على الآلة الكاتبة ، وقد أخافه وأفرحه في وقت واحد أن يأتيه تحديد موعد مناقشتها بعد ثلاثة أيام من تسليم النسخ المطبوعة إلى أساتذته ، أعضاء لجنة المناقشة ، فإذا الثلاثون من الشهر نفسه ، نوار"[2]

[1] ــ المصدر السابق : ص 241

[2] ــ المصدر نفسه : ص 242

" وكانت الرسالة مفتوحة أمامه ، وهو ينظر إلى لجنة الأساتذة على منبرهم يستمعون إليه يقدم لموضوعه ، وكان يشعر بأنظار أصدقائه في قاعة " ليار " خلفه تستقر على رقبته وظهره وشعره، لكأنها تبعات تلقى على عاتقه . واستمرت المناقشة زهاء ثلاث ساعات ، دافع فيها ورد ما وسعه اجتهاده ، ولكن أثلج صدره أن المستشرق ، رئيس اللجنة ، قد نوه بما أولته الرسالة من عناية خاصة لوضع كل أثر شعري مدروس في موضعه من مجتمعه وزمنه "[1] وإثر انتهاء جلسة المناقشة" ... أقبل عليه أصدقاؤه يهنئونه باللقب الذي أحرزه والدرجة التي شفعت لذلك اللقب "[2]

إن كان سامي قد أنهى رسالته وأحرز لقب دكتور ، فإن هناك من الطلبة العرب من صرف سني عمره في باريس بدون أن ينجز شيئاً فقد أخذه بريق الحضارة الغربية وألهاه عن الغاية التي جاء من أجلها ، فقد تعرف سامي وأصدقاؤه في باريس بـ " معلم متزوج في حوالي الأربعين خلف امرأته وأولاده الأربعة في الوطن ليعد شهادة في التاريخ ، وهاهما عامان يقضيهما في باريس دون أن يظفر بشهادة ، وذكر حديثه إليه يوما وتعبيره عن شوقه إلى امرأته وأولاده وحبه الملهوف لهم ، وتابعته عيناه ، وعن يمينه الفتاة تضحك وتتخلع في مشيتها ..."[3]، وقد كان هذا الرجل بمثابة

[1] ــ المصدر السابق : ص 244 ــ 245

[2] ــ المصدر نفسه : ص 245

[3] ــ المصدر نفسه : ص 244

النموذج للعديد من الطلبة الـــذين صعقوا ببريق الثقافة / الحضارة الغربية ، لا سيما أن البون شاسع بين العادات والتقاليد التي نشؤوا فيها وتربوا عليها ، وبين ما شاهدوه بأم أعينهم ومارسوه بأنفسهم في الأراضي الباريسية، وقد كان الالتحاق بالجامعة هو السبب الأول الذي جاء بهم إلى باريس .

الجامعة بتعدد مرافقها وتنوعها لم تكن مكاناً / فضاءً لطلب العلم فحسب ، بـــل كانـــت أيضا مكان تقام فيه بعض الأنشطة الترفيهية بين الفينة والأخرى خاصة في المناسبات الرسمية ، وقد كان يطيب للأصدقاء أن يحضروها مع بعضهم حتى يشيعوا جـــواً مـــن المرح والأنس ، وقد جاء ذكرها عرضاً لما اقترحت " جانين" على " سامي " الحضور لحفلة في السربون قائلة له : " ما تقول في أن نحضر الحفلة الراقصة التي يقيمها الليلة في السربون طالبات كلية الآداب وطلابها "[1]

مما تقدّم يتبين أنّ الجامعة لم تكن مجرد مكان له حدوده وموقعه ،بل كانت أكثر من ذلك بكثير ، فما يجري بداخلها أهم من تشكيلها وصورتها الفوتوغرافية ، لهـــــذا استخدمها السارد كقناة للتعريف بالطلبة (كشخصيات مهمة في الرواية) وحياتهم وكل ما يتعلق بمشاريعهم المستقبلية وآفاقهم العلمية .

وفي رواية "أصابعنا التي تحترق" لم تكن الجامعة مسرحاً رئيسياً للأحداث ، بل كان حضورها كفضاء ثانوي ، لا سيما حين كان السارد يسترسل في الكلام عن دراسة

[1] ــ المصدر السابق : ص 133 .

إلهام والتحاقها بالأكاديمية اللبنانية لمتابعة دراستها الجامعية وإعداد ليسانس في الفلسفة

.

02 ــ أماكن عرض الفنون ومقرّات الاهتمام بالآداب:

أــ السينما :

السينما في رواية الخندق الغميق ، كانت المكان المنبوذ / المحبوب ، منبوذ من قبل إدارة المدرسة الدينية التي تراها مكانا لتعليم الرذيلة وانتشارها في أوساط المجتمع ومنبوذة أيضا من قبل الأب الذي يراها مكانا مشبوها وجاء وصفه للسينما بالمكان المشبوه في سياق تأنيب لابنه سامي الذي ذهب خلسة لدار السينما مع رفاقه وأوهم والده بأنها ذهب ليذاكر ويحفظ القرآن معهم ، قال الأب في هذا السياق موجها كلامه لسامي :" أين كنت ؟ كنت تتذاكر مع رفاقك وتحفظ القرآن؟ إن القرآن باء منك!كنت ولاشك في مكان مشبوه...كنت في السينما، أليس كذلك ؟"[1]

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق، ص 51

أما إدارة المعهد الديني متمثّلة في الناظر حين علموا بأنّ سامي وبعض رفاقه قد ذهبوا للسينما فقد " أنذرهم بالطرد ووصف السينما بأنّها بؤرة فساد وإفساد وأنّها تعلّم الرذيلة وتدفع إلى الموبقات"[1].

كلّ ما قدّمه السارد عن السينما كمكان في رواية الخندق الغميق ، يحيل إلى أنها المكان المرغوب/ الممنوع، ممنوع تحت أوامر السلطة الأبوية والدينية المتمثّلة في الوالد والمعهد الديني ، ومرغوبة من قبل سامي ورفاقه الذين تسللوا إليها خلسة ليلا بعد أن التقوا في جنح الليل وأوهموا أسرهم بأنهم في لقاء لمذاكرة الدروس ومراجعتها وحفظ القرآن و خلعوا زيّهم الديني وتسللوا من بيوتهم باتجاه السينما .

هذه المغامرة التي عرّضتهم للتوبيخ والمساءلات وفي الوقت نفسه بثّت في نفوسهم شيئا من المتعة والنشوة بعد متابعة فلم سينمائي ظلّ كالحلم يتذكّرونه في خلواتهم .

أما بالنسبة للمسرح فلم يأت السارد على ذكره ولم يدرج كمكان في الرواية.

في رواية الحي اللاتيني وظّف السارد السينما والمسرح كمكانين مساهمين في نشر الفن والأدب وتهذيب الذوق إلى جانب الترويح عن النفس .

السينما في باريس هي مكان هفت له روح الشخصية المحورية في الرواية وهو طالب لبناني قادم من الشرق ، حيث كان أهله ومجتمعه ينظرون للسينما مكانا مشبوها

[1] ــ المرجع نفسه : ص 54 .

، لكنّه في باريس كانت بالنسبة له مكانا جميلا يبعث في نفسه الأمل والتجدّد ، "سينما البانتيون"[1] في الحي اللاتيني بباريس كما نقل السارد في رواية " الحي اللاتيني " كانت تعلو بوابتها لافتة مكتوب عليها " غدا تبدأ الحياة" ، كانت هذه العبارة كفيلة لدفع الشخصية المحورية إلى تجديد الثورة على ماضيه المليء بالممنوعات والمحظورات والكبت والبدء والانطلاق من جديد ، بمجرّد أن قرأ هذه العبارة تساءل إن كان ماضيه كلّه في أرض موات ، لم يتساءل عن ذلك فقط من فراغ أو من شغف ، بل كن ذلك بعد معرفته بالثقافة الفنية والأدبية التي تبثّها السينما الفرنسية " ...وقرأ أسماء ممثلي الفيلم ، فأخذه الإعجاب والعجب : جان بول سارتر ، اندريه جيد ، لاغاش ، بيكاسو ، جان روستان ، لوكوربوزييه .أعلام من أدباء فرنسا وعلمائها وفنّانيها يجتمعون في فيلم واحد! أيّ نوع تراه يكون في الأفلام ؟ لعلّه قد أخرج للفئة المثقّفة الواعية ..."[2]

من دور السينما التي ذكرت في الرواية ، سينما بلزاك في الأوبرا ، وهي التي قصدها الشخصية المحورية رفقة جانين ذات ليلة لحضور فيلم بعنوان " قصر الزجاج" .

فمن مسميات دور السينما، ومن اللافتات التي وضعت عليها، ومن خلال الأفلام التي تعرض ، يتّضح أنّ السارد لم يدرجها كمكان فقط ، بل أرادها أن تكون مكانا تنويريا

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 25 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 26 .

مكانا ناشرا للوعي والثقافة، وهذا ما كان متناسقة مع طبيعة شخصيات الرواية، فغالبيتهم طلاب تتطلّع قلوبهم لمعرفة الثقافة الغربية ،والسينما الأوربية التي تشكّل جزءا من مجتمع وفدوا إليه لاستكمال دراساتهم العليا ،واستنشاق عبير الفن المتحرّر من ربقة القيود الاجتماعية. الشرقية .

أمّا رواية أصابعنا التي تحترق لم يأت السارد على ذكر السينما إلاّ عرضاً، والسبب اهتمام السارد بنقل أحداث الرواية من أمكنة لها علاقة وطيدة بالمشروع القومي الذي اهتم به سامي وبالصراعات الإيديولوجية التي دارت بين المثقفين ، فغياب المسرح كمكان لم يكن اعتراضا على المسرح كفكرة ، بل هناك قضايا أخرى ومنعرجاً جديدا في الأحداث غيّب المسرح وأتاح الفرصة لفضاءات أخرى كانت أنسب لتصوير الأحداث ورصد حركة الشخصيات .

ب ــ المسرح :

المسرح كفضاء لنشر الثقافة الأدبية كان له حضور في رواية الحي اللاتيني وغياب كلي في الروايتين الأخريين (الخندق الغميق وأصابعنا التي تحترق) .

يمكن تفسير غيابه في رواية "الخندق الغميق" بأنّ هذه الرواية صوّرت واقع المجتمع الشرقي المنغلق، والذي يعتبر المسرح والسينما وكلّ الفنون من المحرّضات على انتشار الانحلال الأخلاقي ، أما غيابه في رواية أصابعنا التي تحترق فيعود لنفس سبب غياب السينما وقد تمّ التطرّق لذلك آنفا.

وفي رواية "الحي اللاتيني" احتفت بالمسرح كاحتفائها بالسينما،لا سيما أنّ فرنسا من بين الدول الأوربية الحاضنة للمسرح (أبو الفنون) ، وقد كان للمسرح في هذه الرواية دور في الارتقاء بالذوق وإثراء الملكة الأدبية والثقافة لدى الطلاب العرب المترددين على المعاهد والجامعات الفرنسية القاطنين بالحي اللاتيني .

من بين المسارح التي ذكرها السارد في الرواية ، مسرح (ليبوف باريزيان)، في هذا المسرح تابعت الشخصية المحورية في الرواية رفقة صديقه فؤاد مسرحية " الكوخ الصغير" لأندريه روستين ، وحسب السارد فإنّ المسرحية كانت هزلية فقد " ...ضحكا ملء شدقيهما وخرجا منها وأعطافهما تؤلمهما من فرط القهقهة ، وقال له فؤاد بعد فترة صمت: لا ريب في أنّ هذه المسرحية لا أخلاقية ، فهي لا تخلّف لدى المشاهد أيّ استنكار للخيانة الزوجية التي يدور حولها الموضوع ، على أنّ ما يحمد للفرنسيين أنّهم يقتحمون أدقّ المشكلات التي يواجهونها ، بالغاً ما بلغت من الجرأة . وأنا أعتقد أنّ هذا هو خير سبيل لمواجهة هذه المشكلات والتماس الحلول لها"[1].

وبقاعة اللكسمبورغ في الكوميدي فرانسيز ، تابع الشخصية المحورية وفؤاد وجنين وفرانسواز ذات ليلة مسرحية طريفة للكاتب الإيطالي لويجي بيراندللو بعنوان (ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف)"وقد فوجئوا جميعا بأنّ المسرح كان مرفوع الستار

[1] ــ المصدر السابق : ص 85 .

، خالياً من أي ديكور ، ثمّ أدركوا أنّ المسرحية تبدأ كذلك حقاً ، وهكذا أثار فضولهم من اللحظة الأولى وتابعوا الفصول باهتمام "[1].

وبعد الانتهاء من متابعة هذه المسرحية وككل المسرحيات التي كان تتابعها شخصيات رواية الحي اللاتيني ، عقّب الأصدقاء على المسرحية ومضمونها ، ورغم تعارض الأراء واختلافها لكن كل منهم يستند إلى حجج وأدلّة ليقنع بها غيره ، وكانت تعقيباتهم قمّة في الرقي تدلّ على حس فني ونقدي وعمق رؤى.

بما أنّ شخصيات الروايات طلاّب وكلهم مواردهم المالية محدودة جدا ، فقد كانوا يختارون دور السينما والمسارح التي تتناسب مع المال القليل الذي يمتلكونه فمثلا الشخصية المحورية وجانين " ...كانا يتّفقان على اللقاء مساء فيتّجهان إلى دار قريبة للسينما أو إلى مسرح من السارح التي يحقّ للطلاّب أن يدخلوها بسعر مخفّض أو إلى دار من تلك الدور الموسيقية التي تقدّم أروع الآثار الكلاسيكية"[2].

باستحضار المسرح والسينما لم يهتم السارد بوصفهما شكليا / هندسيا ، بل شغل كلّ المساحة بالحديث عمّا قدّمته هذه الأماكن من ثراء فني ومعرفي ونقدي لطلاّب يخطونا طريقهم نحو المستقبل ، إذن فالرسم الطوبوغرافي للمسرح والسينما لم تكن له

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 144 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 110 .

أهمية فالمحتوى والمضمون الذي يشمله هذا المكان أهمّ بكثير من رسم حدود لمكان أو وصف لديكور وما تبعه من شكليات.

ومن المفيد هنا الإشارة بأنّ رواية الحي اللاتيني قد احتفت أيضا بأماكن أخرى لا تقلّ أهمية عن المسرح، والسينما ولها دورها الفاعل في تطوير الذوق وإثراء الثقافة ، مثل المتاحف كمتحف "رودان"[1] والذي زاره الشخصية المحورية رفقة جانين، وكان له الأثر الفني البليغ في نفسيهما .

رواية "الحي اللاتيني " هي الوحيدة من بين الروايات الثلاثة احتفت احتفاء واضحاً بالفن وأماكنه ، لا سيما أنّ هذه الرواية تجري أحداثها في باريس في النصف الثاني من القرن المنصرف أين شهدت أوربا بشكل عام وباريس بشكل خاص ثورة فكرية وفنية نوعية دوّنها التاريخ واحتفى بها الأدب.

ج ــ مكتب / مقر المجلّة :

في الرواية الثالثة كان سامي وزميله ضياء وسمير يشرفان على إدارة ورئاسة تحرير مجلة أطلقوا عليها اسم "الفكر الحر"، مقرّ المجلّة كمكان كان له وظيفته الفاعلة إذ التفت السارد للوظيفة التي يؤديها المكان وأهمل وصف المكان إلاّ بعض الأوصاف التي جاءت عرضا في مسار السرد وخط سير الأحداث .

[1] ــ المصدر نفسه : ص 110 .

وصف السّارد مقر المجلّة خلال زيارة إلهام لسامي في مكتبه الذي يحتوي على طاولة وكرسي وكتب مرصوفة في المكتبة ، ولوحة لمحتها في الجدار، وقبل تدخل لمكتبه كانت قد دخلت لغرفتين اثنين أحداهما مكتب سمير وأخرى مكتب ضياء شريكا سامي في المجلّة ، ولم يدرج أي وصف لمكتبهما ، فهي قصدت مقرّ المجلّة للالتقاء بسامي فوجّهوها إلى مكتبه[1] ، وفي مكتب سامي نظّمت اشتراكا للمجلّة لتصلها أعدادها تباعاً وتحاورت مع سامي في قضايا الأدب والفكر وأهداها نسخة عن روايته .

المجلّة في تطوّر أحداث الرواية تفرّد بها سامي بعد أن اشترى منه شريكاه نصيبهما منها، وبتحوّل أحداث كثيرة في خطّ السّرد وبعد خطوبة سامي وإلهام صارت إلهام مساعدا لسامي في المجلّة التي صار مقرّها غرفة تابعة لبيتهم الذي يعيشون فيه ، وذلك لضيق ذات اليد وعدم توفّر مبلغ مالي لاستئجار مكتب .

3 ــ المرافق العامة :

أ ــ المقاهي :

للمقاهي حضور مكثف في نصوص الثلاثية ، فحضورها من خلال الجلسات واللقاءات التي كانت تعقد فيها ، خاصة في الجزأين الثاني والثالث (الحي اللاتيني وأصابعنا التي تحترق)،وقد جاء هذا الحضور المكثف كسراً لتلك الصورة النمطية التي صوّرت بها المقاهي في أغلب الروايات العربية المكتوبة في النصف الثاني من

[1] ــ المصدر السابق : ص 09 ــ 10 .

القرن العشرين ، بحيث نهضت صورتها على " تأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية

أدت المقاهي أدواراً كثيرة في الثلاثية ، فهي مكان عام للقاءات المختلفة ففي رواية (الخندق الغميق) كان المقهى المكان هو المكان الذي اختارته "سميا" للالتقاء بسامي الذي كانت تربطها به علاقة عاطفية قبل ثلاث سنوات ، ولكن انفصمت عرى تلك العلاقة وانقطعت أواصر الحب ، وبقيت الأسباب غامضة لدى سامي ، لأن سميا لم تكن تبعث برسائل لسامي ولا ترد على رسائله حتى غيرت عنوانها ، حتى حان الوقت المناسب لتجديد اللقاء ، لكن هذه المرة لم يكن لقاء غراميا ، فهو لقاء لتوضيح أسباب انقطاع أواصر المودة والمحبة التي كانت بينهما ، كان لقاءهما عقب إلقاء سامي قصة من تأليفه على أثير الإذاعة ، ففي الوقت الذي كان سامي يلقي القصة كانت"سميا" تستمع له ثم سارعت بالاتصال بسامي عن طريق هاتف الإذاعة بعد نهاية البرنامج "...ثم رجته أن يوافيها على الفور إلى مقهى الأوتوماتيك ، لتراه ولو بضع دقائق ، إذ هي مضطرة للعودة إلى الجبل في تلك الليلة بالذات ..."[1]، وقد لبّ سامي الدعوة ووافق على مكان وزمن اللقاء فـ " ... خرج يحس مزيجا من القلق والنشوة مما انتابه من انفعالات في إلقاء حديثه، والتفكير بسميا ولقائها الوشيك

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق ، ص 116 .

...وشعر أن مـــذخور حبه الـــذي طوى عليه جناحيه طوال هـــذه الـسنوات الثلاثة يتدفق من قلبه فجأة فيغرقه في جو من الحنين والشوق واللهفة "[1] ، كلّ هـــذا كان مزيجاً من المشاعر والأفكار المتضاربة التي تجول بخاطره وهـو فـي طريقـه للالتقاء بسميا التي لا زال يكن لها حباً عميقاً رغم انقطاع العلاقة التي بينهما منـــذ مدة ثلاث سنوات " .. . وحين بلغ الأوتوماتيك ، لم تكن سميا قد وصلت ، وانتظر في الشرفة العليا من المقهى ثمّ أطلت سميا مخلوقا جديدا لم يكد يعرفه ... كانت ترتـدي ثوباً أسود عاري الكتفين والصدر ، فتبدو فيه ممشوقة الجسم ملتفـة القـوام ، وكـان شعرها مسرحا على طريقة الممثلات الأجنبيات ، وكان يتـدلى مـن أذنيهـا قرطـان مـــذهبان كبيران ... أما وجهها فخيـّل إليه أن قد غاضت منه النضارة التي كـان يعرفها لتحل محلها أفانين من مستحضرات التجميل والتطرية الباهرة وكانـت عيناهـا ،تانك العينان السوداوان العميقتان، تطل منهما نظرات سافرة لـيس فيهـا آثـار مـن غموض نظراتها السابقة "[2] .

لكن هـــذا اللقاء الـــذي كان ينظره سامي بشغف لم يتحقّـق كمـا كـان يرجوه ، فقد بدت سميا من بداية اللقاء أنموذجاً للمرأة المستهترة والمتعالية في آن واحد

[1] ــ المصدر نفسه : ص 116 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 117 .

بحيث "مدّت سميا إليه يدها تصافحه ، وثغرها مفتر عن بسمة عريضة ، وبادرته في لهجة مرحة :

ـــــ مرحبا بالشيخ سامي !...

ثم انفجرت ضاحكة ، وشعر بالدم يصبغ وجهه بالاحمرار بينما كانت بعض أنظار الجلوس حوله قد اتجهت إليهما ... وجلست قبالته وهي ما تفتأ تضحك ، ثم استطرت تقول : ـــ علمت من أهلي منذ أيام أنك قد خلعت الجبة والعمة ، وأصبحت كسائر البشر!

ثم عادت تنفجر بالضحك ، وأحس بالضيق ، وشعر بقطرات على جبينه ، ثم نظر إليها يقول في تساؤل وعجب :

ـــــ ألا ترين يا ...

ولم يستطع أن ينطق باسمها ، فتوقف لحظة ، وضيقه يتفاقم في صدره ثم أردف :

ـــ ألا ترين أنك قد تغيرت كثيراً؟

وانطلقت سميا تتكلم ... وقالت أشياء كثيرة ومضت تتحدث حتى خيل إليه أنها لن تسكت، ولم يكن معنيّا بما تقوله عنايته بملاحظتها تسرد كلّ ما جرى لها في هذه السنوات الثلاث ..."[1]

[1] ـ المصدر السابق : ص 117 ـ 118 .

كان المقهى في مثل هذا المشهد مكانا للالتقاء وتحاور شخصيتين ، غيّرهما الزمن حتّى بات غريبين عن بعهما البعض بعد أن كانت تربطهما علاقة حب.

أما رواية "الحي اللاتيني" فعلى العكس تماما فقد جاءت تزخر بعدّة أسماء لمقاهي باريسية، على اعتبار أن الجزء الأكبر من أحداث الرواية كان في باريس وبالتحديد في الحي اللاتيني أين يقيم مجموعة من الطلبة العرب المغتربين ، فمن أبرز أسماء المقاهي التي زين بها السارد الرواية نذكر منها : مقهى ديبون ـــــ مقهى لاسورس ـــ مقهى الكابولاد ، مقهى البلقان ـــــ مقهى المابيون ...الخ

هذا الحشد الكبير من الأسماء يبدي حرص السارد على إضفاء الواقعية من خلال إلحاق اسم بكل مقهى يتردد عليه شخصيات الرواية ، وأحيانا يذكر المقهى أو يوظفه كأرضية لسير الأحداث لكن دون أن يذكر الاسم .

عموما فإن المقاهي كانت من أبرز الأمكنة التي صورت فيها أهم أحداث رواية الحي اللاتيني ، وقد تبين ذلك من بداية سيرورة الأحداث ، لا سيما أنّ شخصيات الرواية كان لديهم فضول كبير للتعرف على بعض المقاهي الباريسية التي سمعوا عنها الكثير ، خاصة أن أهم شخصيات الرواية ـــ كما سبق الإشارة ـــــ هم مجموعة شباب قصدوا باريس بغية التحصيل العلمي والظفر بشهادات جامعية عليا ، وعند نزولهم في الأراضي الباريسية " دلفوا ـــ أول ما دلفوا ـــ إلى مقهى (ديبون) عند ملتقى (روديزيكول) و(بولفارسان ميشال)(ديبون) هذا الذي سمعوا عنه الكثير

من رفاق لهم مكثوا في باريس ردحاً من الزمن :ملتقى المتحررين أبعد حدود التحـــرر من فتيان الحي اللاتيني وفتياته"[1]

بعد أن حدد السارد موقع مقهى (ديبون) في باريس ، وأبرز مدى شغف الطلاب العرب لدخوله وقضاء أوقات فيه ، وتحدث السارد عن أجوائه الداخليـــة ، فبمجـــرد دخـــولهم للمقهى " غمرهم ، كلفحة رياح باردة ، ضجيج الموسيقى وصخب الـــشبيبة الـــضاحكة الهازجة المثرثرة في أرجاء المقهى ، جلوساً إلى الطاولات أمام كـــؤوس الخمـــر، أو وقوفاً عند النوافـــــذ المغلقة ، وكان فيهم من يرود الممرات بين المقاعـــد ، يتحـــدث حديثا خاطفا إلى الجالسين، أو يلقي نكتة عابرة تنفجر لها ضحكات سافرة تزيد صخب الأنغام المجنونة المنبعثة من مكبر موصول بغرامافون ، شبان يوحي مظهـــرهم بكـــل شيء إلا بالوقار،وفتيات تلمع أعينهن ببريق الـــذكاء والخفة والطيش ، ويخيل للنـــاظر أنهنّ يعشن ليعطين ما يطلب منهن"[2]

هـــــذه الأجواء العامة للمقهى تشف عن الحرية المطلقة التي يتمتع بها مريدوه ،أغرت عدنان وصبحي وسامي بمحاولة تجاوز العادات والتقاليد التي نشأوا عليها فـــي بـــلاد العرب،والمبادرة بالاندماج في الأجواء الشبابية المتحررة " وراحوا يغرقون صـــمتهم في البيرة في كؤوس الأنصاف الثلاثة ، كانوا بحاجة إلى ضحكة ترنّ في آذانهم فتشيع

[1] ــ المصدر السابق : ص 13 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 14

في جوهم المرح والحبور وتفلت ألسنتهم من عقالها ، كانوا بحاجة إلى إحدى هاتيك الفتيات كانت واقفة على طاولة ، غير بعيدة عنهم تحدث زنجياً حديثاً ليس عليه طابع الاهتمام، فقد كانت تجيل طرفها في أرجاء المقهى كأنما تبحث عن أحد ،ولابد أنّ بصرها التقى مصادفة بنظرة صبحي المتلهفة ،فوُلدت من اللقاء بسمةٌ على شفتيه ، ولكن ما بالها تصرف بصرها بسرعة عن صبحي ، بل مالها توليه ظهرها في غير ما اكتراث؟ "[1]، وجرّاء عدم اكتراث الفتاة به وبنظراته المتلهفة " ... غرّق بصره في كأسه ، كأنّما ليخفي خيبته ، وطال الجلوس دون أن يتبادلوا إلاّ عبارات حائلة ما كان لها أن تنقذهم من جمودهم ، أهو حسّ الطهارة الشرقية كامن في أعماقهم يصاب بأول طعنة ؟ أم أنها الخيبة التي تخلفها البهجة المبسترة إذا تجاوزت حدودها من الأحلام؟ "[2]

إذن المقهى الباريسي ، هو فضاء للحياة التحررية التي تغلب عليها الأجواء العبثية ، هذه الأجواء التي صرفت السارد عن الوصف الطوبوغرافي للمقهى ، وقد أبرز نقل الأجواء العامة للمقهى الفرق بين المقاهي العربية والمقاهي الغربية ، فالمقاهي العربية طالما صُوّرت في كثير من الروايات العربية التي تنتمي إلى القرن العشرين ، بأنها فضاءات للتجمعات الرجالية ، معنى ذلك أن الوجوه النسائية تغيب

[1] ـ المصدر السابق : ص 14 .

[2] ـ المصدر نفسه : ص 14 .

عنها ، لــذلك فوجود الفتيات مع الرجال في المقهى هو كسر للمألوف والمتعود عليــه لدى العربي الشرقي ، فلا عجب أن يكون المقهى الغربي مكان له بريقه وتشويقه .

بعد أن اقتحم الطلبة هــذا المكان الــذي كان يشوبه الغموض صــار المقهــى بالنسبة لهم أهم المرافق التي يقضون فيها أوقات فراغهم ، ويلتقون فيها مــع بعــضهم لبث شجونهم وهمومهم ، وبما أن المقهى مرفق من المرافق العامة ، فهو يتخــذ مكاناً للانتظار عندما يعقد أحدهم موعداً مع شخص ما ، فقد جلس سامي(البطل) في مقهــى لاسورس " ساعة حسبها ثلاثا..."[1] وهو في انتظار فتاة كان قد التقى بها قبل يوم فــي أول دار سينما زارها في باريس .

في نفس المقهى ـــ مقهى لاسورس ـــ كان اللقاء الانفرادي الأول بين سامي وجانين مونترو، فبعد أن التقى بها لقاءً سريعاً في السربون والمكتبة دعاها إلى المقهى قائلاً لها : "أتقبلين أن تتناولي معي الشاي في مقهى قريب ؟ وبعد تردد وارتباك قررت جانين مونترو الموافقة على دعوته فقالت له : لا مانع عندي من ذلك ، على ألاّ وقتــاً طويلاً "[2]

[1] ــ المصدر السابق : ص 34 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 93 .

وقد كان هـــذا اللقاء بمثابة فاتحة للقاءات كثيرة ستتكرر بينهما " ... فحـين دخـلا كقهى (لاسورس) وجلس قبالتها ، ونظر في عينيها الزرقاوين الصافيتين ، شعر بأنـه مقبل مع جانين مونترو على عهد جديد من حياته ، لا يدري من أمره إلاّ أنه جديد "[1] كان المقهى ـــ أيضا ـــــ المكان المناسب لبث الشجون والهموم وسـرد الأسـرار بين الأصدقاء، كما فعل سامي عندما مضى هو وصديقه صبحي إلى مقهى الكابولاد و حكى له قصته مع ليليان على شدة زهده بـذلك " ... وبعد ساعة قضيناها في المقهى ، نادى الخادم ليدفع له ثمن الشراب الـــذي تناولاه ..."[2]

وبما أن المقهى مكان للقاء الأصدقاء فهو كـذلك مكان لهدر الأوقات ، فقد قصد سامي وفؤاد مقهى " ... الكابولاد ليحتسيا فنجاناً من القهوة ، وهناك كانا يلتقيان طائفة من مواطنيهما السوريين واللبنانيين ، ومن العراقيين والمصريين والتونسيين ..."[3].

رغم أن مقهى الكابولاد كان المكان الـــــذي يلتقـي فيـه الطـلاب العـرب ويشعرون بأواصر الإخوة التي تربطهم بانتمائهم إلى أمة واحدة إلاّ أنّ سامي كـان " ... ينفر من لقاء هؤلاء المواطنين ويتجنبهم ، ويعتقد أن الخير أن يعـيش فـي غيـر أجوائهم ، فإن في أحاديثهم هـــذراً كثيرا وفي وقتهم ساعات كثيرة مهدورة ، وكـان

---

[1] ــ المصدر السابق : ص 93 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 59 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 80 .

على يقين من أنّ قراءة فصل في كتاب خير من محادثة أي من هؤلاء المنتثرين على الطاولات هنا وهناك ، لا يفعلون إلا أن يعلقوا على الفتيات اللواتي يدخلن المقهى ، أو يتبادلوا الضحكات والفكاهات "[1]

ونظراً لتكرّر اللقاءات بين الأصدقاء في مقهى الكابولاد فقد أضحى مكاناً هاماً لتصوير والتقاط أحداث الرواية ، لهـــذا لم يتوان السارد عن وصف موقعه وصــفاً سريعاً فبعد أن قطع سامي التـــذاكر " ... استقل الأوتوبيس رقم 27 وعاد إلى الحي اللاتيني ، فنزل أمام (اللكسمبورغ)، ثم قفل عائداً إلى مقهى(الكابولاد) آملاً أن يلقى بعض أصدقائه ، ولكنه لم يجد أحداً منهم ، فجلس على كرسي في الغرفة الزجاجية من المقهى ينظر إلى المارة في شارعي (سوفلو) و(سان ميشال) وسمع بعد لحظات بائعــة الصحف تبسط الطبعة الجديدة من (فرانس سوار) و(لوموند) وتنادي عليهــا ، فخــرج فابتاع نسختين، وعاد إلى مجلسه "[2] .

أما مقهى (البلقان) فقد كان هو الآخر مكان لبث الشجون بحيث حمل أحمــد لــصديقه سامي نبأً أرهقه حمله طوال أسبوعين ، بحيث قال له قد أن يبلغه النبأ " ... حرصــت

[1] ــ المصدر السابق : ص 80

[2] ــ المصدر نفسه : ص 243 .

ألاّ أبلغك إياه إلاّ بعد مناقشة رسالتك . وأخبره صديقه أنه رأى في هـذين الأسبوعين ، جانين مونترو ثلاث مرات "[1]

وقد كان هـذا النبأ بالنسبة لسامي خبرا سعيدا لأنه كان يبحث عنها ، ولم يهتد إلى مكانها.

فإن غيب السارد الوصف الهندسي للمكان / المقهى فإنه بكل تأكيد لم يغيب أهمية هـذا المكان ، ومدى توفيره لفرص اللقاء بين الأصدقاء والمتحابين وقضاء وقت في المحادثة والمؤانسة .

بالانتقال إلى رواية أصابعنا التي تحترق التي تمثل الجزء الثالث والأخير من الثلاثية، تبدو المقاهي البيروتية والمصرية فضاءً رحباً لطرح نقاشات فكرية وسياسية جادة بين مجموعة من الشباب المنتمين واللامنتمين ، هم يمثلون أهم شخصيات الرواية ، هـذه النقاشات الفكرية والثقافية صرفت السارد عن نقل المعالم الكبرى والصغرى للمقاهي باعتبارها أمكنة للتجمعات واللقاءات ، وقد كان همه منصباً في نقل تلك النقاشات التي تدور بين شخصيات الرواية الـذين يترددون على المقاهي ويلتقون فيها .

رغم جدية الحوارات والنقاشات التي كانت في المقاهي إلا أن ذلك لم يمنع من العثور على بعض اللقاءات الخالية من الجدية والنقاشات السياسية والفكرية ، للإشارة

[1] ــ المصدر السابق : ص 246 .

فإن جدية مواضيع الحوارات والنقاشات التي دارت في المقاهي هي أمر فرضته البنية الكلية وطبيعة أحداث الرواية ، إذ أن الطابع العام للرواية مؤدلج .

ضمن هـــذا السياق يمكن ذكر أهم أسماء المقاهي التي ذكــرت فـــي روايـــة أصابعنا التي تحترق وهي : مقهى الروشة (بيروت)، مقهى رأس العين(بعلبك) ،مقهى الجزيرة(القاهرة)،مقهى الأوبرا(القاهرة)...الخ

أول ما وظف السارد المقهى في رواية أصابعنا التـــي تحتـــرق وظفـــه مكانـــا للانتظار وصرف الوقت للـــــذهاب لمكان معين والالتقاء بشخص محدد ، فقد قصده سامي لقضاء وقت قبل أن يلتقي رفيقة شاكر وكان قد ذلك أول لقاء بينهما ، وكان هـــو متشوقا للقياها، فهو لا يعرفها إلا عن طريق إبداعات ها التي كانت تبعثها لمجلة الفكر الحر ، وقد ازداد تلهفاً للقائها خصوصا بعد أن أرسلت له صورة فوتوغرافيـــة لهـــا ، وفي الوقت الـــذي قررت فيه قضاء العطلة الصيفية في بيروت أخبرته أنها ستنزل في مصيف (قرنايل) ، وحين وصلت إلى (قرنايل) اتصلت به تلفونيا في مكتبه لتتفق معـــه على تحديد مكان وزمن اللقاء ، إذ دعته للمجيء إلى الـــدار التـــي اســـتأجرتها هـــي وصديقاتها فور وصولهما تلك الصبيحة،وفي المساء بعد أن أنهى ســـامي دوامـــه " ... عرج على مقهى صغير يشرف على الطريق العام، كان يغوص بالرواد وطلب زجاجة شراب مثلج ، فأخـــذ يتمصصها على مهل حتى إذا أفرغها مال عليها الخادم فأخـــذها ، أحس ضيقاً وهو ينظر إلى الطاولة أمامه فارغة ، لا بدّ أن صاحب المقهى والخـــادم

يتساءلان الآن : لماذا هو جالسٌ بعدُ؟ ألم يشرب زجاجته ؟ ليخل مكانه إذن لسواه : ألا يرى أن المقهى غاص؟

وأشار للخادم :

ـــــ فنجان قهوة .سكر زيادة .

فانحنى الخادم ومضى ، ولكنه ناداه مرة أخرى :

ـــــ اغل القهوة جيداً! مفهوم؟

ـــــ مفهوم يا سيدي .

وحرّك كرسيه تحته ، ثمّ وضع يديه على الطاولة ، واسترخى في جلسته "[1]، وأطـــال الجلوس حتى " كانت الشمس توشك أن تغيب ..."[2] ، انصرف من المقهى للقاء رفيقـــة شاكر.

ومن أبرز المقاهي التي تردد ذكرها كثيراً في الرواية وكانت مسرحا لنقل جزء من أحداث الرواية ، مقهى الروشة الـــــذي يقع على الكورنيش ، ونظـــراً لإطلالتـــه على البحر فقد كان مكاناً مفضلاً لدى شخصيات الرواية ففيه صورت اللقاءات الغرامية واللقاءات الفكرية والثقافية ، إلى جانب ذلك كان مكاناً مناسباً للتنزه ، وهـــذا ما عبـــر

[1] ــ المصدر السابق : ص 35 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 35 .

عنه سامي ، عندما جاءته إلهام قصد متابعة درس الترجمة الـــذي يلقنها إياه ، فحين دخلت لمكتبه جلست قليلاً ثمّ قالت له :

ـــــ أتريد أن نبدأ درس الترجمة ؟

ـــــ قال: الآن لا ، إنّ بي رغبة شديدة للخروج ، سنخرج معاً فنتنزّه ســاعة علــى كورنيش الروشة ثم نعود، أتركي كتبك هنا "[1].

وقد كان مقهى الروشة هو المكان الــذي وجده سامي مناسباً للمصارحة إلهــام بحبه إياها فقال لها : " بلا تردّد ولا تحفظ : ـــــ إني أحبك يا إلهام "[2] .

كما كانت المقاهي فضاء لمناقشة مشاريع وموضوعات سياسية وفكرية وقومية ، كمــا هو الحال في الجلسة المطولة التي ضمت سامي وكــريم وهــاني وعــصام ، وإلهــام وحسان[3].

لم يكن مقهى الروشة الواقع على شاطئ من شواطئ بيروت مكاناً للجلسات الجماعيــة التي محورها نقاش القضايا الفكرية والسياسية فقط ، بل كان مكاناً للانزواء والانفــراد بالنفس من أجل تمكين الــذهن من التفكير بصفاء ، وقد قصده سامي بغية إعادة النظر

[1] ــ المصدر السابق : ص 132 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 133 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 158 .

في تصميم رواية كان بصدد كتابتها[1] ،وقد فضل الجلوس في هــذا المقهى عن المكوث في البيت رغم توفر الأجواء المناسبة للكتابة والإبداع ، لكن الجلوس في مقهــى علــى شاطئ البحر واستنشاق الهواء النقي العــذب كان المفضل لديه .

أما مقهى رأس العين فقد كان المكــان الــــذي التقــى فيــه ســامي بإلهــام وأخيهاحسان[2].

بالنسبة للمقاهي المصرية فقد ذكر السارد اثنان وهما : مقهى الجزيرة ومقهى الأوبــرا بالقاهرة ، المقهى الأول وهو المقهى الــــذي قضى فيه سامي بصحبة إلهــام أمــسية هادئة عندما ذهبا لمصر لقضاء شهر العسل ، أما المقهى الثاني ـــ مقهــى الأوبــرا ـــ فقد قصده سامي في أمسية من الأمسيات أثناء زيارته الثانية لمصر وقد كان في هــــذه لوحده ، وفيه التقى بعدد من أصدقائه "... الأدباء في ندوة (وهيب منــصور) التي تعقد أسبوعياً في مقهى (الأوبرا) وكان في الحضور عدد من الشبان ..."[3] ، وفي هــذه المقاهي ـــ أيضا ـــــ أهمل السارد وصف المقهى كمكان واهتمّ بنقل أخبار الجلسات والحوارات التي أثيرت فيها.

ب ــ المطاعم :

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 217 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 158 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 288 .

احتلت المطاعم مساحة صغرى من مجموع الأمكنة التي صورت فيها أحداث الرواية ، ولربما يرجع عدم ارتكاز السارد على المطعم كمسرح ، كونه مكاناً لتناول الوجبات فقط ، وليس للتجمعات واللقاءات مثل ما هو الحال بالنسبة للمقاهي ، ففي الرواية الأولى ـــ الخندق الغميق ـــ لم يذكر أي مطعم من المطاعم البيروتية ، لكن في الروايتين التاليتين : الحي اللاتيني وأصابعنا التي تحترق استعان السارد بالمطاعم كأمكنة لنقل حيثيات بعض الأحداث التي تدور ولم يصب اهتمامه على وصف هندستها او معماريتها .

في رواية "الحي اللاتيني" كانت المطاعم فضاء لالتقاء الطلبة العرب المغتربين في باريس، فهم غالباً ما يلتقون مرتين وقت الغذاء والعشاء ، خاصة في مطعم (لوي لوغران) المخصص لإطعام الطلبة مقابل ابتياع تذاكر بسعر رمزي ، وقد كان لهذا المطعم دور في تعريف الطلبة ببعضهم البعض ، فقد تعرف سامي اللبناني الجنسية بـــــ " شاب سوري لقيه في مطعم (لوي لوغران) فأنس إليه منذ اللحظة الأولى ، وأصبح يلتمس لقاءه والجلوس إلى قربه كلما قصد مطعم الطلاب ... وكان إذا ما فرغا من تناول الطعام في مطعم الطلاّب ومضيا إلى (الكابولاد) ليحتسيا فنجان قهوة ..."[1] ، وقد كان مطعم الطلبة (لوي لوغران) يجمع شمل الأصدقاء حتى إن فرقتهم انشغالات الحياة اليومية ، فقد انقطع سامي لفترة عن ارتياد المطعم ، وعندما

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 79 ــ 80 .

قصده ذات يوم بعد الظهر التقى " ... بصديقيه صبحي وعدنان بعد انقطاع عنهما دام أربعة أيام ، فهش لمرآهما ، وشعر انه يتخفف من بعض أثقاله ، لقد كان دائما يشعر لدى رؤيتهما ببهجة تستخفّ بنفسه ، فيميل إلى المزاح ، وينزع إلى تجريد ذاته من جو الرصانة ، وما كاد المقام يستقرّ بهم على إحدى الطاولات حتى وصل فؤاد ، فأفسحوا له بينهم مجلساً ..."[1] ، والظاهر أنّ (مطعم لوغران) المخصص للطلبة ، لم يكن الجلوس فيه أمراً مريحاً ولم تكن الوجبات التي تقدّم فيه في المستوى الذي يمكن أن يدعى إليه شخص عزيز ، فعندما تعرف سامي على جانين مونترو " ... انقطع في تلك الأيام عن ارتياد مطعم (لوي لوغران) كأنما استشعر بعض الخجل من أن يدعوها إلى مطعم الطلاّب بالرغم من انه هو طالب وهي طالبة .فكان يدعوها إلى بعض هذه المطاعم الكثيرة المنتشرة في شوارع (سان جرمين) و(سان جاك) و(روديزيكول) "[2] ، لكن جانين " ... نبهته بعد ذلك إلى وجوب الكف عن تناول الطعام في تلك المطاعم التي لم تجعل للطلبة .وقالت له إنها تحاول أن تستبدل ببطاقتها التي تخولها أن تتناول طعامها في (المين) بطاقة لمطعمه ، فأقرّها على ذلك ، وقد شعر أنه

[1] ــ المصدر السابق : ص 87 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 109 .

أنفق من المال ذلك الشهر ما جعله يمدّ يده إلى نفقات الشهر التالي ، وهو لن يحلّ قبل أسبوعين من يومه ذاك "[1] .

لم يكن الوقت القصير الذي يقضيه الطلبة في مطعم لوي لغران ، يمنع من أن يناقشوا "... شؤون البلاد سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية أم ثقافية ، ويدلون بملاحظاتهم على المحاضرات التي كانت تلقى أسبوعياً في قاعة (الجمعيات العالمة) ..."[2]

أما رواية الثالثة ـــ أصابعنا التي تحترق ـــ فقد نقلت جزءاً من فضاءات المطاعم البيروتية ، وقد كانت هذه المطاعم تظهر تبعاً لصيرورة أحداث الرواية وأثناء ظهورها تنقل جزءاً من مجريات الأحداث بعد أن يدعو أحدهم الآخر لتناول وجبة غذاء أو عشاء في إحدى المطاعم ، وهذا ما جرت عليه العادة بين الأصدقاء ، والأمثلة في الرواية كثيرة خاصة الدعوات التي كانت بين سامي وأصدقائه ، فقد دعا عصام كل من سامي ورفيقة " ... إلى تناول وجبة الغذاء ، في أحد المطاعم المطلة على البحر ، فأوشك (سامي) أن يعتذر عن قبول الدعوة ليدعوهما بنفسه ،ترحيباً بصديقه العائد وتكريماً له، ولكنه ذكر أن ما يحمله من مال لن يكون كافياً للنهوض بهذه الدعوة ، وتمنى أن يأتي الاعتذار من رفيقة ليمضي بهما إلى مطعم متواضع

---

[1] ـ المصدر نفسه : ص 110 .

[2] ـ المصدر السابق : ص 237 .

..."[1]... وفوجئ هو ورفيقة ، بسيارة أنيقة كانت عند باب البناية ، يدعوهما عصام لركوبها ... حتى بلغوا مطعم (غروت أوبيجون) واختار عصام طاولة صغيرة ذات أربعة كراسي ، في شرفة أنيقة تطلّ على صخرة الروشة ..."[2] .

لم تكن هذه الجلسة في المطعم ـــــ جلسة وجبة غذاء ـــــ فضاء لسرد أحداث جديدة ، أو نقل نقاشات فكرية وسياسية بين الأصدقاء ، فقد حرص السارد على أن ينقل جزءاً مما دار بينهم من حديث قبل أن يتوجهوا للمطعم ، حيث مكثت رفيقة بصحبة عصام في مكتب سامي يطالعون الجرائد ويقرؤون الأشعار وبعد زهاء ساعة التحق بهم سامي الذي لم ير عصام منذ أشهر بسبب غيابه في "... أحسها نعمة تهبط عليه من السماء ، حيث عاد إلى مكتبه ، أن يجد فيه عصام ، فإذا هو يقبل عليه معانقاً مرحباً ، وإذا هما في اعتناقها يضحكان من فرط السعادة ..."[3]، وبانضمام سامي إلى رفيقة وعصام " ...أخذوا يتحدثون في شؤون الأدب والأدباء . وما لبث عصام أن دعاه ورفيقة إلى تناول الغذاء ، في أحد المطاعم المطلة على البحر ..."[4] .

---

[1] ــ سهيل إدريس : أصابعنا التي تحترق ، ص 68 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 68 ــ69 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 67 .

[4] ــ المصدر نفسه : ص 68 .

عن طريق هــذه الصورة يبرر السارد أنه لم يوظف المطاعم إلا كمكان هامشي وليس أساسي في الرواية ، ودليل ذلك عدم اهتمامه بتصويرها هندسياً وإســقاط كــل اهتمامه على ما يجري فيها من أحداث ووقائع .

ج ــ أمكنة للفسحة والمتعة وأخرى للاستجمام :

الغابات والحدائق والمصايف والمراقص وغيرها من الأمكنــة التــي يقــصدها الإنسان طلباً للراحة النفسية بعد ضغوطات الحياة اليومية التي تراكمت لأيام أو شهور، كأن يكون ذلك في عطلة الأسبوع أو في الأعيــاد والمناســبات أو فــي الإجــازات كالإجازة الصيفية مثلا التي تمتلئ فيها المــصايف والــشواطئ بحثــاً عــن الراحــة والاستجمام وللتخلّص من ضغط عام دراسي أو وظيفي كامل .

في رواية الأولى "الخندق الغميق" أماكن الفسحة والاستجمام كانت قليلــة جــدّا وذلك تناسقاً مع البنية الكليّة للرواية التي تصوّر مجتمعاً محافظا يعيش عادات وتقاليــد وضوابط ترى التردّد إلى بعض أمكنة الفسحة ترفاً ولهــوا ممقوتــاً يمــسّ بــالأخلاق الخاصّة والعامّة ، وعليه كان في هذه الرواية حضور للمصيف فقط كمكان للاستجمام العائلي وليس الفردي أو رفقة الأصدقاء ، ممّا يعني أنّها فسحة واستجمام مرة واحــدة سنويّا وتحت رقابة الأبويّة.

توجّهت الأسرة للمصيف حيث يقضون العطلة الصيفية أو بعضا منها فهي تمتدّ لثلاثة أشهر " ...وحين بلغوا المصيف الجدي ، وقف على شرفة البيت الذي استأجره فــإذا

سهل البقاع ينتشر أمام ناظريه بساطاً في مئة لون ولون تشربها العين فــلا ترتــوي ، واستنشق نسمة رطبة مرّت فاخضلّت روحه بنداوة منعشة بعثت في نفسه حنينــاً إلــى الانطلاق في حياة لا تحدّها قيود الزمان والمكان ، وان قد مضى عليه دقــائق يتأمّــل البساط السندسي...."[1] .

وصف السارد المكان الجبلي الذي قضت فيه العائلة عطلة الصيف من خــلال عيني سامي وهو يتأمّل المنطقة من شرفة البيت الذي سيقضون فيه أيّاما .

في نفس المصيف جاورت أسرة أخرى بيت أسرة سامي وكان لهم ابنة اســمها سميّة تعرّف عليها سامي ونشأة بينهما علاقة تطورت إلى حب ، وكان يلتقيان في غابة حيث تنزل سمية لتمشى مع أخيها الصغير سامح ويقصد سامي الغابة لــيجلس تحــت الشجر يطالع ويترجم نصوصا من الآثار الفرنسية[2] ، ولم يكن ثمّة تفصيل في وصــف الغابة وأشجارها وأنهاره إنّما كانت الغابة حمّالة لأحداث سردية .

بالانتقال إلى الرواية الثانية " الحي اللاتيني" ونظراً لطبيعة الجو العام للروايــة تتعدّد أماكن الفسحة والمتعة والاستجمام ، من بين الأمكنة التي لم يذكرها السارد فــي الرواية الأولى ذاك النمط من المقاهي الصاخبة .

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق ، ص 61 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 64 وما بعدها .

غاب هذا النمط في الرواية الأولى إذ يعتبر حسب النّسق العام في رواية "الخندق الغميق" من الأمكنة المحظورة وليس مكاناً مشبوها فقط كما وصفت السينما في ذات الرواية من قبل الأب .

كان هذا النمط من المقاهي حاضرا في رواية الحي اللاتيني مقاهي تعجّ بـــ " ...ضجيج الموسيقى وصخب الشبيبة الضاحكة الهازجة المثرثرة ، المنتثرة في أرجاء المقهى ، جلوساً إلى الطاولات أمام كؤوس الخمر أو وقوفاً عند النوافذ المغلقة ، وكان فيهم من يرود الممرّات بين المقاعد يتحدّث حديثاً خاطفاً إلى الجالسين ، أو يلقي نكتة عابرة تتفجّر لها ضحكات سافرة تزيد من صخب الأنغام المجنونة المنبعثة من مكبّر موصول بغرامافون ، شبّان يوحي مظهرهم بكلّ شيء إلاّ بالوقار، وفتيات تلمع عيونهنّ ببريق الذكاء والخفّة والطّيش و يخيّل للناظر أنّهنّ يعشن ليعطين ما يطلب منهنّ "[1]

مثل هذه الأماكن التي يغلب عليها جو اللهو والمتعة كان لها مساحة رواية "الحي اللاتيني "، إذ أنّ الطلاّب العرب كان يرون باريس بلداً للتحرّر من قيود كبّلتهم سنوات في بلدانهم بالشرق العربي .

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 13 .

كما ورد ذكر القرية كمكان لقضاء أيام لتنقية الروح والنفس من تعب سنة دراسية ، حيث لجأ سامي للذهاب لوحده لقضاء أيام في القرية بعد مجيئه من باريس إلى بيروت حيث قضى العطلة الصيفية ، فتمتّع بالجو النقي والبحر والشمس[1] .

أمّا في الرواية الثالثة رواية " أصابعنا التي تحترق " فورد فيها المصيف كمكان للاستجمام حيث قصدته " رفيقة شاكر " وصديقاتها القادمات من مدينة صغيرة تقع في أقصى شمال سوريا ، فاستأجرن شقّة في روابي " قرنايل" منطقة جبلية في لبنان حيث الغابات الكثيرة والجو اللطيف ، يقول السارد واصفا إحدى الغابات التي كانت طريقا عبر منها سامي للالتقاء برفيقة شاكر" ...غابة صنوبر كانت تحفّ الطريق العام ، فجلس في ظلّ شجرة كبيرة ، وهو يودّ أن يقضي فترة من الزمن ، يستمتع بالهدوء ويتنشّق عبير الغابة ورائحة الصمغ الصنوبري ..."[2]

كانت المصايف كأماكن للاستجمام في هذه الرواية مكاناً للالتقاء بين بعض شخصيات الرواية ،أمّا وصفها فكان وصفاً باهتاً خالياً من التدقيق إذ أنّ الوظيفة التي أدّتها كأمكنة أهمّ بكثير من وصفها شكلياً.

4 ــ أماكن السكن الرسمية والمؤقتة :

أ ــ المنزل/ البيت:

[1] ــ المصدر نفسه : ص 223 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 34 .

المنزل مأوى الإنسان ومكان الراحة والاستقرار ، يعود إليه بعد تعب يوم من العمل والسعي ، أو يرجع إليه بعد سر قصير أو طويل ، البيت مكان الطمأنينة والراحة فهو المكان الذي تجتمع فيه أفراد الأسرة الواحدة" ...هو مكان / خلية يتجمّع فيها وداخلها أفراد العائلة حيث يمارسون بشكل تلقائي علاقاتهم الإنسانية "[1].

المنزل الوحيد الذي صوره لنا السارد في رواية الخندق الغميق هو منزل الفتى " سامي " وأسرته ، يبدو منزل هذه الأسرة على قدر كبير من البساطة والتقليدية فهم عائلة متوسطة الحالة أو ربما دون المتوسط ، وبدا ذلك من بعض المظاهر التي تشفّ عنها الرواية ، فالبيت يخلو من التجهيزات العصرية الفخمة ، يتّضح ذلك في المشهد الأول من الرواية حين نقل السارد جلسة العشاء التي حضرها ضيوف وكان متربّعين على الأرض ، والطعام وضع على البساط[2] ، من هذا المشهد يبدو البيت خاليا من قاعة أنيقة مخصصة للضيوف ، كما لا يحتوي أيضا على طاولة وكراسي مخصصة لتناول الوجبات.

أمّا غرفة الاستقبال فتحوي على أرائك لم يحفل السارد بوصفها، وإنما جاء ذكرها عرضا ، حين لجأ سامي لتخبئة زيّه الديني تحت إحدى الأرائك ليتسلل في جنح الليل

[1] ــ أحمد زنيبر : جمالية المكان في قصص إدريس خوري(دراسة نقدية) ، التنوخي للطباعة والنشر ، الرباط المغرب ، ط 01 ، 2009 ، ص 53 .

[2] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق ، ص 7 .

مع رفاقه إلى السينما موهماً أهله بأنّ كان مع رفاقه لمراجعة الدروس ، وفي وقت تسلّله من المنزل كان أهله مجتمعين في غرفة داخلية لم يهتم السارد بوصفها أيضا. فالمنزل يبدو قليل الغرف ، وسامي وشقيقه فوزي يقتسمان غرفة واحدة[1] ، ويضطر كلّ منهما لاحترام الآخر بعدم إزعاجه بالصوت أو الإنارة .

وغرفة الاستقبال أيضا في هذه الرواية هي المكان الذي كان يجتمع فيه سامي وصديقه رفيق ، وأحيانا تحضر هدى شقيق سامي لتطلب مساعدة من رفيق في مسألة رياضية[2] ، وكانت هذه الجلسات في غرفة الصالون كفيلة بأن تنتج بينهما مودة وعاطفة .

لعلّ عدم تكلّف السارد في وصف المنزل في رواية الخندق الغميق يعود لتكثيفه لوصف ما يجري داخل المعهد الديني خاصة وأماكن أخرى .

ففي رواية "الحي اللاتيني" أيضا لم يكن للمنزل نصيب كبير من الوصف ،وسبب ذلك واضح فأحداث الرواية في باريس والأبطال يعودون في آخر يومهم لغرفهم بالفندق ، كما أنّ هناك سبب آخر وهو اهتمام السارد بأماكن أخرى كالمسرح والسينما وقاعات الموسيقى والمتاحف والجامعة ...الخ .

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 51 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 124 .

البيت في هذه الرواية يذكره السارد حين عودة الشخصية المحورية من باريس إلى لبنان في العطلة السنوية الصيفية ، إذ يدخل غرفته فيجد فيها أشياءه القديمة كلّها ، لم يكد شيء منها يزاح من مكانه ، يغمره شعور الارتياح وترتسم على شفتيه بسمة الرضا"[1].

لم يقدّم السارد في هذا الموضع وصفا شكليا للغرفة لكنّه في ذات الوقت وصفها بأنّها مكان بعث في صاحب الغرفة الراحة والرضا .

تبدو الغرفة غرفة باحث / طالب دكتوراه ، قدم من باريس لقضاء عطلته ، فهي تحتوي على ركام كتب في إحدى زواياها[2] .

غرفة واحدة من منزل واحد فقط في رواية الحي اللاتيني جاء السارد على ذكرها ، وقد شغل ساحة اهتمامه بالحديث عن أمكنة أخرى كانت أكثر أهمية من البيت في مسار تقدّم الأحداث وسرد القصة.

بالانتقال إلى الرواية الثالثة رواية "أصابعنا التي تحترق" يأتي السارد على ذكر ووصف أكثر من بيت ، منها بيت سامي وبيت أسرة إلهام راضي ، ثم البيت الذي جمع بين سامي وإلهام بعد زواجهما .

---

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 188 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 196 .

أسرة سامي يمتلكون بيت بالجبل يقضون في فترة الصيف وبيت في المدينة يعيشون فيه خلال الشتاء وبقية أشهر السنة .

فقد تعرّض السارد بالحديث عن البيت الذي هو بالمدينة ، وذلك خلال توجّه سامي للبيت ليأخذ قسطا من الراحة في القيلولة بعد شعوره بالتعب والإرهاق من الانهماك في العمل بمكتبه "...حين فتح باب البيت ،هبّت عليه رائحة رطوبة وظلام ، فمضى إلى غرفة الاستقبال يفتح نوافذها ليدخل إليها الحرارة والنور "[1] ، قاعة الاستقبال بالبيت تحتوي على رف للكتب يحتوي على بعض أعداد قديمة من مجلة الفكر الحر التي أسسها سامي.

البيت كان خاليا فأسرته كلها في الجبل يصطافون ، وكل ما ذكره السارد عن وصف للبيت لم يتعدّ لمحات عن غرفة الاستقبال وإشارات عن غرفة سامي التي تحتوي سرير وطاولة.

أما بيت أسرة إلهام بمدينة بعلبك فجاء ذكره عرضا حين زارهم سامي للتقدّم لخطبة إلهام ، ولم يهتم السارد بوصف البيت كمكان، بل شغل مساحة السرد بنقل الحوار الذي دار بين سامي وإلهام وأسرتها[2] .

---

[1] ــ سهيل إدريس : أصابعنا التي تحترق ، ص 53 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 149 وما بعدها

ثمّ ذكر السارد في سياق السرد بيت سامي وإلهام بعد زواجهما،لم يدقق أيضا في وصفه كثيرا ولكن أوصل للقارئ/ رسالة ،وهي بساطة البيت إذ لم يتمكّن سامي من تأثيث كل البيت واكتفى فقط بتأثيث غرفة النوم ، أما غرفة الاستقبال فكان أثاثهما هدية من شقيق زوجته إلهام مساهمة منه ومساعدة له لبدء حياة زوجية جديدة لشاب وشابة يعتمدان على مثابرتهم وكدهم بالإضافة إلى غرفة خاصة يلجأ لها سامي أوقات رغبته في الانعزال من أجل الكتابة ، ومن نفس البيت الذي يعيشان فيه خصصا غرفة جانبية لتكون مكتبا لمجلة يترأسها سامي وسكتيرتها إلهام.

ب ــ الفنادق :

ا لفندق أو النزل هو المكان الذي يحطّ فيه المسافر الرحال حين التنقّل من منطقة إلى أخرى أو من بلد إلى بلد قصد العمل أو الدراسة أو السياحة.

ذُكر الفنادق في رواية الحي اللاتيني ، حيث حطّ مجموعة من الطلاّب العرب الرحال في الحي اللاتيني وتوزّعوا في فنادق كثيرة مخصصة للطلاّب الأجانب وأسعارها منخفضة متناسبة مع وضعية الطالب الجامعي .

أول الفنادق التي ذكرها السارد هو فندق" كلود برنار" ، وفيه نزل الشخصية المحورية في الرواية رفقة صديقه صبحي واقتسما الغرفة التي لم يهتم السارد لوصفها.

لكن الفندق حسب السارد يبدو فندقا أنيقا ، فالطلاّب لم يستطيعوا مواصلة إضافة إلى أنّ اقتسام غرفة واحدة بين شخصين ولو كانا على قدر كبير من القرب والصداقة بدا أمراً غير مريح لكلاهما ، لذلك بادر صبحي ذات يوم واقترح على صديقه أن يستقلّ كلّ منهما بغرفة " ليس من الخير أن نبقى معاً في غرفة واحدة ..ينبغي لكّ منّا أن يستقلّ بغرفة ، وأظنّك قد فهمت ما أقصد ..."[1] ، والذي يقصد هو الحفاظ على جزء من الخصوصية التي تكون بين المرء وذاته وكذلك ساعات التأمّل وأوقات المذاكرة التي يودّ الفرد أن يكون فيها مستقلاً منعزلاً ، ومن هنا تتبيّن أهمية الغرفة كمكان فهي التي تتيح للإنسان أن يكون مع ذاته وبمعزل عن العالم الذي حوله وفيها أيضا يأخذ قسطا من الراحة .

انفراد كلّ منهما في غرفة أيضا جعلهما يقرران تغيير الفندق المكلّف ماديا ، واتفقا على ذلك بناء الميزانية التي بحوزتهما والتي يستحيل أن تغطي تكاليف الفندق الذي نزلا فيه ، ويتّضح ذلك في قول الآتي:" إنّ بقاءنا في هذا الفندق الأنيق سيضع ميزانيّتنا في خطر، يجب أن نبحث عن فندق رخيص للطلاّب بالمشاهرة ، إنّ جيوبنا المنتفخة الآن تنسينا الأيام القادمة "[2].

[1] ــ المصدر السابق : ص 41 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 41 .

بعد انتقالهما من الفندق السابق بحثا سويا عن فنادق أخرى تكون أسعارها مناسبة للطلاب " ثمّ استقرّا في فندقين متواضعين متجاورين من فنادق الحي اللاتيني يشرفان على (البانتيون) مقبرة العظماء الفرنسيين ، وقد اختار صبحي غرفة من غرف الطابق الثالث في فندق (الباتيون) بأجرة ستة آلاف فرنك في الشهر ، واختار هو غرفة في الطابق السادس الأخير في فندق (ليغران زوم) بأجرة خمسة آلاف "[1] فندق الباتيون وفندق لغرام زوم كلاهما على مقربة من السربون وكلية الحقوق والمسافة التي تفصلهما أقل من خمس دقائق[2] .

لم يدخل السارد في وصف تفاصيل غرف الطلاب واكتفى فقط بذكر أرقام الطوابق ووصف عابر لمساحة الغرف ، كإشارته لغرفة الشخصية في الرواية بأنها غرفة صغيرة متواضعة في الطابق السادس ، ثمّ الإشارة إلى غرفة جانين بأنّها غرفة كبيرة في الطابق الأول ، وقد فكرت بأن تنتقل لغرفة صغيرة وعلى ما يبدو أن الطابق السادس كان مخصصا للغرف الصغيرة[3] .

الفندق وغرفه كانت بالنسبة للسارد أماكن لنقل الأحداث ودفع عجلة السرد ، ولم يولي السارد أهمية لوصف الفضاءات ،وقد حاول ملء فراغ وصف المكان بالحديث

[1] ــ المصدر نفسه : ص 62 ــ 63

[2] ــ المصدر نفسه : ص 63 .

[3] ــ المصدر السابق : ص 149 .

عن وظيفة المكان ، فالفندق مثلا كان مكانا لاستقرار مؤقت لشخصيات مهمة في الرواية كما كان فضاء لتعرف الشخصية المحورية بجانين وتجدد اللقاءات بينهما وتبادل الثقافتين الشرقية والغربية وتبادل الهموم الشخصية ومطارحات في الحب والعشق بعد أن تماسكت العلاقة بينهما واقتربا أكثر من بعضهما .

5 ــ أماكن التنقّل والحركة اليومية :

أ ــ الشوارع والأحياء:

في الرواية الأولى أبرز شارع فيها كان عنواناً للرواية ككل، يكتسب شارع " الخندق الغميق " أهميته من انتماء أبرز الشخصيات في الرواية له من حيث ، " ... شارع الخندق الغميق الذي لم يكونوا يفهمون لماذا سمي بهذا الاسم ، وإن كانوا قد لاحظوا أنّه طريق طويل هابط ، لعلّه شُقّ يوماً من الأيّام خندقاً من خنادق الحرب ثمّ حوّل إلى شارع..."[1] ينتهي شارع الخندق الغميق بـ " ...شارع رئسي في المدينة كانوا يعتبرونه نهاية حيّهم وطليعة حيّ جديد لم يجرؤوا على اقتحام أسواره ، فقد كانت تقوم فيه المدينة الكبيرة التي كانت محرّمة عليهم ... "[2].

شارع الخندق الغميق حيّ ، لم يفرط السارد في وصفه ، لكنّه في ذات الوقت أشار لمكانته في قلوب شخصيات الرواية لا سيما الأطفال الذين يقضون صبيحة

[1] ــ سهيل إدريس : الخندق الغميق ، ص 11 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 11 ــ 12 .

الجمعة فيه لهوا ولعباً "[1] ...وكانوا يحبّون الخندق الغميق ويعتبرونه حيّهم ، ويجـــدون فرحة في سلوكه طلوعاً وهبوطاً " .

أمّا المرافق العامّة التي يشملها الشارع فأشار السارد إلى دكّان المعلّم محمـــود مدير الكتّاب الذي يبتاع منه الطلاّب الحلوى في أيام العطل والاستراحات .

كما يشمل الشارع كتّاب يتدارس فيه الأطفال القرآن ويحفظونه ، وقد تمّ التطرّق إليـــه كمكان ضمن الأماكن المخصّصة للتعليم.

بالانتقال إلى الرواية الثانية ، رواية "الحي اللاتيني" ، وهي أيضا عنوانها اســـم لأبرز الأحياء التي دار فيها أحداث الرواية .

الحي اللاتيني بباريس ، حي من الأحياء الفرنسية ، على مقربة من نهر السين ، فـــي العادة هذا الحيّ يقصده الطلاّب للسكن فهو قريب من الجامعات والمقاهي والمكتبـــات وفيه شقق وفنادق في متناول الطلاّب للإيجار ، وفيه نزلت شخصيات الرواية الطلاّبية ، لم يصفه السّارد وصفاً هندسياً كالكثير من الأمكنة .

من المكتبات التي أدرجها السارد في ثنايا نسيجه السردي مكتبة تقع في شارع " مسيو لوبرنس "، وفيها كان لقاء خاطف بين الشخصية المحورية وجانين وهمـــا فـــي بداية تعارفهما[2].

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 13 .

[2] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 91

من الشوارع الفرنسية المذكورة في الرواية شارع " غي لوساك " وشارع "سان جاك"[1]، وشارع "سوفلو" وشارع "سان جاك"[2] ، وهما على مقربة من فندق البانتيون.

من الشوارع المذكورة أيضا شارع "الأوبرا"[3] الذي يقصده الطلاب لقطع تذاكر سفرهم في البواخر لتقلّهم إلى بلدانهم ، كما ذكر أيضا شارع " سان ميشال"[4] .

وردت الشوارع البارسية كأماكن تحتوي الأحداث إذ لم يولي السارد أهمية لوصفها ولا لنقل خصائصها ومميزاتها الشكلية ، وهنا يمكن القول أنّ سطوت الحدث وقوّته كانت أهمّ بكثير من وصف المكان طوبوغرافيا .

الرواية الثالثة والأخيرة "أصابعنا التي تحترق"، حيث جرت أحداثها في بيروت ، فذكر فيها شارع الجامعة[5] دون أن يوصف .

أمّا بقية الشوارع فلم تظهر في الرواية بل ذكرت أسماء مدن دون أن توصف كبيروت وبعلبك والقاهرة .

ب ــ محطة السيارات والمطار والميناء:

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص 84 .

[2] ــ المصدر نفسه : ص 88 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 243

[4] ــ المصدر نفسه : ص 243 .

[5] - سهيل إدريس : أصابعنا التي تحترق ، ص 53

محطة السيارات والحافلات والمطار والميناء ، أماكن مخصّصة للانتقال والارتحال والسّفر ، يقصدها الأفراد والجماعات كلّ لغاياته ولوجهته .

فمحطة السيارات والحافلات يقصدها الناس ــ مثلا ــ صباحا للتوجّه لأماكن العمل والدراسة والعودة مساء للبيوت ، وقد يقصدونها لتنقلات خاصة كالفسح في الإجازات والزيارات أو التوجّه لمستشفى وغيرها .

تؤدي المحطّة مهمّة تكون أوسع نطاقا من تلك التنقلات في مسافات قصيرة داخلية يومية ، كأن يتنقّل البعض من مدينة إلى أخرى داخل البلد الواحد في سيارة أو حافلة.

أمّا المطارات والميناء كأماكن لتنظيم وانطلاق الرحلات البحريّة والجويّة ، في الغالب يكون التنقّل فيها لمناطق بعيدة أو بلدان أجنبية يقصدها النّاس لمآرب متعددة من سياحة ودراسة وهجرة وعلاج ...الخ.

السّارد لم يقدّم وصفاً للمحطات والمطار والميناء ، بل اهتمّ بها من حيث أمكنة تتنقّل فيها أحداث الرواية ، ولذلك حتى ذكرها كان غير مكثّف ، إلى درجة غيابها كما هو في الرواية الأولى (الخندق الغميق).

في الروايتين التاليتين (الحي اللاتيني) و (أصابعنا التي تحترق) ، تمّ توظيف هذه الأمكنة وليس وصفها ، فمثلا رواية "الحي اللاتيني " تبدأ في صفحتها الأولى في نقل مشهد الشخصية الرئيسية ورفاقه ،وهم في الباخرة من بيروت باتجاه فرنسا البلد

الذي ابتعثوا له لمواصلة دراستهم العليا " أو ما تشعر باهتزاز الباخرة ، وهي تشقّ هذه الأمواج مبتعدة بك عن الشاطئ متّجهة إلى المدينة التي ما فتئت تمرّ في خيالـــك..."[1]، في هذا المشهد لا وجود لوصف للمكان وكلّ ما يتبعه كان نقلاً لمشهد الأســـرة وهـــي تودّع ابنها وهو متجه نحو فرنسا لاستتمام دراسته .

فمحطة القطار من محطات التنقّل التي ذكرت ، إذ بعد وصول الطلاب لمينـــاء مارسيليا ، توجهوا إلى" محطّة ليون " حيث ينقلهم القطار ثم يأخذون ســـيارة توصـــلهم إلى الحي اللاتيني[2] ، هناك حيث سيحطّون الرحال و يتهيؤون للالتحاق بالجامعة .

من المحطات التي ذكر في رواية الحي اللاتيني ، محطة المترو في " الأوديون" ومحطة "الايتوال"[3] ، وفي سياق إدراج محطة المترو أيضا ذكر النفق خاليا من وصفه كمكان أيضا.

كما وردت محطات السيارات كأمكنة في رواية أصابعنا التي تحتـــرق ، حيـــث تتنقّل شخصيات الرواية من مكان لآخر داخل بيروت وخارجها أي للمدن المجاورة كما تتنقّل إلهام بين بيروت العاصمة التي قصدتها للالتحاق بالجامعة وبعلبك مدينتها التـــي

[1] ــ سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، ص 05 .

[2] ــ المصدر السابق : ص 09 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 72

تسكن فيها ، وفي هذه الرواية يسجّل أيضا غياب كلّي لوصف المحطة وصفاً تجسيديا تصويرياً .

أمّا المطار جاء ذكره في سياق عودة سامي من باريس إلى بلده بعد أن أقام أسبوعا كاملا زيارة في باريس[1] في رواية الحي اللاتيني .

أمّا في رواية " أصابعنا التي تحترق ، فقد ورد ذكر المطار مرات متعددة للانتقال بين بيروت والقاهرة ،منها سفر سامي وإلهام إلى القاهرة بعد زواجهما[2]، تقول إلهام في هذا السياق معبرة عن فرحها بالسفر إلى القاهرة:" ...ولم أصدق عيني إلا حين دوى محرك الطائرة فأحسست إني مسافرة حقا"[3].

تجاوز السارد وصف غالبية الأمكنة وصفاً هندسياً بحتاً ، إذ أنّ المكان كحيّز تدور في أرجائها أحداث الرواية وتتجوّل الشخصيات وخطاباتها كانت أهمّ من تقديم وصف دقيق قد يقلّل أو يلغي مساحة تطوير الحدث أو إبراز خطاب الشخصيات وتحرّكاتها وحواراتها .

[1] ــ المصدر نفسه : ص 47 .

[2] ــ سهيل إدريس : أصابعنا التي تحترق ، ص 176 .

[3] ــ المصدر نفسه : ص 176 .

الفصل الثالث

تشكّل الزمن في ضوء الدراسات الفلسفية والمقاربات السردية

تمهيـــــد :

أولاً : مقولة الزمن من أنفاق الدراسات الفلسفية إلى سراديب المقاربات السردية :

1 ــ مقولة الزمن من وجهة نظر الفلاسفة

2 ــ عند الشكلانيين الروس

3 ــ عند البنيويين

*** ــ مستويات الزمن لدى البنيويين**

أ ــ زمن القصة

ب ــ زمن السرد / زمن الخطاب

ثانياً : بنية المفارقات الزمنية في نصوص الثلاثية :

1 ــ الاستباق prolepse :

*** ــ أنواع الاستباق :**

أــ الاستباق كتمهيد / فاتحة

ب: الاستباق كإعلان / داخلي

*** ــ جدول 01 :** رصد الاستباقات الواردة في متون الثلاثية

01 ــ الاستباقات في رواية الخندق الغميق

02 ــ الاستباقات في رواية الحي اللاتيني

03 ــ الاستباقات في رواية أصابعنا التي تحترق

* ــ جدول 02 : رصد الاسترجاعات الواردة في متون الثلاثية

01 ــ الاسترجاعات في رواية الخندق الغميق

02 ــ الاسترجاعات في رواية الحي اللاتيني

03 ــ الاسترجاعات في رواية اصابعنا التي تحترق

***ــ جدول 03 :** الاحصائيات الكليّة لبنية المفارقات الزمنية في نصوص الثلاثية

أ ــ الاستباقات :

شكل01 :أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للاستباقات في نصوص الثلاثية

ب ــ الاسترجاعات :

شكل 02 : أعمدة بيانية توضّح النسب المئوية للاسترجاعات في نصوص الثلاثية

جدول 04 : مقارنة بين مجموع الاستباقات الكلية والاسترجاعات الكليــة فــي الثلاثية

شكل 03 : دائرة توضح النسب المئوية للاستباقات مقابل الاسترجاعات في نصوص الثلاثية

ـ جدول 05 : رصد مجموع الاستباقات بنوعيها والاسترجاعات بنوعيها

شكل 04 : نسبة الاستباقات والاسترجاعات داخل كل رواية

*** ـ نتائج وتعليقات**

ثالثاً : نظام السرد / الإيقاع الزمني في نصوص الثلاثية

1 / تسريع السرد

أـ الخلاصة Sommaire

***ـ جدول 06** : رصد الخلاصة / الإيجاز في متون الثلاثية

01 ـ الخلاصة / الإيجاز في رواية الخندق الغميق

02 ـ الخلاصة/ الإيجاز في رواية الحي اللاتيني

03 ـ الخلاصة / الإيجاز في رواية أصابعنا التي تحترق

ب ـ الحذف Ellipse

*** ـ أنواع الحذف :**

1 ـ الحذف المعلن Ellipse déteraminée

2 ـ الحذف غير المعلن / الضمني Ellipse indéterminée

*** ـ جدول 07** : رصد الحذف / القص في متون الثلاثية

01 ــ الحذف / القص في رواية الخندق الغميق

02 ــ الحذف / القص في رواية الحي اللاتيني

03ــ الحذف /القص في رواية أصابعنا التي تحترق

* **ــ جدول 08** :الاحصاءات الكلية لنظام السرد / الإيقاع الزمني

1 ــ تسريع السرد :

أ ــ الخلاصة / الإيجاز :

ب ــ الحذف / القص :

02ــ إبطاء السرد / تعطيل السرد :

أ ــ المشهد Scéne :

***ــ جدول 09** : رصد المشاهد /الحوارات في متون الثلاثية

01 ــ المشاهد / الحوارات في رواية الخندق الغميق

02ــ المشاهد / الحوارات في رواية الحي اللاتيني

03 ــ المشاهد / الحوارات في رواية أصابعنا التي تحترق

ب / التوقف :

ــ أنماط التوقف :

1 ــ وصف الشخصيات :

2 ــ وصف المكان :

3 ــ وصف الطبيعة :

*ــ **جدول 10** : رصد التوقّف في متون الثلاثية

01 ــ التوقف / الوصف في رواية الخندق الغميق

02 ــ التوقف / الوصف في رواية الحي اللاتيني

03 ــ التوقف/ الوصف في رواية أصابعنا التي تحترق

* ــ **جدول 11** : الإحصاءات الكلية لنظام السرد / الإيقاع الزمني

1 ــ تسريع السرد :

أ ــ الخلاصة :

ــ **شكل 05** : أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للخلاصة في الروايات الثلاثة

ب ــ الحذف :

ــ **شكل 06:** أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للحذف في الروايات الثلاثة

02 ــ إبطاء السرد / تعطيل السرد :

أ ــ المشهد :

ــ **شكل 07** : أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للمشهد في الروايات الثلاثة

ب ــ التوقف / الوصف :

ــ **شكل 08** : أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للوصف في الروايات الثلاثة

* ــ **جدول 12:** مقارنة بين نسبة الاشتغال على تسريع السرد وتعطيله في مجمل نصوص الثلاثية

ــ **شكل 09 :** دائرة نسبية تقارن بين نسبة تسريع السرد وإبطاؤه في الروايات الثلاثة

ــ تعليقات ونتائج

تمهيـــــد :

نال مفهوم الزمن حظاً وفيراً من الدراسة ومحاولة تحديد الماهية، من قبل العديـد مـن المفكرين والفلاسفة قديماً وحديثا، وقد اكتسب هذا الاهتمام من طبيعتـه التـي يكـسوها الغموض والضبابية، وازدواج ماهيته المجهولة المحسوسة في ذات الوقت، إضـافة إلـى ذلك فالزمن له "...علاقة بالحياة والكون والإنسان، فيه يتشكّل الوجود والعـدم، المـوت والحياة، الحركة والثبات، الحضور والغياب والزوال والديمومة،فكأنّ الزمن... هو وجودنا نفسه ، هو إثبات لهذا الوجود أولاً ثمّ قهره رويداً رويداً بالإبلاء آخراً، إنّ الزمن موكـل بالكائنات ومنها الكائن الإنساني ، يتقصى مراحل ويتولّج في تفاصيلها بحيـث لا يفوتـه منها شيء ولا يغيب منها فتيل كما تراه موكلا بالوجود نفسه أي بهذا الكون يغيـر مـن وجهه ويبدّل من مظهره فإذا هو الآن ليل وغدا نهار، وإذا هو شتاء وفي ذلك صيف "[1]

من الأهميّة التعريج على مفهوم الزمن فلسفياً قبل أن يتمّ الإطّلاع عليهـا سـرديا، لأنّ فكرة الزمن في بادئ الأمر أثيرت في أوساط الفلاسفة الذين آمنوا بأنّ الزمن هو مادّة الحياة.

[1] ــ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ،عالم المعرفة ،عدد 24 ، المجلس الوطني للثقافة ،الكويت،1998 ،ص 199

أولا : مقولة الزمن من أنفاق الدراسات الفلسفية إلى سراديب المقاربات السردية :

1ــ الزمن من وجهة نظر الفلاسفة :

اهتمّ الفلاسفة منذ القديم بفهم مقولة الزمن والبحث عن ماهيتها،وقد ازداد اهتمامهم بها بعد أن لاحظوا أنّ الزمن "من الأبعاد الغامضة والهلامية المستعصية على القياس الدقيق،لصلته بمفاهيم تجريدية تبحث في الوجود والعدم والكينونة والأزلية ،كما تعود صعوبة البحث في مقولة الزمن إلى سعة مجاله وارتباطه بكل مظاهر الوجودالإنساني"[1] ،وعلى هذا الأساس طرح القديس أوغسطين (st Augustin) في كتابه الإعترافات Les comfessionsإشكالاً ،وبلوره في قوله : " ما الزمن ؟ إذا لم أسأل فإني أعرف ، أمّا سألني أحدهم وأرت الإجابة فإنّي لا أعرف "[2] ، وحيال الكشف عن حقيقة الزمن يرى أوغسطين Augustin بأنّه لايمكننا ملاحظة الأبعاد الثلاثة للزمن المتمثلة في : الماضي ، الحاضر والمستقبل ،لأنّها مجرّد وصف لمراحل ، وهذه المسمّيات ماهي إلاّ مصطلحات لغوية للتقليل من حدّة الغموض الذي يشوب الزمن ، كما يرى القديس أوغسطين Augustin بأنّ الحاضر هو البعد الزمني الوحيد القادر على جمع البعدين الآخرين

[1] ــ عمرو عيلان : الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي (دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة) ، منشورات جامعة منتوري ،قسنطينة ،ط01 ،2001 ،ص271 .

[2] ــst-Augustin:Les confessions ,livre xi ed gornier fla,orin ,Paris,1964,p264.

(الماضيوالمستقبل)، فإن كان الحاضر هو اللحظة الزمنية الراهنة،فإنّه بإمكاننا استرجاع الماضي في الحاضر عن طريق التّذكّر وتوقّع المستقبل عن طريق التّأمّل والتّخيّل[1] .

أمّا في التراث الفلسفي العربي ورد ضمن رسائل إخوان الصفاء محاولة لمسك خيوط الزمن وتحديد مفهومه فقيل:"إنّ الزمان عند جمهور النّاس هو مرور السنين والشهور والأيّام والساعات ، وقد قيل إنّه مدّة تعدّها حركات الفلك وقد يظنّ كثير من النّاس أنّ الزمان ليس بموجود أصلاً إذا اعتبر بهذا الوجه ، وذلك أنّ أطول أجزاء الزمان السنون والسنون منها قد مضى ومنها مالم يجأ بعد ،وليس الموجود منها إلاّ سنة واحدة ، وهذه السنة أيضا شهور منها ما قد مضى ومنها مالم يجيء بعد ، وليس الموجود منها إلاّ شهراً واحدا ، وهذا الشهر منه أيام قد مضت وأيام لم تجأ بعد ، وليس الموجود منها إلاّ يوماً واحداً ، وهذا اليوم ساعات منها ما قد مضىت ومنها لم تجأ وليس الموجود منها إلاّ ساعة واحدة وهذه الساعة أجزاء منها ما قد مضى وآخر ما جاء فبهذا الإعتبار ليس للزمان وجود أصلاً " [2].

تأسيسا على وجهة النظر الفلسفية التي طرحها إخوان الصفا ، ينحصر الزمن في بعدين الماضي والحاضر فقط ، ويندثر الحاضر لأنّ حضوره يلغيه ، ولأنّه ليس بإمكان الماضي

[1] ــ المرجع السابق : ص269 .

[2] ــ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، المجلد الثاني ، تقديم : بطرس البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص17 .

أن يكون في الحاضر ، والمستقبل ما زال لم يئن أوانه إذن لا يمكن بأي حال الأحوال أن نتحدّث عن الزمان .

وقد ظلّ الزمن يشغل بال الفلاسفة ، ففي الفكر الفلسفي المعاصر ، تطرق بول ريكور P. Ricoeur إلى الحديث عن الزمن و قد كانت مجمل آراؤه توافق إلى حد بعيد آراء إخوان الصفا ، وهذا ما يتلخّص في قوله : "إنّ الزمان هو الحجّة الإرتيابية المعروفة جداً (...) الزمان غير موجود لأنّ المستقبل لم يحن ولأنّ الماضي فات ولأنّ الحاضر لابد ماض ، ولكن مع ذلك نحن نتحدّث عنه ككينونة فنقول الأشياء الماضية كانلت والأشياء الحاضرة كائنة وستمضي وحتى الماضي ليس لا شيء "[1]

يتفق "بول ريكور" P. Ricoeur مع اخوان الصفا في الغاء الزمان ،فرغم البعد الزمني بين المقولتين واختلاف بيئتيهما فإنّ النتيجة المتوصّل إليها كانت واحدة وهي لا وجود للزمن أصلا .

2 ــ عند الشكلانيين الروس :

القول بأهمية الزمن في الدراسات السردية ليس بالشيء الجديد ، خاصة بعد الإعتراف به كجزء يثبت كينونة النص الحكائي / السردي ، فالزمن هو الذي يحول " الحدث الخام إلى حدث مسرود ، فضلاً على قوة ارتباط العناصر الأخرى به ، فالشخصية مثلا لا يمكنها أن تعيش وتنمو وتتطور في النص خارج نطاق الزمن ومساره ، والحدث

كذلك لا وجود له خارج نطاقه "[2]، وللأهمية القصوى التي تميز بها الزمن في الدرس السردي ، تظافرت جهود النقاد الأكاديميين بغية إرساء نظرية أو منهج لدراسته ، قد استهل الشكلانيون الروس هذه المبادرات النقدية السردية الرائدة فقد كانوا هم " ...من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ومارسوا بعضا من تحديداته على الأعمال السردية المختلفة"[3] " ... حين جعلوا نقطة ارتكازهم ليس طبيعة الأحداث في ذاتها ، وإنما العلاقات التي تجمع بين تلك الأحداث وتربط أجزاءها "[4].

في هذا المضمار قدم الشكلانيون الروس طرحا مؤاده أن عرض الأحداث في العمل الأدبي/الرواية ينهض على طريقتين[1] :

أولها: خضوع السرد لمبدأ السببية وبذلك تأتي الأحداث متسلسلة تسلسل منطقي أو أن يتخلى عن كل الاعتبارات الزمنية ، بحيث تتابع الأحداث دون منطق داخلي ، وانطلاقا

---

[1] ــ Paul Ricoeur : Temp et récit l'intrigue et le récit l'intrigue et le récit historique ,edition du seuil ,p34

[2] ــ خليل شكري هياس : القصيدة السير ذالية (بنية النص وتشكيل الخطاب) ، عالم الكتب الحديث ،إربد ،الأردن ، ط 01، 2010 ، ص 349 .

[3] ــ T . Todorov : Qu'est ce que le structuralisme 2 . poétique Ed seuil 1968 p 53

نقلا عن : حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء ــ الزمن ــ الشخصية), المركزالثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ــ بيروت ، لبنان ، ط 02 ، 2009 ، ص 107 .

[4] ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص 107 .

من هاتين الطريقتين ميزوا بين المتن والمبنى ، فالأول (المتن) له زمن ومنطق يرتب الأحداث التي يحتويها ، أما الثاني: (المبنى) فلا يقيم اعتبارا للقرائن الزمنية والمنطقية في المقابل يصب كل اهتمامه بطرائق عرض الأحداث وسبل تقديمها للقارئ وفق النظام الذي ظهرت به في الأثر الأدبي .

كل هذه الأراء / الطروحات التي أدلى بها الشكلانيون الروس تعود إلى" ... عشرينات هذا القرن الذي تميز بمعالجته المباشرة والرصينة للزمن في السرد ..."[2].

3 ــ عند البنيويين :

يرى البنيويون أن الزمن في الحكي / المتخيل السردي يعمق الشعور بأهمية الحدث والشخصيات لدى المتلقي ، وبناء على هذه القناعة الراسخة فرق الرواد الباحثون في السرديات البنيوية في الحكي بين مستويين زمنيين[3] :

*** ــ مستويات الزمن لدى البنيويين :**

---

[1] ــ . Famalistes russe : théorie de la litterature . Ed S euil 1965 .pp 267 – 268 نقلا عن :

حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص 107 .

[2] ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص 107 .

[3] ــ سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدارالبيضاء ــ المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1989 ، ص 59 وما بعدها .

ــ حميد لحميداني : بنية النص السردي ، المركز الثقافي العربي ، الدارالبيضاء ــ المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1991 ، ص 73 وما بعدها .

أ ــ زمن القصة : وهو الزمن الذي وقعت فيه الأحداث المروية في الرواية أو القــصة ، فلكل قصة أو رواية بداية ونهاية ، وعليه يخضع الزمن فيها للتتابع المنطقي .

ب ــ زمن السرد / زمن الخطاب : هو الزمن الذي يستخدمه السارد ليقدم مــن خلالــه القصة، وليس بالضرورة أن يكون مطابقاً لزمن القصة .

فإذا كانت أحداث القصة أو الرواية تروى من بدايتها إلى نهايتها وفــق الترتيــب المنطقي والطبيعي على هذه الشاكلة :

الحدث الأول..... الحدث الثاني .....الحدث الثالث

فإن زمن السرد / زمن الخطاب يكون الترتيب التالي :

الحدث الأول..... الحدث الثالث ..... الحدث الثاني

أو على هذا الترتيب :

الحدث الثاني ..... الحدث الثالث..... الحدث الأول

أو على هذا الترتيب :

الحدث الثالث..... الحدث الأول..... الحدث الثاني

أما زمن القصة فيخضع للترتيب المنطقي التسلسلي الطبيعي ، عكس زمن السرد / زمن الخطاب فله أكثر من احتمال لإعادة صياغة القصة ، على اعتبار أن القصة الواحدة تروى بطرق متعددة " .. فلو أعطينا قصة واحدة لمجموعة من الروائيين ، فإن كل واحد

سيمنح لأحداثها ترتيباً زمنياً يتناسب مع اختياراته الفنية وغاياته الفنية ، فيقدم ويؤخر في الأحداث بما يحقق غاياته الجمالية "[1] .

ومن الاختلاف الظاهر والخفي بين نظام الزمنيين (زمن القصة وزمن السرد) ، وما يحدث بينهما من تفاوت تولدت ما اصطلح عليه في الدراسات النقدية السردية " المفارقات الزمنية "

ثانيا : بنية المفارقات الزمنية في نصوص الثلاثية :

في هذا المضمار سيتم دراسة الزمن وتحليله وفق ما أقرَه جيرار جينيت في أبحاثه حيث ركز على تركيب وترتيب الأحداث وفق خطوط وتقنيات زمنية معينة تمثل طرائق لكيفية دراسة الزمن في النص الروائي/ السردي .

1 ــ الاستباق prolepse :

الاستباق أو الاستشراف أو القبلية أو التوقع ،أو القفز إلى الأمام أو الإخبار القبلي أو ما يسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث Anticipation وهو عدة دوال لمدلول واحد فـ "الاستباق مقطع حكائي يروي أحداثاً سابقة عن أوانها ، أو يمكن توقع حدوثها "... ويقضي هذا النمط من السرد بقلب نظام الأحداث في الرواية عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة عليها في الحدوث ، أي القفز على فترة ما من زمن

[1] ــ محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) ،دار منشورات الاختلاف / الجزائر ــ الدار العربية للعلوم ناشرون/ بيروت ، لبنان ، ط01 ، 2010 ، ص 88 .

القصة وتجاوز النقطة التي التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحـــداث، والتطلـــع إلى ما سيحصل من مستجدات الرواية "[1] .

يلجأ السارد إلى الاستباقات قصد تحفيز القارئ وجعله فعالاً في عمليـــة التلقـــي / القراءة ، إذ يعمل الاستباق على دفع القارئ إلى التوقع والتخيل،وعن طريق الاســـتباق " يتابع السارد تسلسل الأحداث ثم يتوقف ليقدم نظرة مستقبلية ، ترد فيها أحداث لم يبلغهـــا السرد بعد ويمكن توقع هذه الأحداث ... وأهم ما يميز هذا النوع من السرد ، أنـــه يقـــدم معلومات لا تتصف باليقينية ..."[2] ، وهناك من النقاد من يختصر ماهية الاستباق في قوله : " هو كل حركة سردية تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدما"[1] .

يستعين السارد بالاستباق قصد تشويق المتلقي ودفعـــه إلـــى أفـــق التوقعـــات / الانتظار، حيث يكون تحقيق تلك الاستباقات غير إلزامي .

أما من ناحية الأهمية فإن الاستباقات الزمنية تعد " عصب الـــسرد الاستـــشرافي ، ووسيلة إلى تأدية وظيفته في النسق الزمني للرواية ككل، وعلى المستوى الوظيفي تكـــون هذه الاستشرافات بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقـــة ، أوالـــتكهن بمـــستقبل إحـــدى

[1] ــ محمد عزام : شعرية الخطاب السردي (دراسة) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2005 ، ص 110

[2] ــ نور الدين السد :الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث وتحليل الخطاب) ، ج02 ، دت ، دط ، الجزائر ، ص 167 .

الشخصيات ، كما أنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات ، مثل الاشارة إلى احتمال زواج أو مرض أو موت بعض الشخصيات ، ويسمي جينيت هذا النوع بـ (الاستشرافات الخارجية) تمييزا لها عن(الاستشرافات التكميلية) التي تأتي لتملأ ثغرة حكائية سوف تحدث في وقت لاحق من جراء أشكال الحذف المختلفة التي تتعاقب على السرد "[2].

ينقسم الاستباق من حيث النمط والوظيفة إلى قسمين وهما :

***ـ أنواع الاستباق :**

أـ الاستباق كتمهيد / الخارجي:

أو ما يسمى بالاستباق بالفاتحة ، يتمثل هذا النمط في إيراد إشارات تأويلية ، يكشف عنها الراوي بغية التمهيد لحدث سيأتي لاحقاً ، وعليه يعد الحدث أو الإشارة الأولية " استباق تمهيدي للحدث الآتي في السرد وتعد الرواية بضمير المتكلم هي الأنسب في الاستباقات التمهيدية كونها تتيح للراوي بالتلميح إلى الآتي وهو يعلم ما وقع قبل وبعد "[3].

---

[1] ـ جيرار جينيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، ترجمة : محمد معتصم وآخرون ،المجلس الأعلى للثقافة ، 1979 ، ط02 ، ص 45 .

[2] ـ محمد عزام : شعرية الخطاب السردي ، ص 111 .

[3] ـ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط01 ، 2004 ، ص 213 .

أبرز سمات الاستباق التمهيدي هو اللايقينية " بحيث لا يتم استكمال الحدث الأولي ووربما يتم إتمامه، أو يظل الحدث الأولي مجرد إشارات لم تكتمل زمنياً في النص "[1] " ونقطة انتظار مجردة من كل التزام تجاه القارئ "[2] .

يعمل السارد في الاستباق التمهيدي على رسم صورة تدريجية ، حيث يبدأ بـــإيراد استباق تمهيدي ، ثم يطوره حتى يكبر لينتهي بحدث رئيسي لاحق .

ب: الاستباق كإعلان / داخلي :

يتمظهر الاستباق كإعلان في الإعلان بصراحة عن "سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق "[3].

إذا كان من سمات الاستباق التمهيدي التمهيد والتوطئة لأحداث لاحقة بطريقة ضمنية تخلو من التصريح ، فإن الاستباق الإعلاني يتميز بالإخبار صـــراحة عـــن طريـــق أحـــداث وإيحاءات أولية ، كما سيتم سرده فيما بعد بصورة مفصلة وأكثر وضوحاً[4] .

يشتغل الاستباق بشكل عام على توليد حالة وانتظار لدى المتلقي/ القـــارئ " ويعـــد الاستباق التمهيدي بمثابة توطئة وبذرة بدائية قابلة للتحقـــق أو عدمـــه ، أمـــا الاســـتباق

---

[1] ــ المرجع نفسه : ص 213 .

[2] ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، بيروت ــ لبنان ، الدار البيضاء ــ المغرب ، ط 01 ، 1990 ، ص 137 .

[3] ــ المرجع نفسه : ص 137 .

[4] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 218 .

الإعلاني فهو حتمي الحدوث لاحقاً ، إذ يعلن الراوي الحدث النهائي بعد اتمامه وانتهائه ويضع القارئ وجهاً لوجه معه ليبدأ التساؤل (لماذا حدث وكيف حدث)... "[1] .

وحتى يجيب السارد على تساؤلات القارئ ، يقوم بعد مفارقة الاستباق وإعلان الحدث بالرجوع إلى الأحداث السابقة عن طريق تقنية الاسترجاع بغية الكشف عن حقيقة الحدث المعلن وتقديم الإجابات"... لذلك كثيرا ما تأتي المفارقة الاسترجاعية بعد استباق إعلاني "[2].

في هذا السياق يجدر الإشارة بأن بعض النصوص السردية ، تكون افتتاحية النص استباقا إعلانياً ، " ... إذ يعلن الراوي صراحة نهاية حدث رئيسي ونتائجه ثم يترك لحركة النص بين حزمن السرد وزمن الحكاية ، للكشف عن أسباب الحدث ونتائجه ، من خلال تقنيات عدة أبرزها مفارقة الاسترجاع "[3] .

[1] ــ المرجع نفسه : ص 218 .

[2] ــ المرجع السابق : ص 218 .

[3] ــ المرجع نفسه : ص 218 .

*** ــ جدول 01 : رصد الاستباقات الواردة في متون الثلاثية :**

01 ــ الاستباقات في رواية الخندق الغميق :

القسم	الاستباق	نوعه	الصفحة
	ــ يترقب ليلة الجمعة التالية ...	داخلي	09
	ــ يجب أن تحفظ أن تحفظ عشرا من القرآن... ترتله سهرة الجمعة القادمة،وسوف أكافئك على ذلك.	داخلي	09
	ــ وعد الصبي بمكافأة للجمعة المقبلة مقابل حفظ الأربعين النووية.	داخلي	10
	ــ أنا لن أخرج اليوم من البيت .	داخلي	14
الأول	ــ وأدرك أن يومه ذلك سيكون يوما حزيناً	داخلي	14
		داخلي	18
	ــ أني أريد أن أصبح شيخاً .	داخلي	19
	ــ تصوير مسبق لحياة الصبي سامي في المدرسة الدينية.	داخلي	19
	ــ شعور الأم بصعوبة الحياة الدينية على ابنها مستقبلا	خارجي	19

	ــ كتب على جبينه أن يكون شــيخا مثــل	خارجي	20
	أبيه.	خارجي	20
	ــ أنني أريد أن أصبح شيخا.		
	ــ سوف يحصل هو أيضا على هذا التاج	خارجي	20
	سوف يعتمر به.		
	ــ وهو في تلك الغرفــة المظلمــة التــي	داخلي	20
	سيخرج منها شيخا..		
	ــ استباق وكلام عن البرنــامج اليــومي	داخلي	21
	لسامي وهو في المدرسة الدينية .	داخلي	23
	ــ لن يكون من اليسير عليه العودة إلــى		
	النوم	داخلي	24
	ــ أحس إحساساً أخذ يتوضح شيئا فــشيئاً	داخلي	24
	بأن عليه أن يعتمد على نفسه منذ الآن...		
	ــ إن أملي بك عظيم يا سامي..	داخلي	25
	ــ الخياط السوري الذي سيفصل الجبــب	داخلي	28
	قادم بعد غد.	داخلي	29
	ــ..أريد أن ألــبس الجبــة والعمــة مــع		

	رفاقي...		
	ــ أنت منحوس ...ستكون شيخاً منحوساً !	داخلي	32
	ــ أذن لهم ناظر المعهد بأن ينصرفوا إلى بيوتهم ويبيتوا ليلتهم ثم يعودون في الصباح..	داخلي	32
	ــ استعداد الطلبة ظهر يوم الخميس للذهاب إلى بيوتهم لقضاء عطلة الأسبوع .	داخلي	33
	ــ تحذيرات الشيخ الجليل للطلبة ووعده لهم بزيارة المعهد يوم السبت بعد رجوعهم من عطلتهم....	داخلي	34
	ــ سامي يقرر عدم إخبار والده بأمر مدير المعهد للطلبة بحلق رؤوسهم،لأنه عازم على التمرد والعصيان .	داخلي	35
	ــ الطلبة المتمردون عن قرار حلق رؤوسهم متوجسون خيفة من العقوبة التي	داخلي	35

	سيسلطها عليهم رئيس المعهد.	داخلي	39
	ـــــ سامي صار موقنا بأن ليس هناك أحد من صبيان الحي الذين يلعب معهم سيجرأ على الاقتراب منه والتحدث معه ..	داخلي	40
	ـــ سامي موقن بأنه عما قريب سيخسر كل أصدقاء الحي ـــ ويخسر الخندق الغميق كله	داخلي	39
	ـــ لن يجرؤ بعد الآن صبي النظر إليه .	داخلي	40
	ـــ سامي أيقن بأن الكتاب والقلم سيكونان وحدهما عالمه المغلق ...	داخلي	45
	ـــــ كان على ثقة بأن المكتبة ستثقفه أكثر مما يثقفه المعلمون ...	خارجي	46
	ـــ دروس المعلم الأديب هي كهربت روحه بالموهبة الأدبية ورسمت له طريق مستقبله	خارجي	51
	ـــ المدير يقول لسامي ضرورة إخباره عند بلوغه حتى يعلمه يومذاك الطهارة	داخلي	51

	وكيفية الغسل ...		
	ــ سامي يدّعي أمام والده بأنه سيجتمع مع رفاقه في دار أحد الزملاء للمذاكرة وحفظ القرآن...	خارجي	53
	ــ سامي يتمرد على أوامر والده والوالد	خارجي	54
	يتوعده قائلا: اذهب الآن نـــم ، وســـوف يكون حسابك عند الصباح عسيرا ...	داخلي	59
	ــ الناظر يعد سامي بأن لا يرفع قضيتهم إلى رئـــيس المعهـــد ، ويـــدعوه للعـــودة للصف.	داخلي	60
	ــ سامي يغدر برفاقه ويشتكي للإدارة،ثـــم	داخلي	60
	يوقن بأن أواصر صداقتهم قد تنقطع إلـــى الأبد.	داخلي	62
	ــ عزيز يتساءل عما كان سيشفى يومـــا ما	داخلي	66
	ــ ومنّى النفس بأن ينصرف فيهـــا إلـــى المطالعة وإلى المضي في ترجمة الرواية	داخلي	67

	الفرنسية	داخلي	69
	ــ أسرة ســامي يتحــدثون عــن قــضاء	خارجي	70
	الصيف الجبل .	خارجي	72
	ــ الحديث عن زيارة عائليــة بعــد غــد	داخلي	74
	الظهر..		
	ــ المعهد الديني يقرر القيام بحفلة كبــرى	داخلي	75
	لتخريج الفوج الأول من الطلاب ...		
	ــ الفتاة تحدث أخاها بشأن الخروج غدا		
	للصيد..		
	ـــ يجب الآن أن أنهض وأعــود إلــى	خارجي	75
	البيت ...	خارجي	76
	ـــ سنخرج صباح الغد الباكر للصيد يــا	خارجي	83
	سميح		
	ـــ وأنها سوف تحبه إلى الأبد...	داخلي	84
	ـــ وقال له إن أمه تطلبه لحاجة ملحــة		
	...	داخلي	86
	ــ وأنهم سيقضون وقتهم في مقهى جميل		

	تجري فيه مياه ينبوع غزير .. ـــ سامي يكتب إلـــى حبيبتـــه رســـالة يخبرها فيها بأنه لن يصحب أسرته فيهـــا ويرجو منها هـــي أيـــضا أن لا تـــصحب أسرتها ، لتتاح لهما فرصة اللقاء .. ــ اعلم أنك ستظل خارج البيت... ــ وأنا نفسي سأكلم أباها في الأمر ... ــ لا تقل شيئا لأبيها ...إني لن أراها بعد ... ولن أتحدث معها. ــ ستصحبني الأسبوع القادم إلـــى حلـــب حيث نقضي بضعة أيام . ــ سامي يتحدث عن طريقة تبادل الرسائل مستقبلا مع حبيبته ... ــ سامي يفاتح حبيبته في رغبته بلقائها في الأيام المقبلة .. ــ وأخذه الخـــوف مـــن أن تكـــون قـــد انصرفت عنه لسبب من الأسباب .	خارجي داخلي داخلي	90 90 93

	ــ كان على يقين من ذلك وحده سـينقذه (يقصد الحصول شهادة الثانوية العامة) .		
الثاني	ــ سامي يضع توقعات وتخمينات لكيفيـة استقباله في الخندق الغميق بعـد قـراره النهائي وخلع الجبة والعمة ..	داخلي	99
	ــ هدى تتمثل كيف سيكون سامي طالبـا جامعياً..	داخلي	105
	ــ فشعرت أن وراء بسمتك أسى هو اكبر منك يا عزيزي ..	داخلي	105
	ـــ ...ونتابع معاً دراستنا الجامعية ..	خارجي	106
	ـــ وما كان لأحد ليجرؤ على أن يخبـر أبي..	داخلي	106
	ـــ فأدركنا أن عودة أبي كانت وشيكة ..	داخلي	108
	ــ لقد خشيت أن يتبادل مع فوزي عبارات قاسية أخرى تفضي بهما إلى أن يتماسـكا بالأيدي ..	خارجي	109
	ــ إنك لن تخلعهما أبدا ــ لن تخلعهما أيها		106

	الشقي، ستبقى شيخا أيها الضال ! .	داخلي	110
	ــ كلا ..سأخلعهما بعد اليوم ، ولن أرتديهما أبدا	داخلي	111
	ــ لن أشارك هذا الصباح في تناول الفطور مع الجماعة ..	داخلي	113
	ـــــ ... لن أخرج إليهم اليوم ، بل سوف أخرج من البيت فور انفضاض مجلسهم ..	داخلي	114
	ـــــ أريد أن أتابع دراستي العالية ..	داخلي	114
	ـــــ من يدري ؟ فلعله كان قدري ...	داخلي	115
	ـــــ سامي مصمم على أن يبلغ والده في اليوم الموالي، بأنه بعد انتهاء الصيف سيلتحق بإحدى الكليات الكبرى ليتابع دراسته المدنية..	داخلي	115
	ــ كان يتوقع أن يكون جواب أبيه رفضا جازما أن يدفع له أي قسط من أقساط المدرسة ...	داخلي	115
	ــ كان عاقداً عزمه على أن لا يثني عن		

	هدفه ، ولا يقف دون بلوغ غايته...	خارجي	115
	ــ كان عليه أن يجمع قبل كل شيء مبلغا من المال يوازي قسطه المدرسي القــادم ...	خارجي	126
	ــ وسارع يدعوها لارتداء ثيابها لتصحبه في نزهة على البحر ..	داخلي	128
	ــ فما الذي يحول دون يفكر في أن يربط حياته بها بعد أن تنهي دراستها الثانويــة ...	داخلي	129
	ــ لا بد أن يبلغ أبانا (تقصد وشاية فوزي للأب بذهاب ســامي وشــقيقته ورفيقــه للسينما)	داخلي	129
	ــ لا بأس... لا تخافي ... ســأكون إلــى جانبك !	داخلي	130
	ــ لن أتهرب من مــسؤوليتي..(حمايتــه لأخته من غضب والده وثورته)	داخلي	131
	ــ سامي يتوعد أباه بأنه ســيغادر البيــت		

	ولن يعود إليهم في حالة مـــا إذا ضـــرب أخته أو أهانها ...	خارجي	132
	ــ كان يترقب أن تزداد الجفوة بينه وبـــين أبيه في الأيام التالية ...	داخلي	133
	ــ هدى تقول لفوزي بأنه سوف يندم على أفعاله..	داخلي	133
	ــ ولهذا قررت أن تنقطعي عن المدرســـة التي تعلمك الفساد ..	داخلي خارجي	134 134
	ــ سأعمل على تدبير أقساط هدى ، حتى لو اضطررت للاستدانة والاستعطاء...		
	ــ وتعده ألا تسبب له بعد الآن ما يزعجه ...	خارجي	135
	ــ الأم تقول لسامي ســـوف أبيـــع أحـــد أساوري الذهبية لتستعين بثمنه على دفـــع أقساط هدى ..		
	ــ سامي يعد هدى بأن يبذل كل ما بوسعه لتأمين الناحية المادية ، ويقترح عليهـــا أن	خارجي	135

	تسافر لمصر العام القادم لتتم تخصصها في أحد معاهدها ، ويقول لها بوسعنا أن نطلب منحة مالية متواضعة من معهدها .	داخلي خارجي	136 137
	ــ كيف لي أن أترككم ؟ وكيف لي أن أبتعد عنك أنت بالذات ؟.	داخلي	139
	ــ إن الله سيصبرك على الابتعاد عني ... وعن سواي أيضا !..		
	ـــ لا أدري، ولكن يخيل إلي أنها صور نساء		
	ــ سامي يرى أن ارتباط هدى برفيق من الأفضل أن يقرر بعد ان تواصل هدى دراستها حتى يتاح لها أن تحكم على مصير ذاك الحب حكما عاقلا ناضجا، وفي الوقت نفسه يكون رفيق قد هيأ أسباب الحياة المشتركة بينهما ..	خارجي داخلي داخلي خارجي	140 141 145 145 145
	ــ كلام عن سفر قريب للأب لمدينة حلب لقضاء فترة زمنية..		

	ــ أود أن أجدد أشغالي التجارية ... ــ أعده في البيت وأدعو إليها أخت رفيق ..	داخلي	148
	ــ عجلي بالدعوة قبل أن يعود الوالد الكريم..	خارجي	148
	ــ أعلمني سامي أن رفيق سيقصد منزلنا ذلك المساء ، وأن علي أن أستقبله ، لأنه قد يضطر للتأخير في الصحيفة..	خارجي	149
	ــ الرفيقات يقطعنا عهودا على أنفسهن بأن يدعين زميلاتهن لحفلة أو سهرة إذا نجحن في شهادة الباكلوريا آخر العام ..	خارجي	149
	ــ ليس هناك من يتهمه غير أخينا الأكبر فوزي...	داخلي	145
	ــ صاحب الصحيفة يعد سامي بزيادة الراتب في الشهر المقبل، وسامي يعاهد نفسه بأن يضاعف كتابة القصص والأبحاث للإذاعة ليسد النقص المادي ..	خارجي داخلي	153 155

	ــ هدى صممت بدورها أن تمتنع عن شراء ثوب بتلك الأموال التي كانت تدخرها، لعلها تكون بحاجة ماسة إلى المال يوما ما ...	داخلي	157
	ــ الأب يواجه غضب أبنائه بعد زواجه من امرأة ثانية ويقول لسامي : سأعرف كيف أعدل ..	خارجي داخلي	157 160
	ــ سأعرف كيف أؤدبكم يوماً ...		
	ــ إذا لم تبادر فورا إلى الطلاق ، فإننا سنهجر هذا البيت جميعا ، ونستأجر لنا ولأمنا بيتاً متواضعاً صغيراً ، ونرفض بعد الآن أن نقابلك ونتحدث إليك ...	داخلي	160
	ــ سنبقى في هذا البيت ، لأنه بيتنا الحقيقي وسنمنعك من دخوله مرة أخرى !..	خارجي	160
	ــ قد أحتاج قريبا لمساعدتك فوزي ...		
	ــ سامي يتمنى أن يكون يوما ما صاحب	داخلي	160

	صحيفة يؤدي فيها عملا مفيداً لبني قومه،		
	ولذلك تساوره رغبة في السفر إلى فرنسا	داخلي	160
	لدراسة الصحافة العام القادم ..		
	ــ أتوسم له مستقبلا لا معا ، ولكن		
	تمثلتني وحدي، بعد أن يسافر ...		
	ــ هل يتاح لي أن أسافر إلى مصر لإعداد	داخلي	161
	شهادة عالية في التربية ، كما كنت أمني	خارجي	162
	نفسي ووعدني سامي بمساعدتي في		
	ذلك،أيكون ذلك ممكنا ...؟	داخلي	163
	ــ وصممت أن أضحي بنفسي إذا لزم		
	الأمر لأتيح لسامي أن يحقق هدفه ..	خارجي	163
	ــ هدى وزميلاتها اتفقن على خلع		
	الحجاب يوم الامتحان ، و اتفقن أنه في	خارجي	167
	حالة ما إذا عارض ذويهم قرارهن		
	سيهددن بالامتناع عن التقدم للامتحان ...		
	ــ لن تنزعي الحجاب أيتها الفاسقة !	داخلي	167
	ــ الأم تهدد وتعد الوالد بأه إن ضرب	خارجي	169

	هدى مرة أخرى فإنها ستستنجد بالجيران !		
169	ــ ..سيلزم بعد الآن فراشــه وأن الأمــل ضعيف في أن يشفى ..	خارجي	
170	ــ سامي حدث رفيق عن رغبة هدى فــي إتمــام دراســتها العاليــة فــي مــصر مستقبلا...	خارجي	
	ــ رفيق مستعد لانتظار هدى ســنتين أو ثلاث سنوات لوقتها يكون هو قد دعم نفسه ماديا وأصبح قادرا على فتح بيت وإنــشاء أسرة ..		
	ــ وشعرت أن أملي في السفر قد انطفــأ ...		
	ــ إن إلى جانبك إنسانا ستعيشين معه في هناءة يا هدى ...أما أنا فلمن تتركوني ؟		
	ــ قالت إنها فكرت في أن تزوجني عمــا قليل،وفي أن تدعو رفيق إلى أن يتخذ من بيتنا بيتا له ...		

	ــ إن أمامك أنت أيضا يا هــدى رحلــة تقومين بها مع رفيق في عــالم عــشكما الصغير ...		

02 ــ الاستباقات في رواية الحي اللاتيني :

القسم	الاستباق	نوعه	الصفحة
التمهيد	ــ إنه يريد أن ينسى حداثته وأصــحابه، وبضع فتيات عبرن حياته بغموض ..	داخلي	05
	ــ ولكنه سيشقها، وســيحاول أن يزيــل عن قدميه العقبات	داخلي	05
	ــ سامي يضح حــدا لحياتــه القديمــة ويخطط لمستقبل مشرق ..	داخلي	06
القــسم الأول	ــ دع شؤونك مرة تجري علــى أعنّــة المفاجأة ،وحطم هذه القوانين الــصارمة التي تحيط بها نفسك دون جدوى..	داخلي	10
	ــ عش قليلا دون تفكير ...ربما تــدرك ذلك إلى أن تعود إلى بلادك ...	داخلي	10

	ـــ.. وستتعذب لتلقي دونها حجاب حجابا يسترها .	داخلي	10
	ـــ بل إنها أول ليلة نود أن نسهر ..	داخلي	11
	ـــ سنسهر هذه الليلة لسببين	داخلي	12
	ـــ إنك منذ اليـــوم ســـتحاول أن تقـــبس مثالهم .	داخلي	17
	ـــ مثلهم ينبغي أن تكون ولا مفر لك من ذلك، إن شئت أن تنسجم ...	داخلي	17
	ـــ سأرجع إلى غرفتي فأقرأ في كتاب أو أخرج إلى الشارع فأضرب فيـــه علـــى غير هدى ...	داخلي	18
	ـــ افرض أن إحـــدى هـــؤلاء الفتيـــات رغبت إليه أن يترجم قصيدة من قصائده إلى الفرنسية ، فهل يكون هذا في طوقه ..	خارجي	18
	ـــ أخرجها من نفسك بيروتـــك هـــذه ، أخرجها فاقتلها ثم ادفنها ، ، أما بـــاريس	داخلي	19

	فواجهها كما هي ... ولن تلبث هي نفسها أن تتسلل لقلبك فتعيش فيه ...	داخلي	20
	ــ لن ننهض للرقص قبل أن تفرغ المائدة من الطعام	داخلي	24
	ــ ينتظر دقات الساعة بعد ربع ساعة..	داخلي	26
	ــ كان موقنا حين جاز عتبة الفندق ذلك المساء، أن السينما ستنسيه طوال ساعات هذه الخيبة ...	داخلي	28
	ــ أيكون أباها أم عمها أم صديقها أم عشيقها ؟..	داخلي	29
	ــ لا ريب في أنها تبلغ والدها ، عمها ، أن هذا الذي جانبها ساقط دنيء...	داخلي	30
	ــ لا تستطيع أن تأتي بأي حركة خشية أن يلاحظ أبوها ، عمها فتنفجر الفضيحة ، وستكون هي إحدى ضحاياهم ...	داخلي	32
	ــ لأتمكن من معرفتك غداً ..	داخلي	34
	ــ انتظارا لمخابرة تلفونية قد تقوم بها	داخلي	34

	هي ... ويود ألا تقوم بها أبداً ...		
	ــ ...يخشى أن تلتقي عيناه بعيني إنسان تسألانه بفضول (لا ريب أنــك تنتظــر فتاة).	داخلي	35
	ــ يجب أن أترك لهما بعد الموعد هامشا مقدراه ربع ساعة ...	داخلي	36
	ــ ... موقناً بأنها لن تأتي بعد ...	داخلي	39
	ــ سأعصرها وأعصرها ، ثــم ألفظهــا مثل النواة ..	داخلي	41
	ــ ينبغي لكل منا أن يستقل بغرفة ... ــ إن بقاءنا في هذا الفندق الأنيق سيضع ميزانيتنا كلها في خطر ، يجب أن نبحث عن فندق رخيص للطلاب بالمشاهرة ... ــ وعزما منذ اليوم التــالي أن يطوفــا بفنادق الحي اللاتيني بحثاً عن غــرفتين متواضعتين ، وقال هو في نفسه إن عليه بعد أن يقصد السربون ليسجل اســمه ،	داخلي	41

	وأن يسعى إلى مقابلة الأساتذة المختصين ليشاورهم في أمر الرسالة التي سيعدها لنيل الدكتوراه،وعليه قبل ذلك كله أن يضع حدا لهذا الاضطراب الذي يستولي على حياته،ويعود إلى تنظيم برامجه وأوقاته.	داخلي	41
	ــ ... من صفحته الأولى ستبدأ ...	داخلي	43
	ــ هنا في صفحات الكتاب ، سيجد راحة ضميره..	داخلي	44
	ــ فعزما على أن يقضيا السهرة معاً في تلك الليلة..	داخلي	45
	ــ إنني انتظر هنا فتاة فرنسية جذابة ..	داخلي	45
	ــ سامي يشرح للشخصية المحورية كيف يتصرف مع ليليان عند مقابلتها ...	داخلي	45
	ــ ...فسأقدمك إلى ليليان وأنت حاول أن تعجبها فتظفر بها بعد ذهابي ...	داخلي	47

	ــ ...ستغير رأيك إذ تعود إلى بــلادك ...يوم يأتون لاستقبالك ..		
	ــإن خير ما يفعله الآن إذ يترجلا مــن السيارة أن يودعها بلطف ...إنهــا لــن تتيح له حتى الاستماع إلى عذب حديثها ..	خارجي	48
	ــ إما أن نلغي جلــسة الــشعر هــذه ،	داخلي	51
	ويذهب كل منافي سبيله وإما أن تأخذني إلى ...وإما نذهب إلى مكان هاديء..	داخلي	51
	ــ إني سأخلي لك المكان ولن أعــود إلا في ساعة متأخرة .	خارجي	57
	ــ أود أن أقيل نصف ساعة فحسب ..	خارجي	57
	ــ وما يدريه أن تستهزئ به هو بالذات ، أمام أول رجل تلقاه ، بعد أن تغــادره ..	خارجي	57
	ــ ستسمح لي الآن بأن أغــادرك ، إن عندي اجتماعا أدبيا في منزل صديقة لي	داخلي	57

	ــ سأتصل بك بالتلفون ، فأنـــا لا أدري متى أكون ..	خارجي	57
	ــ إذن أنا منتظرة مخابرة منك ...	داخلي	61
	ــ على يقين من أنه سيشعر ذلك الشهر بالضيق المالي ..	خارجي	61
	ــ لعلها لن تظهر في الحي اللاتيني بعد ذلك إطلاقا..	داخلي	66
	ــ ... ستشعر بالصميمية في أي غرفـــة تسكن فيها ردحا من الزمن	خارجي	67
	ــ على أن بوســـعك أن تـــوقن بـــأن الصداقة ليـــست حبـــا مكبوتـــاً أصـــابه الانحراف ..	خارجي	67
	ــ ... أن صداقته لـــصبحي ستـــصبح صداقة خالصة يوم يلتقي ...	خارجي	72
	ــ وأخبرته أنها تنتظر صديقة لها تنزل الفندق نفسه .	خارجي	76
	ــ أحسب أنك لن تبخـــل علـــي بهمـــا	داخلي	79

	..كهدية!	داخلي	82
	ــ الشخصية المحورية يقرر نسيان كل ما مر به وذلك مستقبلا .		
	ــ أحسب أنه سيظل يملأ نفسه بأصدائه المخيفة..	خارجي	86
	ــ وهل تراك ستقرأها كلها اليوم أو غدا ...	داخلي	86
	ــ ينبغي لي أن أبلــغ معهــد اللغــات الشرقية في خمس دقــائق وإلا فــاتتني ساعة الترجمة .	خارجي خارجي داخلي	88 90 90
	ــ وعزم فجأة أن يكتب لفؤاد رسالة ... فينظم أفكاره ويزيل منها هذا التــشويش ..	خارجي	94
	ــ أزمع أن يترقب ظهورهــا هــي ... حتى لو اضطر إلــى التــضحية بهــذه المحاضرة ...	خارجي خارجي	94 95
	ــ ... فسينهي الفصل بعد ثلاثة أعــوام		

	...	خارجي	96
	ــ لدي بعض الأعمال المستعجلة ...		
	ــ ...على أن يطــرح القلــق وينتظــر	خارجي	96
	عودتها ليراها مرة أخرى بأي ثمــن ...	خارجي	97
	ويبتهل إليها أن ترضى بلقائه بعد...	خارجي	100
	ــ ... أثار حنينها يومــا إلــى زيــارة الــشرق ورؤيــة الجمــل والنخيــل والصحراء..	خارجي	100
	ــ ريثما تبحث عن أسرة فرنسية تنــزل لديها.		
	ــ ...ستغادر الفندق عما قليل ، وتخلفه مرة أخرى في الوحدة ...	خارجي	100
	ــ أخشى أن لا يكون ذلك في استطاعتي مرة أخرى	داخلي	101
	ــ أنظر إذن العاقبة ...	خارجي	102
	ــ أو سيراها بعد أسبوع ...		
	ــ يوم تحتاجين إلى أي شيء لا تترددي		

	يا تيريز في أن تطلبي مساعدتي ، وأنـــا أيضا لن أتردد ...	خارجي	103
	ــ قالت إنها ستستعين به يوم تحتاج إلى ذلك ، لأنهـــا علـــى يقـــين مـــن أنـــه يساعدها...	خارجي	103
	ــ ..وسرعان ما أزمع أن يبرق لذويـــه يطلب مزيدا من الإيضاح...	خارجي	103
	ــ ...رغبته في أن يستأنف معها هـــذه التجربة ...		
	ــ أماوأنك تبدي رغبتك في أن نمـــضي إلى شؤونك وغاياتك فلا فائدة من العودة إلى ذلك ...		
	ــ هل تعدني بأن نظل صديقين ؟		
	ــ أعدك بذلك ...صدقيني جانين .		
	ــ جانين تطلب من الشخصية المحورية وتترجاه أن ينساها لتبيح لنفسها أن تثـــق به ..		

	ــ هل ستملئين بعد الآن هــذا الوجــود الفارغ	خارجي	107
	ــ هل تنوي أن تتخذ من شخص جانين مونترو مطهر تتحلل فيه من أوزارك ،	خارجي	108
القـــسم الثاني	وتنقص من آثامك؟.	داخلي	108
	ــ فلن تدري إذا كانت جــانين مــونترو ستبرئ نفسك من شوائبها أم توقظ فيهــا شر آثامها...	خارجي	109
	ــ وتعلم أنه غدا يشاركها بعض حياتهــا ...	خارجي	110
	ــ ... وأنها ستسلك مــن غيــر تــردد الطريق التي يختاره لها ...	داخلي	110
	ــ..نبهته لوجوب الكــف عــن تنــاول الطعام في تلك المطاعم التي لم تجعــل للطلاب..	خارجي	110
	ــ ... وقالت إنها ستحاول أن تــستبدل ببطاقتها التي تخول لها ...	داخلي	111

	ــ وكان هو يدرك هو أنه مقبل في ذلك على أمر شاق ...كما أيقن أن بوسعه أن يتعلم التذوق ...	داخلي خارجي	111 113
	ــ والحق أنه يشعر أن حب باريس بــدأ يتغلغل في دمه...	داخلي	114
	ــ ألا تدعوني لزيارة متحفك الــصغير ؟...	داخلي	114
	ــ أرى أننا سنلزم الليلة فنــدقنا ، وأنــا الآن داخلة إلى غرفتي ، فإن شــئت أن تأتي ببعض شعرك فافعل ، إننـــي فـــي انتظارك	داخلي داخلي	116 116
	ــ ينبغي أن تكبت سورتك ، إنهــا مــا زالت غير واثقة بك ...	داخلي داخلي	116 117 ــ
	ــ إن جرحه لم يلتئم،وإنــك لتوشــك أن تتكأه،ألست تخشى أن تتجدد مأساتها ...	داخلي داخلي	118 120
	ــ أنا أيضا أريد أن أحب ... ــ ولبثت تنتظر أن يأخذ شفتيها ...	داخلي	120

	ــ ينبغي الآن أن أعود إلى غرفتي ...		
	ــ ...أني بدأت أفقد ثقتي بنفسي ...	داخلي	121
	ــ لقد كان يحس بغمــوض أن صــديقه يشق له آفاقا جديدة من وجوده ..	داخلي	121
	ــ لم لا يحدثه عن جانين ، هــذه التــي تملأ حياته ...	داخلي	122
	ــ إن كان يبغي لقاءنا فهو ساع إلينــا لا محالة !	داخلي	122
	ــ من يدري فقد أصاب قريبا بــصداع الملل، فتشفيني طالبة الطب !	خارجي	123
	ــ ...أن يفكر بوسعه يوما أن يقف مــن جانين هذا الموقف ...	داخلي	123
	ــ فلا تندم ولا تتردد...	داخلي	124
	ــ بأنه لا بد أن يستفيد منها فيمــا هــو مقبل عليه من أمر حبه ..	داخلي	
	ــ فلا بد أن أعرفك بها يوما ،أحــسبها تعجبك.!	داخلي	125
		داخلي	126

	ــ ولا بد مــن أن أعرفــك أن أيــضا بجانين، يوم تعود من فرصتها ، ولا شك في أنها سترضيك !	داخلي	127
	ــ أما الآن فإن لي هموماً كثيرة أخــرى ...	داخلي	127
	ــ ووعده بزيارته في اليوم التالي ...	داخلي	128
	ــ بأن حياته ينبغي أن تــضطلع بتبعــة وتتحمل المسؤولية وتسعى إلى غاية ...	داخلي	129
	ــ فتعلل بصداع ليقضي نهاره في الفندق الذي نزلوه، على ان يوافياه في المــساء ..	داخلي	129
	ــ ولم يــسعهم أخيــرا إلا أن يقــرروا العودة إلى باريس.	خارجي	129
	ــ إننا نلعب" البوكر " ونخشى أن يباغتنا مدير البيت...	خارجي	132
	ــ وساورته الرغبــة فــي أن يــدعهم ويخرج ...	داخلي	132

	ــ بدأت الرغبة تغلي بداخلــه فــي أن يجلس إلى هذه الطاولة ...	داخلي	133
	ــ ألا ترغب في أن تتسلى معنا بعــض الوقت ؟...	داخلي	134
	ــ سترون على كل حال،أنه لن يــنهض إلا رابحاً..	داخلي	136
	ــ لن تلبث طويلا حتى تبرع بها ، فإن حظك ليس رديئاً كم يبدو لي ..	داخلي	137
	ــ كلما شعرت بملل أو ضــجر فتعــال اصرفهما هنا بالتسلية ..		
	ــ ينبغي أن تعود إليهم فتنفض أمــوالهم بين أيديهم ، وتستميحهم العذر فيما فعلت ..	داخلي	138
	ــ أنا بانتظارك في غرفتي ...	داخ	141
	ــ ماذا تقول فــي أن نحــضر الحفلــة الراقصة التي يقيمها الليلة في الــسربون طالبات كلية الآداب وطلابهــا ... ـــ	خارجي	142
		داخلي	143

	أدرك أن تتبعه شفائها من جراحاتها إنما يقع على عاتقه...	داخلي	143
	ــ ...أنه لن يحيا بعد أحلى مــن هــذه الدقائق مذاقا في وجوده ...	داخلي	143
	ــ أعاهدك يا جانين أن لا أدعــك بعــد الآن، ما دمت في باريس ..	داخلي	
	ــ أم أن بوسعك أن تترجم لــي بعــض شعرك؟	داخلي	143
	ــ لن أندم أبدا ! ...	داخلي	145
	ــ ما رأيك فــي أن تــدعو صــديقتك فرانسواز فنتعرف إليها أولا ، وتــشاهد معنا المسرحية ...	داخلي	147
	ــ إن بيني وبين فرانسواز موعدا عنــد الساعة الثامنة ...وأحسب أنها ســتكون سعيدة بتلبية دعوتكما ...	داخلي	148
	ــ ..واتفقوا على أن يكون اللقــاء عنــد باب المسرح في الثامنة والنصف ...		

	ــ أما فؤاد ، فلا أود أن أتسرع في الحكم عليه ،إن شخصيته تدعو إلى التأمل، وأنا أعتقد أنها غنية بإمكانياتها ...	خارجي	148
	ــ فؤاد يقرر خدمة القضية القومية والشخصية المحورية يفرح بذلك ..	داخلي	149
	ــ إننا مدعون في المستقبل يا عزيزي إلى مواجهة كثير من قضايانا التي لا تعني أحدا سوانا ، وأنا لا أعتقد ان زوجة أجنبية تستطيع أن تعين زوجها في معاناة مثل هذه القضايا ...	داخلي	149
	ــ سيمضي قبل أن تلتفت إليه فتجيبه ولعلها تجيبه دون أن تلتفت إليه سيظل ظهرها إذن في وجهه...	داخلي	150
	ــ وتكفيني الألف الباقية إذا أضيفت إلى الآلاف الثلاثة المدخرة ...ولعلي أستطيع أن أعيرك مثلها في مطلع الأسبوع	داخلي	151
		داخلي	151
		داخلي	152

	القادم...		
	ــ ...ذلك أني أنتظر منذ عــشرة أيــام	داخلي	153
	وصول المال من الوطن ...	داخلي	153
	ــ من المنتظر أن تخلى عمــا قريــب		
	إحدى غرف ذلك الطابق ...	خارجي	154
	ــ وسمع أنها منتقلة بعد أيام إلى مقربــة		
	منه	خارجي	156
	ــ أتكون رغبة جانين في أن تزداد قربا	خارجي	157
	أم أن هناك سببا آخر ...		
	ــ سوف يشارك جانين حياته نفسا نفساً		
	ــ أتحسب أني سأرضــى أن أقاســمك		
	قرشك إذا كان بوسعي أن أحصل مثلــه	داخلي	159
	بالعمل ؟		
	ــ سأحرم منذ الغد أن ألقاك صباحاً ...		
	ــ أما المساء فسأخصصه لمتابعة درس	خارجي	160
	الصحافة في غرفتي ...		
	ــ وإن لها أملا كبيراً فــي أن تلتحــق	خارجي	160

	بإحدى الصحف الأسبوعية في مطلع العام القادم		
	ــ عزم ذات ليلة على أن لا يطرق بابها...	خارجي	161
	ــ أراك تحاول يا عزيزي أن تخيرني بين أمرين ، وذلك حرصاً على صحتي	خارجي	162
	دون ريب ، فإما أن أنصرف عن الدراسة ، وإما أن أكف عن لقاءك	داخلي	162
	ــ ولكن مستقبلك أنت لن يكون إلا طيوف بيضاء ناعمة ، أما أنا فهل تراه يكون غير أشباح مخيفة سوداء ؟...	داخلي	162
	ــ إنه سيشقى إذا تركها ، ستفرغ حياته ، سيسقط مرة أخرى في الفراغ ...	داخلي	162
	ــ وهي على يقين من أنها ستواجه مشاق كثيرة ومصاعب عظيمة من أجل بناء الحياة التي قررت أن تحياها؟..	خارجي	164
	ــ إني عائدة إلى العمل منذ صباح الغد،	خارجي	164

	ولن أرهق نفسي بعد الآن ، سأنقطع عن متابعة دروس الصحافة...	داخلي	164
	ــ أنا أيضا سأحاول أن أنساه ...	داخلي	164
	ــ ...وعودته القريبة إلى الوطن لقضاء فصل الصيف	داخلي	164
	ــ إنني أعيش على أمل عودتك القريبـــة ...	خارجي	164
	ــ أخشى يا بني أن يصرفك الغرب عنا، وأخشى فوق ذلك أن تسحرك امرأة من	داخلي	164
	هناك فتقع في شباكها ...	داخلي	166
	ــ إن ناهدة تنتظرك يا ولدي ...		
	ــ عد لأخطب لك أجمـــل فتـــاة هنـــا ، وأشرفها، وأطهرها ...	خارجي	167
	ــ...إنني سأحاول أنا أيضا أن أنـــساه ، هذا المـــستقبل،كما أحـــاول أن أنـــسى الماضي...	خارجي	167
	ــ سأصارح حبيبي العربي بأني سأحبه		

	كما تحب المرأة الرجل في الشرق ...	داخلي	170
	ــ ...فسأقول له إنه لا يخيفني بعــد أن يذهب ...	داخلي	171
	ــ فقد زود حياتي بزاد مــن الحــب لا أحسب أنه سيجف يوماً ...	داخلي	172
	ــ أظن أني لن أدع المرض يتغلب علي بعد الآن ..	داخلي	172
	ــ ستحدثيني غدا يا تيريز ...	داخلي	172
	ــ وأنه سيسلك مسالك الجد والعمل فهو لم يكد ينجز أي مادة من مواد الشهادات التي سيقدمونها في دورة حزيران ...		
	ــ وسترون ! سيعود إلى المــرأة أشــد لهفة وأوفر اندفاعاً...	داخل	172
	ــ كل ما سيقلونه عن هؤلاء العــرب لا يتعلمون الكلام في مدارس الشرق، إنما يتعلمون الصراخ والزعاق !	داخلي	173
	ــ ... سنظل مقصرين في هذا السبيل ،	داخلي	173
		خارجي	174

	ولو بذلنا ملايين الفرنكات ...	داخلي	175
	ــ إن عندي لكم نبأ لا مجال فيه للمزاح على ما أعتقد !	خارجي	177
	ــ ما رأيك في أن نقصد سينما بلــزاك،	داخلي	177
	على الأوبرا، فنشاهد قصر الزجاج...	داخلي	178
	ــ أيكون دنو الفراق شاحذ العاطفة ...	داخلي	181
	ــ وسأظل أبدا أسيرة قيودك قيودك ، إن	داخلي	181
	مصيري تقرر منذ رأيتك لم تبــق لــي	خارجي	183
	إرادة،وسأجري مع الزمن كما سيتقاذفني	داخلي	184
	الزمن .		
	ــ سيستقل القطار إلى مرســيليا ليبحــر	خارجي	185
	إلى وطنه..	خارجي	185
	ــ وأيقن أنه سيفقد مقاومته ...	داخلي	186
	ــ أتريدها أن تقاوم طــويلا بعــد هــذه		
	الدفقة من الدموع الجائلة في عينيها .	خارجي	186
	ــ ولتواجه واقعك بعد يومين أو ثلاثــة		
	....		

	ــ إذن أية فتاة ضائعة سأكون		
	ــ ... يوم أتركك، ولو لبضعة أشـــهر؟ أية فتاة ستكونين .	داخلي	186
	ــ أظنك لا ترفض دعوتي ؟		
	ــ ونعيد عيد فراقنا الوشيك	داخلي	186
	ــ بودي الليلة أن أثمل		
	ــ ... وهي ستدفع الثمن	داخلي	187
	ــ كان يحسب أنه سيسقط مغشيا عليهـــا ...	خارجي	187
	ــ لم يكن يحسب أن الـــصفعة الثانيـــة ستكون على هذه القوة ...		
	ــ كان موقنا أنها لن تأتي ...		
	ــ أتراه لن يشعر بالجوع إلى هذا الحب ...		
	ــ ... لن يشتد حنينه إلى جـــانين بعـــد أسابيع ... بل بعد يومين ...		
	ــ ...على أي حال إن صديقنا يرجى ،		

	وهو عائد إلى لبنان ، أن يحـــافظ علـــى هدوئه المعهود ، وعلى عـــدم بـــذل أي نشاط في هذه الأشهر الثلاثة ، قد تؤدي إلى انقلاب ... ــ لا تخشى شيئاً ! فلئن أتت جـــانين ، فلن ترفض أن أصحبها إلى فندق ... ــ وسرعان ما ضاقت بعد ذلك صـــور أولئك الذين سيستقبلهم بعد حين ... ــ الشاطيء الذي سترسو عنده البـــاخرة .... ــ إنك ستشفين بإذن الله، وقد عدت فـــي الحق لأعنى بك وأسهر علـــى صـــحتك ولن أتركك قبل أن تستردي عافيتك كلها ...		
	ــ ستظل أبدا معي في غرفتـــك ، ولـــو شغلها سواك ، إما أنـــا فأحـــسب أنـــي	داخلي	191

القسم الثالث	سأسهر الليلة طويلا أكتب مذكراتي ، وقد يتاح لك يوما أن تقرأ في هذه المذكرات ، إلى اللقاء في رسالة مطولة...	داخلي	193
	ــ سوف أتنازل للبيت عن قسم من منحة التخصص التي سأسلم القسط الأول منها في أواخر الشتاء ، ولعل ذلك يفرج بعض ضيقكم ...	داخلي	193
	ــ ... لن تطول غيبتي كثيراً يا أمي، إنهما عامان مدرسيان ينقضيان سريعاً ...	داخلي	193
	ــ ... لن يتم انجازها في أقل من عامين بعد...	داخلي	194
	ــ إنها لن تصبح محامية ، ولا طبيبة ، كاتبة ...	خارجي	194
	ــ غدا يأتيها ابن الحلال،وقد آن الأوان لذلك	داخلي	195
		داخلي	195

	ــ يقول إنه مازال يحتاج إلى عــامين ...		
	ــ ..لكني لن أدعه يبقى عامين ... وإن أصر على ذلك ، فلن أتركه يذهب فــي الخريف !	داخلي	195
	ــ لماذا لا تنهض إلى غرفتك ، فتــري ناهدة هذه الكتب الكثيرة التــي جلبتهــا معك ...	داخلي	196
	ــ لا تصدق أنه لــيس نيتــي أن أتــم تخصصي ...	خارجي	199
	ــ ما عسى والدي يقــول إذا رأى هــذا العنوان ، وإذا رأى هذا هو الكتاب الذي أهديته إليَ ...	داخلي	200
	ــ دع ذلك إلى مرة أخرى ...	خارجي	202
	ــ سأبذل كل جهد أستطيعه ...	داخلي	202
	ــ ..إنه يطلب إليَ أن أعود ... ويتحدث عن استعداده للزواج مني ...	داخلي	202
		خارجي	202
		خارجي	202
		داخلي	202
		خارجي	203

	ــ ... ينبغي لي أن أقهر هذا الإحساس بالتهيب منهم ...	داخلي	203
	ــ سأتم الرسالة في مذكراتي ...		
	ــ ولا أدري ماذا أفعل إن لم أستمر في الكتابة ...	خارجي	204
	ــ إنني مستعدة للخروج معــك إن لــم تردني بعد أيام رسالة من ذلك المــسافر البعيد ينبؤني فيها أنه قادم إلى بــاريس ...	داخلي	204
	ــ ولعلني أقصد غدا أحد مسابح السين ، فأقضي فيها شطراً من يومي ...	داخلي	205
	ــ إنني منذ الآن بدأت أفكر في الرسالة القادمة الي سأبعثها إليك ..	داخلي	205
	ــ وأحسب أيام قليلة ، ثم يعــود أنــسك بوطنك وذويك ...	داخلي	206
	ــ ولا بد أن ما كنت تنويه ... سينسيك هذا الذي تحسه من ضيق ، لاســيما إذا	داخلي	207

	قصدت المصيف ...		
	ــ ... وكل أملي أن أستوعب المادة المطلوبة في فترة الصيف هذه ...		
	ــ ليس يؤلمني في ذلك، أنني سأشعر بضيق من البحث عن مطعم رخيص هذا الصيف ، بقدر شعوري بأن شمل الأصدقاء سينفرط ، فلا يجتمعون بعد إلا بالمصادفة ...	خارجي داخلي داخلي	207 210 210
	ــ يقيناً ستتضاعف ميزانيتي هذا الشهر على الإنفاق على أحمر الشفاه ...		
	ــ كلها شهران أو ثلاثة ، ثم تعود إلى أحضان باريس َ !	داخلي	213
	ــ ...سأل أمه رأيها في أن يقصد الجبل فيقضي فيه أياماً يحاول أن يدفع رسالته دفعة جديدة ...	خارجي داخلي	213 213
	ــ ألا تعتقدين يا هدى أن حدسها كفيل بأن يكشف لها كثيرا من أسرارنا ...	خارجي	214

	ــ ..فأبلغني بأني سأصبح أما ...		
	ــ إن الطبيب لم يخف عنـــي المخـــاطر	داخلي	215
	التي سوف أواجهها إذا لم أقبل حياة هذا	خارجي	215
	الطفل		
	ــ ...ومع ذلك ، فأنا مستعدة أن أقـــدم	داخلي	221
	على جميع التضحيات وأواجـــه جميـــع		
	المخاطر، ولكني أنتظر منك إشارة ..		
	ــ ... إنك لن تفكر أبدا في الزواج منها	داخلي	223
	ــ أية فضيحة وأي عار سينصب علـــى	داخلي	226
	بيتنا ...		
	ــ كان مدفوعا بشعور غامض إلـــى أن		
	يختار هذه المرة مصيفاً آهلاً بالـــسكان	خارجي	226
	والمصطافين ...		
	ــ سأواجه مصيري بشجاعة ...		
	ــ ... ولكني عزمت على أن أعود إلى		
	المستشفى وحدي لأكشف عـــن حقيقـــة	داخلي	227
	شعرت أن جانين تخفيها عنا ...	داخلي	227

	ــ فإن كتب لي أن أبقى على الحيــاة ،	داخلي	227
	فسيكون غذائي كله مــن هــذا الحــب	داخلي	228
	...وإن كتب لي أن أمــوت، فسأقــضي مرتاحة البال ...		
	ــ قل له إني سأحبه أبداً ...		
	ــ فانتهيت إلى فكرة سيؤذيك أن أقولهــا ...		
	ــ ... فأنا لن أتغيب طويلا ...	خارجي	228
	ــ أقصد أنني لن أبقى سنتين أخريين في باريس ...سأبذل كل ما في اســتطاعتي	داخلي	229
	لأنجز رسالتي هذا العــام ، وأرجــو أن يقدر أساتذتي ظروفي ، فيقروني علــى مناقشتها في دورة حزيران مــن العــام القادم ، أو دورة تشرين التي تلي علــى أبعد تقدير ...	داخلي	231
	ــ ...فسأعيدها إليــه فــور رجــوعي وحصولي على عمل في التدريس أو في	داخلي	232

	سواه ...		
	ــ فقيل لي إنها توشك على الشفاء ...	داخلي	232
	ــ فإذا قدر لي أن أنجح في شهادة فقــه	خارجي	232
	اللغة، بدورة تشرين القادم ، فــإن مــن	خارجي	232
	المفروض أن أعمل في العــام المقبــل		
	للحصول على الشهادتين الأخيرتين ...		
	ــ ...ولكن ينبغي أن نعود إلى بلادنــا ،	داخلي	232
	يجب أن نعيش في وسطنا ونشارك فــي		
	حياته ، إن أمامنا صــراعا طــويلاً يــا		
	عزيزي ! ..		
	ــ والذي سأشعر به أنا يوم أعود ...	داخلي	233
	ــ ...وكم يسعدني أن نعمل معــا يــوم		
	نعود	داخلي	233
	ــ لست أدري الذي سأعمله يوم أرجع ،		
	ولكني أحسب أني سأدخل الحزب الــذي	داخلي	234
	سيعبر عن نزعاتنا وأمانينا ...	خارجي	235
	ــ لم لا نحاول أن نعمل هنا في باريس		

	عملا صغيراً مشتركاً ؟ لماذا لا نؤلــف	داخلي	236
	لنا رابطة تشدنا فيما بيننا ، نحن الطلاب العرب في باريس ...	داخلي	237
	ــ ولكني أحسب أن بإمكاننا أن نــؤدي بعض الخدمة لهؤلاء الشبان ...	داخلي	239
	ــ إن أصدقاءنا سيجتمع عقــدهم بعــد أسبوع أو أسبوعين ...	داخلي	240
	ــ إنني أريد أن أكون عربياً شريفاً...	داخلي	241
	ــ قد قطع كل الأمل في رؤيــة جــانين مونترو...	داخلي	242
	ــ وكأنها تخشى أن تؤذيه ...	داخلي	242
	ــ ...وحثه على أن ينجز وضعه ويلقيه ذات مساء محاضرة ..	داخلي	243
	ــ أنا الآن على استعداد لإلقاء محاضرة متى شئتم ..		
	ــ ... وسوف يقدرون ظروفي ...	داخلي	244
	ــ ولقي جهداً كبيراً في إقناع الــرئيس		

	بمناقشة الرسالة في دورة حزيران القادم	داخلي	245
	ــ إن شاغله الأول أن يتم الرسالة ...		
	ــ تحديد موعد المناقشة ، ألا يعني أنــه أصبح بالإمكان تحديد ..العودة ؟	داخلي	246
	ــ يقطع تذكرة مخفــضة مــن تــذاكر الطلاب في باخرة إيطالية تغادر ميناء " جنوى "، في العاشر من حزيران لتبلــغ بيروت بعد خمسة أيام ...	داخلي داخلي	249 253
	ــ ستعود إلى الوطن الحبيب ؟ أصحيح ما تقوله؟...		
	ــ أمن الــضروري أن تــذكرنا بهــذا الموعد الذي تربح فيه الدكتوراه وتخسر الحي اللاتيني ...	داخلي خارجي	254 254
	ــ إنني أدعوك إلى تناول طعام الغــذاء في مقهى البلقان ، ثم إن عندي نبأ ...		
	ــ ...إنه لن يعود ليلة الغد إلى " برغولا "		

	ــ أظن أني سأنقطع أيام عن كتابة هــذه المذكرات ، سأرســل لــه الآن رســالة صغيرة أشكره فيها وأبلغه أني ســأواجه مصيري بشجاعة ...	داخلي	255
	ــ ســأغفر لــه موقفــه ذاك ليرجــع ، وسأتفانى في حبه وخدمته ...	داخلي	256
	ــ جانين تفكر في مصيرها بعد الخروج من المستشفى وهي لا تملك إلا فرنــك وتوقع أن لا يقبلوها في " حي الطلبة ،ثم تحث نفسها علــى الــصبر والمواجهــة عنــدما تحــين لحظــة الخــروج مــن المستشفى ..	خارجي	256
	ــ ..أن في صدر ذلك العزيز إمكانيات غزيرة لا تحتاج إلا إلى تفتح ...	خارجي	260
	ــ ..أريد أن أودع الحي الحبيب قبل أن أضيع ..	داخلي	261
	ــ ..سأنفق منها اليوم أقل مبلغ ممكــن	خارجي	261

	للطعام ... ـ ..إن في حقيبتي عددا من الكتب ، سأحملها إلى "كيوسك " على السين فأبيعها ، وفي حقيبتي أيضا ذانك الأعرابيان ، لا ، سيبقيان معي إلى الأبد	خارجي	262
	ـ ...وأخذ منها تذكرة هويتها ،وقال إنه منطلق بها ليهيء لها معاملة السفر معه، بعد خمسة أيام ...وتنتظره في غرفته فإن تيريز ستفتح لها بابها ...	خارجي داخلي	262 262
	ـ ... يفرض علي فرضاً أن أرفض فكرة الاقتران بك ..		
	ـ ...لقد استعدت ما حدثتني به عن المستقبل, وعن آمالك وعن حياة الصراع الذي أنت مدعو أن تعيشها في بلادك		
	ـ ... ولكن يخيل إلي أن الجذوة التي كانت تطل من ناظريك هي أشدّ التهاباً		

	وإشعاعا من جذوة فؤاد ... ــ ستجرجرني خلفك سأعيق طموحــك ... ــ فسأستمد دائما من حبي لك ...، وعد أنت يا حبيبي العربي إلى شرقك البعيــد الذي ينتظرك ويحتاج إلى شبابك ..		
الخاتمة	ــ ...وذكر أصــدقاءه هــؤلاء الــذين سيعودون عما قليل إلى الوطن ... ــ بل الآن سنبدأ يا أمي ...	خارجي خارجي	264 264

03 ــ الاستباقات في رواية أصابعنا التي تحترق :

القسم	الاستباق	نوعه	الصفحة

	ــ أرجو أن ترسل المحبة إلى ...	داخلي	10
	ــ سيتاح لي أن أعرف رأيك فيها ...	داخلي	13
	ــ ولكني أنزل هنا في بيت أختي المتزوجة في الشتاء لأتابع دراستي الجامعية ...	داخلي	14
	ــ سألتحق بالأكاديمية اللبنانية في العام القادم لإعداد ليسانس فلسفة ...	داخلي	14
		داخلي	16
الأول	ــ إنك ستدخلين الجامعة بعد ثلاثة أشهر ...	داخلي	16
		داخلي	18
	ــ يهمني أن أعرف رأيك في الرواية	داخلي	18
	ــ إن لم يكن قريباً ففي مطلع العام الدراسي	داخلي	21
	ــ أتراه سيقضي النهار بطوله جالساً هنا وراء مكتبي ...	داخلي	21
	ــ ...جاء يقدمها هدية لتنشر في العدد القادم	داخلي	22
	ــ ...أن يستقبل ذلك الصديق البعيد الذي	خارجي	22

	أحبه على غير معرفة ...	داخلي	22
	ــ ...ستعرف ذلك عما قريب ...		
	ــ.. ولو كنت أديباً فقيرا لطلبت ألف ليرة ثمناً لها..		
	ــ ...إن هذه المجلة يجــب أن تــستمر ، وأنا أدرك ما يواجه أمثالها من صعوبات ،	داخلي	24
	وهي قد تكون الآن أو في المستقبل لحاجة إلى ما يدعمها ...	خارجي	25
	ــ اعتبره ديناً مني ...من يدري فقد أحتاج يوماً إليك فأسترده منك ...	داخلي	25
	ــ وحسب يوماً أنه يسترجع ســعادته إذا هو أنفق كل ما له في عمل خيــري ، وأن الدنيا ستصفق له ..	داخلي	25
	ــ ...لتتمكن من مواجهة ما قد يعترضها من صعوبات مادية ...	داخلي	26
	ــ ... فإن منع العددين الأخيــرين مــن	داخلي	27

	دخول العراق سيعرض المجلـــة لـــبعض الصعوبات المادية ...		
	ــ وقع إذن لنودعه في حـــساب المجلـــة بالمصرف ...	خارجي	28
	ــ وصمم على أن يتولى هو نفـــسه فـــي	خارجي	28
	العدد التالي نقد المادة القصـــصية التـــي ستنشر في العدد الحالي ...	داخلي	28
	ــ فإذا لم تكن صالحة ، فليس أقرب إليك من سلة المهملات...	داخلي	28
	ــ القراء هم الذين سينتقمون له منه !..	خارجي	28
	ــ أنت إذن قادم في إجازة،وستقضي طرفاً منها في ربوعنا ؟ لا بد أن تكون أوقاتـــاً حلوة نقضيها معا..	خارجي	29
	ــ إنني لن أصحب معي زوجتي الفاضلة !..	داخلي	30
	ــ إياك أن تتزوج يا سامي َ!...	داخلي	31
	ــ سأبدأ منذ الآن بإعداد طقوس المـــأتم ،		

	ليمكنني أن أكــون يــوم زواجــك مــن المشيعين، ولألقي خطاب تأبين ..	داخلي	32
	ــ وكم سأشعر بالــدفء حــين أغمــرك بذراعي كلتيهما يوم تطل علينا عما قليــل ...!	داخلي	34
	ــ ...أنها ترجو أن تقصد المصيف ، ولا بد لها آنذاك من أن تقوم بزيارته ...	داخلي	36
	ــ ...وأنها قادمة هذا الأسبوع إلى لبنان ، وسأتصل بك تلفونياً حــين أصــل إلــى المصيف الذي سأقضي فيه فترة من الزمن	داخلي	36
	ــ هل أنت على استعداد لاستقبالي مــساء اليوم؟...	خارجي	37
	ــ وفهم أنهن سوف يقضين هنا الــشهرين الباقيين من أشهر الصيف ، وأن رفيقتــين أخريين قادمتان عما قريب ...	خارجي داخلي داخلي	41 41 45
	ـــ بــأن عليهمــا أن يقــصدا الــسوق لاستحضار بعض الحاجات والمآكل ...	خارجي	49

	ــ ستقرأها فيما بعد ...	داخلي	49
	ــ إنني أخشى أن يدهمنا أحد ...		
	ــ متى أراك في مكتبي ؟ قالت : غدا	داخلي	50
	ــ فسأظل أدرس واكتب و...	خارجي	52
	ــ لأنهم مستعدون للتخلي عن مــصلحتهم القومية إذا تعارضت يوماً مع وجهة النظر التي تتخذها تلك الدولة الكبيرة ...	داخلي	52
	ــ ... لأنني غير مــستعد للتخلــي عــن مصلحتنا القومية ...		
	ــ ...سأستقل منها في المساء سيارة لبيتي ..	خارجي	52
	ــ ثم إنك تستطيع التخلي عنها متى شئت ، من غير أن تحس بالحاجة تضيق عليك الخناق ...	خارجي	52
	ــ إن بإمكاننا أن نقصد البيــت ، فآخــذ لنفسي قسطاً من الراحة ، بينمــا تقــرئين أنت في غرفة الاستقبال ...	خارجي داخلي	52 54

	ــ لا... لا لن أذهب معك وحــدي إلــى بيتك!...	داخلي	57
	ــ تذهب أنت فترتاح ، وأهبط أنا الــسوق	داخلي	60
	فأبتاع بعض الحاجات ...	داخلي	61
	ــ ...نلتقي ثانية إن شئت ، فنصعد معــاً الجبل ، فتنزل أنت إلى حمَانا وأواصل أنا إلى قرنايل ...	داخلي	61
	ــ لم تعد بي حاجة إلى الراحة ... بل هي التي تحتاج إليها !	داخلي	62
	ــ أنا شخصياً سأحللك بعد أن نفترق ...	داخلي	62
	ــ سيكون موالا طريفا على أي حال ...		
	ــ سوف أقرأ بعض الأعداد،وتستمر أنت في عملك ...	داخلي	63
	ــ سأتغيب نصف ساعة علــى الأكثــر،	داخلي	65
	انتظريني..	داخلي	65
	ــ إنني أخشى عودة الدوار،ثم إن أمــامي عملا وعلى عاتقي مسؤولية ...		

	ــ ... بأنني لا يمكن أن أتزوّجها...لــتكن رفيقة مغامرة ...	خارجي	65
	ــ سأجيبك على كل ما في شــفتيك مــن أسئلة وفي عينيك من دهشة ...	خارجي	65
	ــ كل ما أريده ألا يجني ذلك على أدبــك ...	خارجي	65
	ــ أعتقد أن هذه المرحلة الجديدة ســتكون أخصب مراحل أدبي وأروعها ، وســوف ترى، سأبعث لك قريبــاً بــبعض نتــاجي الجديد ...	داخلي خارجي خارجي	66 66 66
	ــ إن أمامي الآن مهمة بالغــة الخطــورة ،وهــي أن أكــسب للحــزب المؤيــدين والأنصار ...	داخلي داخلي	66 66
	ــ اقرأها في هدوء ، وأنا واثق من أنهــا ستترك في نفسك أثراً ...	داخلي	69
	ــ ... بل يجب أن تطالع هذه النشرات في وعي وتعمق ، وأنا واثق من النتيجة...		

	ــ لا تتعجل الأمور سوف ألقاك عما قريب	داخلي	69
	ــ ستكون راضياً يا سامي ...		
	ــ أتراه حقاً سيقرأها ...	خارجي	70
	ــ سأقرأ ها على سبيل الاطلاع ...		
	ــ ... سيصاب بالخيبة ، يغريني بدخول الحزب ولكني لن أدخله ، لن أدخل أي حزب ...	خارجي	70
	ــ أخبرهما عصام أنه سيحيي أمسية شعرية في مصيف بحمدون حيث يقضي شطراً من إجازته ...	خارجي	76
	ــ وفرضن عليه فرضاً أن يقيم هذه الأمسية الشعرية التي سيحتشد لها كل جميلات المصيف ...	داخلي	76
	ــ سأدعي حين يعود عصام أن لدي عملا عاجلا في المكتب ثم اترككما فور انتهاء الغداء...	داخلي	77
		داخلي	78

	ــ لأتيح لك أن تبقي وحدك معه ...	داخلي	78
	ــ حين تصحبينه إلى فندقه في المصيف ، بعد أن تغادرا المطعم لا أحسب أنك ستنسين أن تسأليه عما إذا كانت نساء لندن باردات كما يقولون ...	داخلي	80
	ــ أنا لا أحسب قد أتيح لها الوقت بعد للتعرف على سواي وسواك	داخلي	83
	ــ ...إن معي نصف ساعة نقضيها في مقهى قريب ثم أدعكما وأنصرف ...	خارجي	83
	ــ ... أنت يا سامي لن تترك الآنسة رفيقة وحدها...	خارجي	84
	ــ إنني عائد توا إلى المصيف ...	خارجي	84
	ــ ..ستأتي معي نعم ، ستأتي معي ، أليس كذلك ؟	داخلي	86
	ــ أبلغني أنه سيتأخر بعض الوقت لزيارة يقوم بها في البلد ...	داخلي	86
	ــ ... الذي لابد أن يسمعنا فيما بعد آخر	خارجي	87

	قصائده...		
	ــ هناك مشروع لتأليف جمعية للأدبـــاء ، ومشروع لتكريم عدد من الأدباء الراحلين	خارجي	87
	، ومشروع بناء متحف للمخطوطات ...	خارجي	88
	ــ الجائزة العالمية التي ســتكون قيمتهــا خمسين ألف ليرة لبنانية تمنح كــل عــام لأديب من الأدباء باسم "جائزة لبنان "...	خارجي	88
	ــ أحس الجميــع أن الأزمــة توشــك أن تنفرج	داخلي	92
	ــ أود أن أقوم بجولــة قــصيرة حــول الحوض الكبير...	داخلي	93
	ــ ..إنه اقتنع بإرجاء بحث أمــر "جــائزة لبنان العالمية" إلى موعد آخر ...	داخلي	94
	ــ يجب أن تقنع الدولة برصد جائزة أدبية سنوية للمجليين من اللبنانيين ..	داخلي	94
	ــ يبدو يا كريم أنك مصمم على إســقاط جميع المشاريع التي كان من المفــروض	خارجي	95

	أن نبعثها اليوم !		
	ــ ألا تخشى يوماً أن تضطر إلى ارتكاب حماقة ما؟	خارجي	97
	ــ ...لا بد أن تجمعنا الظروف مرة أخرى، ذات يوم ...	داخلي	99
	ــ إنها ستحاول أن توافيني كل يوم برسالة...	داخلي	99
	ــ ... ثم تفاجئني برسالة قصيرة تبلغني فيها أنها مسافرة إلى بريطانيا لإعداد رسالة الدكتوراه ...	خارجي داخلي	100 100
	ــ تعتقد بأن تلك الأيام التي تقضيها في هذه الربوع ستظل مطبوعة في نفسها ...		
	ــ ...أو لعلها إنما سافرت إلى بريطانيا ليتاح لها أن تحصل فيها على شهادة تعادل شهادتك...	داخلي داخلي	101 101
	ــ ... وأنهى رسالته بأن غداً ينتظر عودتها من بريطانيا ...		

	ــ سأرد له القصيدة والقصة والمقال معتذراً بكلمة قصيرة ...		
	ــ سنفقد صديقاً عزيزاً علينا ...	داخلي	102
	ــ ...لا بد أن تتذكر الآن أن رصيد الصندوق لا يفي بثمن الورق للعدد القادم		
	ــ المنتظر أن تكون قيمة المحاسبة القادمة أدنى من الأشهر السابقة نظرا لمنع العدد في العراق ...	داخلي	102
	ــ... إن نفقاتها ستتجاوز مداخيلها إلى حد بعيد ...	داخلي	102
	ــ أنتما تعرفان ولا شك أن الغرم الذي سيقع علي من جراء ذلك سيكون أفدح وأثقل من الذي يقع على مؤسستكما ، غير أني مع ذلك أعتقد أن بوسعنا أن ننمي دخل المجلة من أبواب أخرى...	داخلي	102
	ــ وأنا بدوري سأضحي ...إنني سأمتنع عن أخذ أي مبلغ شهري من نصيبي ريثما	داخلي	103

	يرتفع الرصيد ، ويزول الخوف من العجز ...	خارجي	104
	ــ ... ولكنه إذ عاد إلى مكتبه واجه فترة قادمة لا بد أن يحس فيها ضيقاً مادياً سيحرمه من بعض المتع والمباهج ...	داخلي	104
	ــ ... فتعوض بذلك ما ستخسره هنا ، وستعتذر أمام ذويك عن اضطرارك لتخفيض المبلغ الذي تسهم به شهريا في نفقات البيت، وهم من غير شك سيعذرونك، أنك ستحمل هذا الوضع فترة من الزمن ...	داخلي	105
	ــ إنك تعمل لتؤمن لها مستقبلاً ثابتاً يضمن لك أن تعيش في معزل عن العوز ...	داخلي	105
	ــ ذلك أن تكرار منعها في العراق ، وهو السوق الرئيسية الأولى لرواجها ، سيقربها من اليوم الذي ستواجه فيه الاحتجاب ...	داخلي	106
		داخلي	106
		داخلي	106

	ــ ... وبعد كل هذا ، أتظنه بعيــدا ذلــك اليوم الذي تنهار فيه كراسي أولئك الحكام من تحتهم ؟ ألا يستحق هذا الأمل مزيــداً من التضحية والفداء ...	داخلي	107
	ــ ...سوف تمضي في الصمود والصراع ... إنهما السبيل الحقيقي للإبقاء على هذه الهبة ــ العبء: حريتك .	داخلي	107
	ــ حــاولي أن تترجمــي منهــا بعــض الصفحات نتدارسها معا في اللقاء القــادم ...	داخلي	109
	ــ ...أما بقية الأسبوع فسأنزل ضيفة على أختي هنا ...	داخلي	109
	ــ سأحاول هذا المساء أن أتــرجم بــضع صفحات ، وربما جئت غداً ...	خارجي	110
	ــ ... ثم أني سأقصد بعلبك بعد غد ...	داخلي	111
	ــ سأنتظرك إذن بعد الظهر ... لا لــيس بعد الظهر، وإنما حوالي الساعة الــسادسة	داخلي	112
		خارجي	113
			115

	مساء		
	ــ إذا كنت مجتهدة ، فلن أتقاضـــى منـــك كثيراً ، أم إذا عذبتني ... فسيكون الأجـــر مرتفعاً	داخلي	115
	ــ سيكون الدرسان الأولان مجانا ، وبعد ذلك سنتفق ...	داخلي	115
	ــ هاتان الـــساعتان ســـتكونان كـــافيتين لمعرفة الجو وجس النبض ، وسنرى بعد ذلك ...	داخلي	116
	ــ وأدرك أن أي كلمة أخرى ستفسد عليه الأمر ...	داخلي	116
	ــ ... ستحبينها هذا العام ...	داخلي	117
	ــ لقد اتصل بي تلفونياً يخبرني بأنه لـــن ينزل إلى المكتب بعد الظهر اليوم ...	داخلي	119
	ــ أعتقد أنك لن تجدني تلميذة لامعة ...	داخلي	120
	ــ إقرئي أنت النص الأصلي ، وسأقرا أنا الترجمة ثم نقابل بينهما ...	داخلي	121
		داخلي	123
		داخلي	123

	ــ ...وأدرك في ارتعاشه أنه لن يــستطيع أن يجيب بشيء ...	داخلي	125
	ــ ... الرسالة الــصغيرة اللاهثــة التــي تنتظرها في الأكاديمية ، ســتظلين ملقــاة على مكتب الناظر ...	خارجي	125
	ــ سأنتظرك هذا المساء في مكتبي ...	خارجي	126
	ــ وستعيشين الأمل في أن أراهــا هــذا المساء ...	خارجي	126
	ــ سأظل هنا في انتظارها حتــى تطفــأ مصابيح الأكاديمية ...	خارجي	128
	ــ لا تستطيعين أن تظلي هكذا واقفــة ... لا بد أن يلحق زكام شديد ...	خارجي	130
	ــ ستدفئين بعد لحظات ...	داخلي	130
	ــ هل تسمحين بأن أوصلك إلى البيت في هذا الجو الممطر ؟		
	ــ ستدركين قصدي إذا عرفت أنني لم أكد أعرف في حياتي مرحلة طفولة	خارجي	131

	ــ ...ربما رويت لك هذا فيما بعد ...	داخلي	132
	ــ إننا عائدان بعد نصف ساعة إلى دمشق		
	ــ فأواصل أنا سفري إلى بلدتي الصغيرة في الشمال، ويطير هو إلى لندن ...	داخلي	132
	ــ إلى اللقاء في الصيف القادم ...	داخلي	133
	ــ ستتعرفين عليه في الصيف القادم ...	داخلي	134
	ــ إذا ظلت كتابتها جارية على هذا النحو من البطء ، فسوف تستغرق أسبوعاً على الأقل ...	داخلي	135
	ــ أتراك مصمما على أن تحبسني سبعة أيام في البيت تحبسني وتحبس نفسك مع ورقة وقلم ...	داخلي	135
	ــ حتى خيل إلي أني سأقضي العمر انتظارا	داخلي	137
	ــ ... لا بد أن تسبب للفتاة إحراجاً ، وقد تشير حولها علامات استفهام ...		
	ــ إنني لن أطيل الزيارة ، بضع دقائق ،		

	سيكون ذلك كافياً لإزالة كل شك ، بل يقولون إنه أستاذ لطيف ... ـ أعتقد أني ما زلت بحاجة إلى بضعة أيام أخرى من الراحة ... ـ سنخرج معا فنتنزه ساعة على كورنيش الروشة، ثم نعود ... ـ ستستقل سيارة عند الباب ، فلا يراك أحد ، إن كنت تخشين أن يراك أحد ... ـ وثقي أني لا أريد بك سوءاً ... ـ لا بد أعود الآن إلى الأكاديمية ... ـ سأنتظرك ريثما تعودين من الأكاديمية ، فأرافقك في البيت حتى لا ترجعي وحيدة ... ـ سأهيء بعض أبواب " الفكر الحر " ... ـ أعدك ألاّ أزعجك سأتطلع إليك وأن صامتة. ـ لن يقبَلك غيري يا إلهام ...		

الثاني	ــ هل سيتاح لي يــا ســامي أن أســمع صوتك طويلا؟ هل يكتب لي أن أصــغي إليك تتكلم وتتكلم ، ولا تصمت أبداً ؟...	داخلي	144
	ــ إنها الفتاة التي سأخطبها ...	داخلي	144
	ــ ... وإن بوسعي أن أســعدك وأكــون سعيداً معك ...وسوف أصرّ على أن تتمي دراستك الجامعية حتى الليــسانس علــى الأقل	داخلي	144
	ـــــ إن بوســعنا أن ننتظــر عامــاً أو عامين،أواصل فيها دراستي ، وتحسن أنت أوضاعك ...	داخلي	145
	ــ سأكون في بعلبك بعد ساعتين ...	خارجي	146
	ــ أنه لن يلبث بعد أن يشاركني الحياة أن يعود إلى سيرته الأولى ...	داخلي	147
	ــ ...بوسعه مع الزمن أن يصبح ذا مركز مرموق	داخلي	148
	ــ ... وأنك ستلازمين المكتب قبل ظهــر	داخلي	152

	كل يوم في أثناء غيابه ببكفيا ...	داخلي	153
	ــ تمهيداً لاستقلال المجلة بعد فتــرة مــن الزمن	داخلي	156
	ــ وأننا سنتمكن من تأثيث بيتنــا بأســرع مما كنا نتوقع ...	داخلي	158
	ــ ستكونين يا إلهام مستشاري وضــميري الثاني	داخلي	158
	ــ اهتمي بسامي إنه يعد بالكثير ...	داخلي	159
	ــ لقد أحسست اليــوم أن علــي عمــلاً مزدوجاً في هذا المعهد : هو تدريس اللغة العربية، ومحاولة حمل هــؤلاء الأجانــب على أن يتفهموا قضايانا بمعزل عن كــل تأثير أو حكم مسبق ، وأنا على يقين مــن أنهم سيجدوننا بعد ذلك جديرين بالــصداقة والحب...	داخلي	159
	ــ وامتلأت اطمئناناً بأن الــشكوك التــي تبلبل سامي ستزول الآن تدريجياً بقدر ما	داخلي	160

	يضطلع بمسؤوليته ...		
	ــ خشيت يا سامي أن تكون فيها رسائل خاصة لك ! ...	داخلي	160
	ــ أنا أعدك بأن أطلعك على شؤوني جميعها لا أخفي شيئاً منها ...	خارجي	161
	ــ أرجو أن أقدر على نسيان ماضيك يا عزيزي...	داخلي	161
	ــ أعدك يا إلهام أن أمنحك كل شيء ، لا أضن بمطلب ، ولا أبخل بتحقيق أية رغبة من رغباتك ...	خارجي	162
	ــ وداخلي شبه يقين بأن سامي سيندم على سماحه لي بالاطلاع على رسائله...	خارجي	163
	ــ أيكون سامي معرضاً حقاً ، في مقبل الأيام لمثل هذا الوضع ؟ أصحيح أن التوفيق بين واجبات الزوج وحقوق الفنان سيكون محالا لديه ؟...	خارجي داخلي	163 164
	ــ وستحمل بعد عامين ليسانس في		

	الفلسفة.	خارجي	164
	ــ غدا كل همي عودة سامي لمناقشة هذا الموضوع معه أصلاً وشكلاً ...	داخلي	164
	ــ عدت إلى القصة التي كنت أترجمها عن الفرنسية لتنشر في الفكر الحر ...	داخلي	164
	ــ لقد أخبرتك أني لن أخفي عنك شيئاً ...	داخلي	165
	ــ سنناقش الموضوع في المطعم ...	داخلي	165
	ــ لا بد إذن من أن تأخذ قسطاً من الراحة بعد تناول الغداء...	داخلي	165
	ــ لا بد من القضاء وقت قبل أن تصبح مساعدة عظيمة ، وستكون مزدوجة ...	داخلي	165
	ــ ... ستتولين رئاسة التحرير ، ثم تتيحين لي أن انصرف إلى الكتابة .	داخلي	165
	ــ ... سأبذل كل طاقتي يا سامي لأتيح لك أن تكتب ...	داخلي	166
	ــ ... وأخذ يحدثني عن روايته التي يود أن يكتبها..	خارجي	167

	ــ يبدو يا إلهام أنك ستكونين زوجة شديدة الغيرة	داخلي	169
	ــ على أن نلتقي ثانيــة فــي الــسادسة ، لنقصد إحدى دور السينما ...	داخلي	171
	ــ وعاهدت نفسي أن أمحو صورته مــن ذهني ...		
	ــ لقد وعدني المدير بــأن يمنــع علــى الطلاب التحــدث بالــشؤون الــسياسية ، ويطلب منهم الانصراف الكلــي لدراســة اللغة ...	خارجي داخلي	172 174
	ــ ...وقد أخبرني أنــه ســيزورني فــي المكتب عما قريب ، سيحدثني عما ينــوي أن يفعله من أجل بلاده ...		
	ــ ...أن نتزوج في أقرب فرصة ، ونفتح بيتنا الصغي، وأعتقد ان هذا الحــل هــو الذي سيؤمن لنا ما نحن بحاجة إليه مــن استقرار ويفر لي الوقت للكتابة ...	داخلي	174

	ــ سأكتفي أولا بتأثيث غرفة النوم ، وسأطلب من إدارة المعهد في بكفيا أن تسلفني مبلغاً من المال ... وأنا شديد التفاؤل بأن تلبي طلبي ...	داخلي	174
	ــ قد وعد أهلي بتقديم أثاث كامل لغرفة الاستقبال ...	داخلي	174
	ــ ... سأرجوك يا إلهام أن تقبلي إرجاء تقديم الخاتم لك ..	داخلي	175
	ــ سنؤثث البيت تدريجياً يا إلهام ، وسنحاول أن نختاره قريبا من مكتبنا ...	داخلي	175
	ــ وسوف نبتاع أثاثا جاهزاً ...		
	ــ اتفقنا أن أواصل دراستي بعد الزواج حتى أحصل على الليسانس ، وقال لي سامي إنه يشجعني في إعداد رسالة للدكتوراه بعد ذلك إذا سمحت لنا ظروف العمل والبيت ...	خارجي	175
	ــ يجب أن نحرص على كل حال على أن	داخلي	176
		داخلي	176

	لا نرزق ولداً قبل أن تتمي دراستك ...		
	ــ سأجعلك يا إلهام أميرة مملكتي الصغيرة		
	ــ ... ويبلغني على التو علـــى أن تلـــك الشركة وافقت على منحنا تذكرتي ســـفر ذهاباً وإياباً إلى القاهرة مقابل عـــدد مـــن الإعلانات تنشرها الفكر الحر على ســـبيل الدعاية للشركة ...	داخلي	176
	ــ ... بوسعنا أن ننزل عنده ضيفين مـــدة هذه العشرة أيام ...	خارجي	178
	ــ ... وسأظل وحدي حبيبتك إلـــى الأبـــد ...	خارجي	183
	ــ انتظري بضعة أشـــهر، عامـــاً علـــى الأكثر، وسترين كيف أؤثث لك هذا البيت بأجمل الأثاث ...	خارجي	185
	ــ إمّا إذا لم نرزق أولاداً ، فسنظلّ نعتبر "الفكر الحر" ابنتنا الموقرة ، وسنظلّ نعتني بها حتى تترعرع وتنمو وتملأ الدنيا..	خارجي	185
		خارجي	186

	ــ إنّ هذه الديون ستسدّد كل شهر من راتبيك في المعهدين ، وأملنا كبير في أن يتمّ سدادها في العام القادم ، وسنعمل بعد ذلك على ابتياع أثاث البيت في غير ما ارهاق	خارجي	187
	ــ ...فإذا ظل هذا المنع مستمرّا ، فإنّ الأزمة ستنقلب إلى كارثة ، وستجد المجلّة نفسها، بسبب تراكم الخسائر ، مضطرّة إلى الإحتجاب...	داخلي خارجي خارجي	188 191 192
	ــ ... سوف يقولون ويشيّعون ، ربّما قال البعض إنك تساير السلطات العراقية ... وربّما قال آخرون إنّك تطبع عدّة نسخ مختلفة تخصّص كلاّ منها لبلد ...	داخلي داخلي	192 199
	ــ فليكن عصام شريكك في دار الفكر الحر.	داخلي	200
	ــ انتظري يا سيدتي حتّى تقرئي روايتي...		

	ــ سنكون صديقتين حميمتين ، أليس كذلك يا إلهام؟...	خارجي	201
	ــ سأزورك قريبا زيارة أخرى ، ولكنّها طويلة.	داخلي	201
	ــ ...فأدركت أنه سيبدأ مرّة اخرى بكيل التّهم لنفسه ...		
	ــ لقد قررّت أنا ورفاقي الضبّاط الجزائريون ، قبل أن نجيء إلى لبنان أن ننظم حركة للفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بالجيش الجزائري ، وأنا الآن أنتظر إشارة من اخواني للعودة إلى فرنسا...	خارجي	202
	ــ سيلقى القبض علينا في هذه الحالة ونوضع في السجون ...	خارجي	209
	ــ سأطلب منكم ألاّ تنسوا زجتي وأولادي ...وسوف يحتاجون إلى صداقتكم دونما ريب	خارجي	212
			213

	ــ إنّك ستكتب فصلاً رائعــا فــي قــصّة النضال الجزائري العظيم ...		
	ــ إنّني مثلاً أريد أن أكتب في احد أجزاء روايتي القادمة قصة " النكبة " ، ولكنّــي واثق منذ الآن أنّ الرواية ستمنع في ثلاثة بلدان على الأقل ...	خارجي داخلي	213 213
	ــ ...قد قرّر أن ينصرف لــنظم ديــوان جديد دفعه إلى الدار لتنــشره ، وســيكون عنوانه : " إلى لئيمة" ...	داخلي	216
	ــ ... سيتاح لك فيها أن تخلو إلى قلمــك وأوراقك سأدعك منحياً على الطاولة فوق هذه الطاولة الصغيرة التي رفعتُ نها كــلّ شيء ...لتؤكّد عزمك على ألاّ تضيّع ثانية واحدة من غير أن تفكّــر بروايتــك ، أو تخطّ سطورا من فصولها...	داخلي خارجي	207 221
	ــ ستصيب الهدوء الذي تطلبه...	داخلي	225
	ــ إنّ وضعنا في طريق التّحسّن وديوننــا	خارجي	225 248

	المتراكمة تنقص شـــيئاً فـــشيئا، ومنزلنـــا يكتمل أثاثاً...		
	ــ سنتصل صباح الغد بـــشركة توزيـــع	داخلي	251
	ونحاول أن نحصل منها على سلفة ...	خارجي	261
	ــ سنحاول صباح الغد أن نتدبّر أمر السّند المستحق...	داخلي	265
	ــ لن يكون بعيداً ذلك اليوم الذي نتـــولّى فيه الحكم في البلاد...	داخلي	265
	ــ سنزورها معا في المساء...		
	ــ ولكنّي لن أصحبك يا سامي..		
	ــ لقد أقنعت عصام بضرورة اصارهما ،	داخلي	273
	وإصدار مجموعة من دراسات أدبية لكاتب ناشيء يعد بالخير الكثير...	داخلي	279
	ــ لا بدّ الآن من إزالة هذا التّحفّظ		
	ــ إقرئيها يا إلهام ثـــمّ أخبرينـــي ، هـــل توافقيني على أنّها جيرة بأن تنـــشر فـــي "الفكر الحر"	خارجي	279

	ـــ...ستكون حاجتنا إليك يا أستاذ ســـامي أشدّ من ذي قبل ...	داخلي	279
	ـــ سنواجه أيّاما حالكة يا إلهام ، وظروفاً دقيقة شاقة على المستويين العام والخاص، ولكنّنا سنصمد يا عزيزتي...		
	ـــ سيظلّ كريما ممزّقا ، إنّني أتمثّلـــه الآن سائرا وحده في الطريق..وحيدا سيبقى...	داخلي	280
	ـــ سألازم المكتب طوال غيبتك ، وسيتاح لي بذل أن أتدرّب عمليا علـــى الـــشؤون الإدارية...		
	ـــ سأتّصل بشركة التوزيع وأسألها عمّا إذا سمح للعدد الأخيـــر بـــدخول العـــراق ، وسأشرف على إعداد الهدايا...		
	ـــ اقتنعت شركة الطيران أخيرا أن تمنحك تذكرة سفر ذهابا وإيابـــا إلـــى القـــاهرة ، مقابل إعلانات أخرى تنشر لها في " الفكر الحر"...		

	ـــــ ...وكم ســتكون أختــي وصــهري سعيدين بلقائكما واستضافتكما ...		

02 ــ الاسترجاع Analepse :

شأنه شأن العديد من المصطلحات السردية المعاصرة ، له عدة تــسميات منهــا : الاستذكار ، اللاحقة الزمنية ، الارتداد ، الرجوع إلى الخلف ، الفلاش باكFlach Back .

عموما ، وكيفما كانت التسمية فهي تؤدي معنى واحد، فالاسترجاع يعــد مــن التقنيــات السردية الأكثر حضورا في النصوص الروائية " ... فهو ذاكرة النص من خلاله يتحايــل الراوي على تسلسل الزمن السردي ، إذ يتقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضــي بجميع مراحله يوظفه في الحاضر السردي ، فيصبح جزءاً لا يتجزأ من نــسيجه "[1] " إن كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكاراً يقوم به لماضيه الخاص ، ويحيلنــا مــن خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلت إليها القصة "[2].

ويوظف بطريقتين إما "بطريقة السرد التقليدي،بأن يعــود راوي الأحــداث إلــى روايــة الأحداث الماضية التي وقعت قبل بدء أحــداث الروايــة،أو قبــل بــدء الأحــداث التــي

[1] ــ المرجع السابق : ص 192 .

[2] ــ المرجع نفسه : ص 121 .

ترويها"[1]،بحيث يوقف السارد " ... عجلة السرد المتنامي إلى الأمام ليعود إلى الوراء في حركة ارتدادية لسير الأحداث ، لاستذكار ماض بعيد أو قريب "[2].

تكمن أهمية الاسترجاع كتقنية في تمحوره " حول تجربة الـذات ، وتعـادل وفقـاً للمصطلح النفسي ما يسمى بالاستبطان أو التأمل النفسي "[3] ، ويقصد به في مجـال علـم النفس " معاينة المرء لعملياته العقلية ، أو المعاينة الذاتية المنتظمة ،حيث يقـوم الإنـسان بفحص أفكاره ودوافعه ومشاعره والتأمل فيها أشبه ما يكون بتحليل الذات والتأمـل فـي الخبرات الماضية يوازي تذكر الماضي والأحداث الماضية بطريقة غيـر مباشـرة ، لأن عكلية الاستبطان تتم في أعقاب حالة الخبرة والمعاينة ، ولعد اسـتقرار عناصـرها فـي الذاكرة "[4] .

إن المتعمق في مفهوم الاسترجاع يجده يرتد إلى علم النفس فهـو معنـاه النفـسي "التطلع إلى الوراء والنظر في التجارب والخبرات التي عاشها المـرء فـي الماضـي ،

[1] ــ شجاع مسلم العاني : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ،دار الشروق الثقافية، بغداد، ط01، 1994، ص 62 .

[2] ــ زهيرة بنيني :بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان (مقاربة بنيوية) ، ص 170 .

[3] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 192 .

[4] ــ أسعد رزوق : موسوعة علم النفس ، مراجعة : عبد الله عبد الدايم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،لبنان، ط03 ، 1979 ، ص 34.

يستخدم اصطلاحاً للدلالة على استبطان أية خبرة انقضت ومرت لتوها ، وهو يؤلف في ظل ظروف معينة "[1].

أما عن المقاصد الدلالية والوظائف الجمالية للاسترجاع في النصوص الروائية فيمكن إدراجها في نقاط بإيجاز اعتماداً على ما قدمته الباحثة معا حسن القصراوي في دراستها النقدية الموسومة ب (الزمن في الرواية العربية)[2] :

1 ــ ملأ الفراغات التي يخلفها السرد التي يخلفها السرد الحاضر ،فالاسترجاع يساعد على فهم مسار الأحداث وتفسير دلالاتها .

2 ــ يوظف الاسترجاع عند تقديم شخصية جديدة ظهرت في خط سير الأحداث والمقاطع السردية ، ويزيد الراوي إضاءة جوانب من سوابقها ، أو الكلام عن شخصية اختفت ثم عادت في هذه الحالة تستخدم تقنية الاسترجاع للكشف عن الماضي القريب، وعن أفعال الشخصية فترة الغياب .

3 ــ المقاطع السردية الحكائية (المحكي الأول) من خلال الاندماج فيها وتنوير القارئ وإفهامه ، وإعطاء تفسيرات جديدة تتناسب مع مستجدات المواقف .

4 ــ توسيع آفاق الرؤية لدى القارئ / المتلقي ، عن طريق رؤية الآتي في ظل معطيات الحاضر واسترجاع الماضي لتكون الرؤية واضحة ، يقول غاستون باشلار :"... الذكرى

[1] ــ المرجع نفسه : ص 36

[2] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ،ص ص 193 ــ 194 .

لا تعلم دون استناد جدلي إلى الحاضر ... فالذكرى تعيد وضع الفراغ في الأزمنة غير الفاعلة،

إننا حين نتذكر بلا انقطاع ، إنما نخلط الزمان غير المجدي وغير الفعال بالزمان الذي أفاد وأعطى"[1]

.5 ــ إنارة الحاضر في حياة الشخصية وأفعالها من خلال الماضي ، وإبراز جوانب كثيرة من ماضيها وعالمها الداخلي وأبعادها النفسية والاجتماعية .

6 ــ الاسترجاع يكسر رتابة النص وخطيته ويحقق توازناً بين توظيف الحاضر والماضي والمستقبل .

7 ــ يوضح الاسترجاع تطور الأحداث وتحول وضعية الشخصيات بين الماضي والحاضر ، ويبرز القيمة الدلالية من خلال المقارنة في وضعيتين " كأن يقارن السارد بين وضعية البطل الحالية ووضعيته في بداية الحكاية سواء كان ذلك لإبراز تشابه الوضعيتين أو اختلافهما "[2].

ينقسم الاسترجاع من حيث علاقته التي تربطه بالخط السردي الحاضر إلى قسمين بارزين وهما : الاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي .

---

[1] ـ غاستون باشلار : جدلية الزمن ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1984 ، ص 47 .

[2] ــ سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1985 ، ص 83 .

*** ــ أنواع الاسترجاع :**

أ ــ الاسترجاع الداخليAnalepse interne :

وظيفته استعادة أحداث لها صلة بزمن بدء الحاضر السردي إذ هي متضمنة في الحقل الزمني للمحكي الأول[1] " لأن مدة مداه لا تتسع ، لما هو خارج المحكي الأول إلا أن الإشارة إليه تأتي متأخرة عن بداية الحكي ، وهذا أمر منطقي ناتج عن كون السارد لا يستطيع الأحداث الروائية كلها في وقت واحد ، فهو ينتقل من شخصية إلى أخرى ، وهذا الانتقال يفرض عليه تأجيل حكي بعض الأحداث المتعلقة بالشخصية التي خصها الاسترجاع"[2] .

ومن هنا يلتفت السارد إلى إبراز ماله علاقة بالشخصية التي خصها بالحكي المسترجع ، ثم يعود إلى الشخصية السابقة من أجل إتمام سرد الأحداث .

إذن الاسترجاع الداخلي له علاقة وطيدة بالمحكي الأول لكن تم تأجيل سرده لأسباب من بينها حرص السارد على التوفيق في توظيف الأزمنة ، ولا بخفى على القارئ ما لهذا النوع من الاسترجاع من جمالية فنية سردية .

---

[1] ــ جيرار جينيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، ص 61 .

[2] ــ مرشد أحمد : البنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 2005 ، ص 244 .

ب ــ الاسترجاع الخارجيAnalepse Externe :

يهتم الاسترجاع الخارجي باستعادة حادثة أسبق زمنياً من المنطلق الزمني للمحكي الأول ، فهو يحيل القارئ / المتلقي إلى أحداث روائية تمت قبل بدء الحكاية الرئيسية . تعد الاسترجاعات الخارجية مكملة ومفسرة للمحكي الأول ، وذلك عن طريق المعلومات التي تقدم عن فترات زمنية سابقة واطلاع القارئ على ماضي الأحداث والشخصيات على حد سواء[1] .

*** ــ جدول 02 : رصد الاسترجاعات الواردة في متون الثلاثية :**

01 ــ الاسترجاعات في رواية الخندق الغميق :

القسم	الاسترجاع	نوعه	الصفحة
الأول	ــ ... ولكن حدث يوماً فيما بعد ،أن نهضت الجماعة، غير تاركة على البساط شيئاً ...	داخلي	07
	ــ كان المقرئ قد غنَاها في الليلة السابقة ...	داخلي	09
	ــ ... وقد لاحظ غير مرة أن الجماعة	خارجي	10

[1] ــ جيرار جينيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، ص ص 60 ــ 61 .

	كانوا يحيطون ذلك القريب بمزيد من العناية والاهتمام ويصغون إلى حديثه باهتمام واحترام ...	خارجي	11
	ــ وذكر تلك اللحظة المصحف الذي أهداه إياه أبوه من قبل ...	خارجي	13
	ــ ...إذ تذكر المعلم (أبو محمود) كان ذا قسوة وعنف في معاملة الصبيان ...	داخلي	17
	ــ كان يرى في منامه ذلك الشيخ المعمم مستوياً على ركبتيه في وسط الشارع ...	داخلي	19
	ــ إن صورة أمه وأبيه وإخوته لا تفارق خياله...	داخلي	19
	ــ لقد حاولت أمه أن تثنيه ...	خارجي	21
	ــ لقد ذكر صوت أبيه حين كان يرتفع عند الفجر بهذا الهتاف في القرية التي كانوا يصطافون فيها...	داخلي	23
	ــ ...وقد فكرت الليلة الأولى أن أهرب من المعهد لأراكم	داخلي	23

	ــ ... وأنه دعاه مرة إلـــى إطـــلاق آذان الفجر، بعد أن سمع صوته فأرضاه ...	داخلي	25
	ــ ... وحين أراح رأسه على الوسادة تلك الليلة ، ابتسم وهو يذكر قول أبيه المأثور " العمامة تاج العرب "	داخلي	26
	ــ ... لقد وعدهم حين كان يقيس أجسامهم	داخلي	32
	ــ ... وكان قد مضى على ارتدائهم الزي الديني بضعة أيام حـــين جمعهـــم رئـــيس المعهد في القاعة الكبرى ...	داخلي	35
	ــ وقد حدث يوماً ما كان يخـــشاه ، فقـــد برز أحدهم فجأة ...	داخلي	37
	ــ ... أترى صديقه الذي رآه بالأمس ... فلم يشأ أن ينظر إليه ...	داخلي	38
	ــ ألم يرو لهم مدرس الحديث قول النبـــي ...	داخلي	40
	ــ ... فقد كان كتاباً أصغر غالب الأحيان ، وكان مؤلفه من القدماء الـــذين مـــضت	داخلي	41

	على وفاتهم قرون...		
	ــ ... كان يضيق ذرعاً بدرس المنطق ، فقد كان يوشك أن لا يفهم منه شيئاً ...أما	داخلي	42
	درس الحديث يقذفهم في حيرة وملل شديدين	داخلي	42
	ــ ...أما في الأدب العربي فقد أصابته خيبة من معلمه الأول ...	داخلي	43
	ــ ... وكان أول درس ألقاه المعلم عليهم قصيدة طويلة طلب منهم أن يحفظوها عن ظهر قلب ...	داخلي	44
	ــ ثم أتى من يكشف لهم بعد أيام أن الشيخ الفرفور، مدرس الأدب العربي ، لم يكن إلا نجارا في دمشق ...	داخلي	48
	ــ ... وقال أحد الطلاب في ذلك : " كان شيخاً قيماً على غذاء عقولنا فأصبح قيماً على غذاء بطوننا		
	ــ ...إن أباه كان يمنعه دائما من ارتياد	داخلي	49

	السينما ، وهو لا يسمح له إلا مرة واحـــدة في يوم العيد ، بحضور فيلم قصير عـــن الحج مع أمه وإخوته ...	خارجي	50
	ــ ...تواعد مع رفاقه على الالتقاء عنـــد منعطف شارع مظلم ، غير بعيد عن دار السينما ...	داخلي	52
	ــ ... فقد كانت أمه معتادة ، تفتح البـــاب لأخيه ، إذا تأخر ليلاً من غير أن تضيء النور...	داخلي	53
	ــ تذكر عيني تلك الممثلـــة الزرقـــاوين ، وشفتيها الريانتين ، ونهديها المسكرين ...	داخلي	53
	ــ أتكون مغامرة الليلة الماضية هي التـــي تشعره بأنه غدا شخصاً آخر ؟...	داخلي	53
	ــ ...إلا رفاقه الأربعة الذين صحبهم إلى السينما ...	داخلي	56
	ــ كان يتجنب النظر إلى أي مـــن رفاقـــه الذين صحبهم بالأمس ...	داخلي	58

	ــ ...بأن كلاماً خفياً يسري بين الطــلاب بأن الناظر قد فاجأ زميلهم عبــد الكــريم مساء اليوم السابق ، وهو في حالة مريبة ...	داخلي	63 69
	ــ ...فقد قرأت كثيراً عنه وهو يعد مــن أروع الآثار الفرنسية ...	داخلي	74
	ــ ... وسرعان ما ذكر عبارة تلك المرأة التي استوقفته يوما بالقرب من بيتهم ...	داخلي	79
	ــ ...وإذ فرغ من القصة ذكــر صــديقة الراحل...	داخلي	80
	ــ ... على أن أخاه الأكبر فــوزي أقبــل يوماً يكر عليهما صفو اللقاء في الغابة ...	داخلي	80
	ــ إنه ثوب شهادة لكفاءة التي أحرزتها في الشهر الماضي ...		
	ــ ... تذكر فجأة أن اليوم يوم الــسبت ، وأن أباه يصعد إلى الجبل ظهراً ...		
	ــ ... وحين أفاق من غيبوبته ، ذكــر أن	داخلي	83

	آخر ما رآه، وجه مذعور يطل من شرفة	داخلي	85
	وهو يصرخ ، تحيط به يدان ترتجفـــان ،	داخلي	85
	وما يلبث ، ينبعث منه صوت بكاء متقطع لائع ...	داخلي	85
	ــ إن ما حدث يوم أمس يثير فضيحة لنـــا ...	داخلي	91
	ــ أبلغته أن أباها حرم عليهـــا أن تـــراه وتكلمه.	داخلي	92
	ــ وأجابها بأن أباه وقف منه مثـــل هـــذا الموقف ، وأنبه أعنف التأنيب ...	داخلي	94
	ــ ثم ذكر لقاءهما الأخير في المنزل...	داخلي	96
	ــ ... التي كان صديقه عزيز ينشر فيهـــا ...		
	ــ أرى أنك لا تزال تشغل رأســـك بتلـــك التفاهة.		
	ــ ... بأنها قد سافرت إلى مصر مع أبيها ، عندما ورد نعي عمتها هناك ..		

	ــ ... كأنها لم تكن يوماً تملأ سمعه وحواسه وكيانه كله		
الثاني	ــ كما كان منذ سنوات ...	خارجي	101
	ــ ... إن سكان المنزل المجاور قد قصدوا الجبل منذ أيام وليس في البيت أحد ...	داخلي	103
	ــ... ذكر أنه لم يتناول من جبته ...	داخلي	104
	ــ وما كان لي أن أنسى تعليمات أبي وتوصياته في ذلك ، بل هو قد نصحني يوماً أن أتجنب المرور في ذلك الشارع ...	خارجي	104
	ــ ... وكم دخلت أمنا الغرفة عليك ...	داخلي	105
	ــ وكنَا نعرف أنه هو الذي دفع سامي إلى المشيخة	داخلي	107
	ــ ... وهي مستلقية على الأريكة التي جمعتهما يوماً في غفلة عن العيون ...	داخلي	116
	ــ ..وعاد يذكر لقاءه مع سمية منذ ثلاث	داخلي	112
		داخلي	117

	سنوات..		
	ــ ...علمت من أهلي أنك خلعت الجبّة والعمّة ...	داخلي	120
	ــ وعاد يستجلى صورتها هذه الأخيرة التي تجلت منذ دقائق ...	داخلي	122
	ــ ... لقد حرم أن يعيش في هذا الجو سنوات...	داخلي	124
	ــ ... وتذكر فجأة صديقه رفيق كان بارعاً في الرياضيات ...	داخلي	126
	ــ أتذكر المرة الأولى التي قصدنا فيها السينما ونحن شيخان ...	داخلي	127
	ــ ... وأخذ يراجع بعض المواقف التي أتاحت لصديقه وأخته اللقاء ..	داخلي	127
	ــ ... وتدفقت عليه دفعة واحدة ذكريات حبه لسميا ...	داخلي	131
	ــ ... وقد لاحظ ذات مساء أن هدى لم تطرق عليه باب غرفة الاستقبال ، إذ		

	يكون مجتمعاً بصديقه رفيــق ، طــوال أربعة أيام ، على جاري عادتها ...	داخلي	135
	ــ ... لقد ســأل اليــوم عــن مــسائلك الحسابية...	داخلي	136
	ــ ... أتكون تجربة حبه الفاشل هي التي زودته بالحكمة ؟..	داخلي	137
	ــ وتذكر تلك اللحظة أن فوزي يعود منذ أيام إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل ...	داخلي	137
	ــ مساء أمس دخلت إلى غرفتكم هــذه ، وفي ذهني أنها خالية ..فإذا بي أجد فوزي يفاجأ بدخولي ، فيسارع إلى جمع عدد من الصور كانت منشورة على سريره ...	داخلي	138
	ــ والواقع أن ذلك اللقاء القصير الذي كان يتاح لي في غرفة الاستقبال مع رفيق كان أعجز عن أن ينم عن شيء في نفــسي أو في نفسه ...	خارجي خارجي	140 141

	ــ فهو قد انقطــع عــن ارتيــاد المدينــة السورية منذ بضعة أشهر ...	داخلي	141
	ــ ... لكن أمورك التجاريــة هنــاك قــد انتهت على ما أخبرتني ...	داخلي	142
	ــ إنه لم يشهد ما حدث الليلة الفائتة ، لقد كان مستغرقاً في النوم ...	داخلي	143
	ــ لقد كان من واجبي أن أروي لأبيك كل شيء قبل سفره ...	داخلي	144
	ــ ... وذكرت ما حدث في هذه الليلة لقد استيقضنا ...		
	ــ ... فإني كنت أقــصد المدرســة فــي اليومين الماضيين بالخفية عنــه ، وهــو يعتقد أني قد انقطعت عنها ...	داخلي	146
	ــ ...أن رفيق قد أصيب بوعكة ألزمتــه الفراش ، ولكنه إذ عاده أمس في منزله ، ألفاه في طريق التحسن ...	داخلي	146
	ــ حدثت أختي ناديا طويلا عنك ...	داخلي	146
		داخلي	148

	ــ وحدثني سامي عن أختك أيضا ...	داخلي	148
	ــ وعلمت من ناديا أنها اضـــطرت إلـــى التوقف عن الدراسة ...	داخلي	150
	ــ ... إنه اكتشف صباح اليوم أن مبلغـــاً كبيرا مما كان ...		
	ــ ولكن الذي حدث بعـــد ذلـــك أن أمـــي أيقضت سامي فجر أحد الأيام لتنبئه بـــأن فوزي لم ينم في المنزل تلك الليلة ...	داخلي	153
	ــ ... أتعرفون ماذا فعل أبـــوكم ؟ آه ... إنني لا أكاد أصدق لقد تزوج عليَ ...	داخلي	156
	ــ إنني لم أطمئن لحظة واحدة إلى أبيك يا هدى ، بالرغم من أني قضيت معه ثلاثـــاً وعشرين سنة ...كنت دائما أشك فيه وفي أمانته الزوجية ...	داخلي داخلي	158 159
	ــ لقد أوقعتني الفاجرة في شباكها ..		
	ــ ... وكان أبي قد عدل عن قراره بمنعي من ارتياد المدرسة، ولكنه أنذرني بأن هذا	داخلي	163

	آخر عام يسمح لي فيه بالدرس ...		
	ــ ... وصرخت أمي صرخة كبيرة شبيهة بتلك التي أطلقتها يوم عاد أبي من حلــب ...	داخلي	165
	ــ لقد كنت مصممة على أمر أعتقد أنــك كنت على حق واضح فيه ، فلا تتراجعــي يا هدى ...	داخلي داخلي	165 166
	ــ أتعرفين عمامتي إنه يذكرني بها ! ــ... وكان قد انقطع عن زيارتنــا فتــرة الامتحان كله ...	داخلي	167
	ــ... فأعلمني أن رفيق قد أخبــره بأنــه كان ينتظر أن أفرغ من تقــديم الــشهادة ليعبر عن رغبته بأن يخطبني ...	داخلي داخلي	167 168
	ــ ... حين حدثته عن رغبتك في إتمــام دراستك العالية في مصر ، رحب بــذلك ... ــ فشعرت لها بمذاق غريــب ... أشــبه		

	بنكهة قهوة رشفتها ذات يـــوم مـــن بقيـــة فنجان مسته شفتاه...		

02 ــ الاسترجاعات في رواية الحي اللاتيني :

القسم	الاسترجاع	نوعه	الصفحة
التمهيد	ــ حسبه ذلك الجمود الذي مـــلأ حياتـــه بالروتين ، و غشى فكره بغشاوة ما يني الغبار يتكاثف عليها ، فتفعم برائحتهـــا ، فيضيق بنفسه وبالناس ...	خارجي	05
القـــسم الأول	ــ أنت على يقين من أن هذه الـــسنوات الأخيرة كانت في حياتك إخفاقا ذريعاً ..	خارجي	10
	ــ ... لقد كنت تعرف رصانة "كامـــل" في بيروت ، وتذكر حرصه الشديد على " زهير" عليه هذا الحزن الدائم الـــذي كان يطبع حياته ، و" أسعد" ألـــم تـــسمع هذه الضحكات المجلجلـــة التـــي كـــان يرسلها ، وهو الذي كانت الصرامة دأبه	خارجي	17

	في حياته العملية يوم كـــان لـــه مكتـــب مقاولات في العاصمة ؟		
	ــ أقدم لكم صديقي اللبناني الذي كنـــت أحدثكم عنه منذ لحظات ...	داخلي	18
	ــ حين غادر فندقه ليلة أمس ، متجهـــاً إلى سينما "البانتيون " في الحي اللاتيني ...	داخلي خارجي	25 27
	ــ ألم يكن على شفا السقوط في امتحان " الباكلوريا" إذ لم ينل إلا علامتين مـــن مجموع عشرين في مسابقة الحـــساب ؟ ولو لم يكن أستاذ الشفهي لهـــذه المـــادة صديقاً لابن عمه ...	داخلي	32
	ــ ... بينما كانت تطيف بجفنيه عينـــان زرقاوان باســـمتان ، وتـــداعب ســـمعه همسة شفتين تشرقان بعذوبة كلمة " وي " ...	داخلي	37
	ــ لماذا أعطته يدها في السينما ، ولماذا		

	تركته يلامس ساقها ، ولماذا أخذت منه		
37	البطاقة ، بل لماذا وعدته أن تأتي مـــن	خارجي	
42	غير أن يطلب إليها أن تعده بذلك ...	خارجي	
	ــ سلخ كثيراً من أيامـــه فـــي الكبـــت		
44	والحرمان	خارجي	
	ــ أين هو الآن من ذلك العالم الصغير		
	الذي كان يعيش فيه مع أمه وأخوته ...		
	ــ ... سامي الذي كـــان يقـــضي معـــه		
54	ساعات طويلة في أحد مقاهي " الروشة"	داخلي	
	يتغنى كل منهما بـــشعره وينتقـــد شـــعر		
58	الآخرين ...	داخلي	
	ــ .. الواقع أن سامي قد ساهرني طويلاً		
59	ليلة أمس ..	داخلي	
	ــ ... لقد أنشدتني إياها على أنها مـــن		
	شعرها...		
71	ــ .. لابد أنها هـــي انتهـــزت فرصـــة	داخلي	
	خروجه من الغرفة لقضاء إحدى حاجاته		

	فسلبت محفظة ماله ، ثم أعادتها...		
	ــ ...أو خيل إليهما أنهما أصاباها في الأسابيع الأولى من وصولهما إلى باريس...	داخلي خارجي	72 72
	ــ ولم يتردد في أن يروي لصديقه قصته مع "مرغريت " ...		
	ــ ما أشد حاجته إلى أن يجلس إلى إخوته ، فيستمع إلى أخيه الأكبر يسخر بمشاريعه الخيالية ، ويحدث أخته ويسألها رأيها في آخر قصيدة له ...	خارجي	73
	ــ ... هاتيك الفتيات من القريبات وغير قريباته ، أولئك اللواتي عمرن خياله وأحلامه ؟ ألست ترى الحرمان الذي عشته منهن فيه خيرا من هذا العطاء الذي تعيشه في باريس ...	داخلي خارجي	81 86
	ــ كانت تعرف أنه يحب هذا النغم ...		
	ــ إنني أقدم منك عهداً هنا في باريس ،	داخلي	89

	فأنا هنا منذ عام 1947 ، وقد أتيح لـــي أن أشاهد الكثير من المظاهر المؤذية ... ــ وهبط إلى باحة الفنـــدق بـــاكراً فـــي صباح اليوم التالي ...	داخلي	94
	ــ أن أفيق باكراً صباح اليوم فأهبط إلى باحة الفندق فـــي ســـبيل انتظـــارك وأن تمري بعد ساعة من هذا الانتظار ، فلا تلقي بالا إلى هذا الذي يترقب ظهـــورك بعد أن قضى ليلة أرقته فيها بسمة تقطر عذوبة .	خارجي	97
	ــ ثم روت له أنه قرأت بعض ما كتبـــه أدباء فرنسيون زاروا الشرق كلامارتين وغوتيه وفلوبير ، وأضافت أن ما كتبـــه فلوبير خاصة أثار حنينهـــا يومـــاً إلـــى زيارة الشرق ...	خارجي	100
	ــ ... وذكر غرفته في الوطن ، هكـــذا كان هناك يسمع نقر المطـــر ، فيـــشعر		

	بنشوة دافئة أين منهـــا هـــذا الإحـــساس المقرور ، ما كان له هنـــاك أن يحـــس بالبرد ولو ظلت الثلوج تتساقط أيامـــا ، كانت هناك أمه وإخوته و ناهدة تلك التي رآها منذ يومين ...	داخلي	100
	ــ ... وذكر أنه فكر بها طـــوال ليلـــة البارحة...	داخلي	100
	ــ فخيل إليه أنها أمه بوجهها الـــصغير الحبيب ، وذقنها المستدير وشعرها الذي وخطه الشيب ...		
القـــسم الثاني	ــ إنك أنت أنت الصورة التـــي تبحـــث عنها روحي منذ زمن بعيد ...	خارجي	107
	ــ ليلتين متـــواليتن ، فـــوجيء وهـــو يحدث نفسه بمثل هذا الحديث ...	داخلي	107
	ــ وقد ذكر في المرتين كلتيهمـــا ذلـــك الحدث الغر الذي كانه يـــوم كـــان فـــي الرابعة عشر ، فوقع في حب تلك الفتاة	خارجي	107

	، لقد كان يبتهل إلى الله فـــي صـــلاته ، وكان يومذاك يصلي أن يحفظ له حبيبته تلك ...	خارجي	108
	ــ أشفقة وعطفاً على تلك الفتـــاة التـــي حطمتها مأساتها العاطفية ، ففرت مـــن قريتها وكانت تفر من الموت ...	داخلي	108
	ــ وتمثلها أمامه مرة أخـــرى ... وإنـــه ليعجز عن استعادتها إذا مـــا حـــاول أن يتذوقها مرة أخرى في وحدته ...	داخلي	109
	ــ ... وقد وجد الدلالة الأولى على ذلك حين سألها عما إذا كانت لا تزال تبحث عن غرفة لدى أسرة ، فأومأت برأســـها نفياً...	خارجي	114
	ــ ... وذلك الرجل كـــان إلـــى ذلـــك خطيبها ، رفيق حياتها في المستقبل ...	خارجي	118
	ــ أما كان يعيش في جو خانق ؟ أكـــان يستطيع أن يخفي على ذويه وعلى أمه		

	خاصة أي سر صغير ؟ ألم تكن حياتـــه نهباً مشاعاً لهم ؟ كان بوسعه أن يـــشعر بالاستقلال في حياتـــه وبالحريـــة فـــي مسلكه...	داخلي	119
	ــ رأيتك مرة وأنا في نافذة غرفتي فـــي البانتيون خارجاً برفقة فتاة شقراء الشعر ، فقلت في نفسي...	داخلي	122
	ــ إن هذه السنوات الثلاث التي قضيتها هنا قد علمتني من شؤون الوجود ما لـــم تعلمني إياه كتب الأدب والفلسفة ...	داخلي	123
	ــ لقد كانت كذلك يـــوم وصـــلت إلـــى باريس...	داخلي	126
	ــ وكان قد اجتازها مرة من أدناها إلى أقصاها ...	داخلي	127
	ــ لقيه ذات يوم في الطريق ودعاه إلـــى زيارته في "البيت اللبناني" ...	داخلي	132
	ــ ... لقد خسر بالأمس فلـــم يتـــآكلني		

	الغيظ ، كما يخيل إلي أنه يتآكلهم ، أترى نصري وجورج قد عانيا أمس ، إذ ربحا ، مثل هذا الشعور ؟	داخلي	133
	ــ ... إن نفسها لتقطر أسى مما لقيتــه من زوج خالتها أمس ... وهاهي تــؤثر أن تعود إلى باريس حيث اكتشفت فــي زوج خالتها ، وخالتها بالذات عــدوين جديدين ، لقد أدركت يوم ذاك فقط ســر إلحاح خالتها على استضافتها ...	داخلي	134
	ــ ... ثم روت ، وهي تنشج ما أصابته من سوء لدى تلك الخالة التــي كانــت تحسب أنها تعطف عليها وترثي لمأساتها ...	خارجي	139
	ــ ... هذا الحب الذي لم يعرف منــه إلا أحد شطريه ...	داخلي	140
	ــ وذكرته أن فرصة الميلاد قد انتهــت منذ يومين ، وأنه قد فاتها حضور بعض		

	الدروس الهامة في معهد الصحافة ، فذكر هو بدوره أنه انقطع عن ارتياد المكتبات ،وترك موضوع رسالت في سبات ...	داخلي	140
	ــ ... أتذكر ليلة السوربريز بارتي ؟ إلى أين هربت يا أخي ؟ فضحك وهو يذكر تلك الليلة الأولى التي بلغ فيها شعوره بالوحدة أبلغ ذروته ...	داخلي	148
	ــ ... وقد تلقيت أمس رسالة من أهلي يؤكدون لي فيها مرة أخرى أن مرسوم القسط الثاني من المنحة التي أقرتها وزارة المعرف قد أحيل على وزارة المالية لتوقيعه وتحويل المال ...	داخلي	148
	ــ ... لقد سألتها أكثر من مرة ، فكانت تجيب أنك لطيف جدا ...	داخلي	149
	ــ ...قبل ظهر أمس سمعتها تتحدث إلى صاحب الفندق ، فتسأله عن غرفة في		

	الطابق السادس لرغبتها في الانتقال من الطابق الأول ...	داخلي	149
	ــ ... وذكر حديثها إليه يوماً من أنها حين غادرت ذويها ، حملت معها كل ما ادخرته في القرية من مال لتستعين به على العيش واستكمال أسباب دراستها في باريس ...	داخلي	153
	ــ لقد حاول مرات أن يثنيها عن مطالعة دروس الصحافة، إذا عادت مساءً من عملها ...	خارجي	156
	ــ لكن ذلك الماضي الذي تعرفه ، ماضيٌ المتخن، هو الذي يخلق لي المستقبل ...	خارجي	158
	ــ ... ألم تطلعك على سر ماضيها ، وتنفض إليك ذات نفسها بثقة و إخلاص ، وقد صدقتها حين روت لك أنها كانت عظيمة الحب والإخلاص لخطيبها هنري		

	، لكنها نجحت في أن تخنق هذا الحب يوم رأته يخونها قبل الزواج بأسبوع ، ألم يندم هنري ويستغفرها ويجث على قدميها مبتهلاً أن تسترجع حبها إياه ، وثقتها به...	داخلي	159
	ــ ثم إنها لم تتردد أن تعترف أمامك بأنها قد سلمت جسدها لخطيبها في ساعة من ساعات الضعف البشري...	داخلي	159
	ــ ...أتنسى أخيراً حاولت كثيراً أن تهرب منك يوم تعارفتما ، وتبتعد عنك ...	داخلي	161
	ــ إذ حملت إليه نبأ حول ذووه أسابيع أن يخفوه عنه ، ولم تجد أمه بداً من كشفه ، ذلك أنه ظلت أياماً طويلة بعد تلك العملية ، وأصابع المرض تنوشها بالحمى ، لقد التهب الجرح الذي شق بطنها فراحت تعاني منه ألواناً من الآلام	داخلي	161

	أرمـــضت قواهـــا وأوهنـــت عزيمتهـــا فشعرت أنها تشيخ في أسابيع ...		
	ــ وقد لاحظت أن هذه الرسائل الأخيرة التي وردته قد كتبها إخوته ، وكانت أمه نكتفي بتسجيل بضعة أسطر في طـــرف بعض الرسائل ...	داخلي خارجي	161 170
	ــ لقد كان إخوتك يا ولدي يصرّون على أن أحمل رسائلهم إليك عبـــارة واحـــدة تخطها يدي ...	داخلي	173
	ــ ...لقد كنا نتوقع ذلـــك منـــذ حـــدث الانقلاب الأول ...		
	ــ ... بل هو فاجأ نفسه يروي لجـــانين مغامرة الليلة الماضية فـــي " مهرجـــان باريس " ذكر لها دون أن يتلعثم أنه بادل فتاة سمراء ، علم فيما بعد أنها اسبانية ، نظراتها الحادة ساعة كانت مقربة منه ، على العشب الممتد في الـــساحة تجـــاه	داخلي	183

	المسرح المكشوف ... ــ حاولت عبثاً أن أنام بعد أن غادرتني قبيل الفجر		
القسم الثالث	ــ لقد سبق أن راقصتها ، ناهدة ، ومس جسمي جسمها في رقصتها الأخيرة ، منذ أقل من عام ...	خارجي	198
	ــ ... مرتين أوثلاثاً في رسائلك سألت عني سؤالا صغيراً ...	داخلي	198
	ــ أعطيتها أمس مئتي فرنك فعلقت قائلة ، لقد أصابك ذلك العربي بعدوى الكرم ...	داخلي	201
	ــ تناولت العشاء أمس في " لوي لوغران " وقد رحب بي الأصدقاء وأظهروا لي لطفاً نبيلا ن وروى لي صبحي ما قالوه لك بينما كنت أنت بانتظاري ليلة سفرك بالقطار إلى مارسيليا ...	داخلي	203

	ــ أمس الأول لم أعد إلى الفندق طــوال النهار،وقد بت ليلتي في فندق آخر...	داخلي	205
	ــ أصحيح ما تقوله أنك بــدأت تــشعر بالضيق في وطنك ، ولما يمضي علــى وصولك إليه أكثر من أسبوع...	داخلي	205
	ــ لقد شعرت أنا نفسي بمثل هذه الغربة يوم تركت الألزاس ، فظللت أسابيع قلقة ، ثم استقر بي المقام ، ولا بــد أن مــا كنت تنويه من مراجعة مصادر بحثــك وانكبابك على كتبك	داخلي	206
	ــ سمعت أمس نبأ آلمني فــي " لــوي لوغران " فقد أخبرني عدنان أن الشرطة قد قبضت على ربيع ، وأوسعته ضــرباً في المظاهرة التي قام بها طلاب إفريقيا الشمالية احتجاجاً على سياسة التعــسف التي تخضع لها أوطانهم ...	داخلي	207
	ــ لقد سألني فؤاد عنك أكثر من مــرة ،	داخلي	213

	ولعله عاتب عليك أنك لم تكتب إليه...	داخلي	215
	ــ لقد قصدت الطبيب أمس ...		
	ــ يوم حدثتك جانين عن الغــد! ولكــن أتنسى أنها لم تذكر الغد إلا وقد ذكــرت الماضي ؟ ... لقد كانت مخطوبة ، وقد سلمت جسدها إلى خطيبها إنها إذن لــم تكن بكرا حين عرفتها ... ثم ماذا ؟ إنها غادرت قريتها مطرودة ليس من الخطأ		
	إذن ، يقال إنها فتاة ، عفواً ، امــرأة لا أهل لها...	داخلي	216
	ــ تلقيت رسالتك الأخيرة التي تبلغنــي فيها أنك تنتظرين مولوداً...	داخلي	225
	ــ قد وقفت أمس على تفاصــيل واقعــة زرعت في نفسي العذاب والاضطراب، مررنا فرانسواز وأنا،منذ حوالي أسبوع		
	بفندق" ليغرام زوم "بقصد زيارة جــانين	داخلي	226
	فلم نجدها،وكانت قد مضت أيام لم نلتق	داخلي	231

	بها		
	ــ ... وأمس زرت جانين للمرة الثانية ...		
	ــ ... وأضاف عدنان أن صبحي لم يفز بالشهادة التي قدم فيها امتحاناً بدورة حزيران ، خلافاً لعدنان الذي نال تهنئة الممتحنين ، وكذلك أحمد فقد نجح في امتحان السنة الخامسة بكلية الطب	داخلي	231
	ــ ... لقد قدمت في معهد اللغات الشرقية شهادتين من شهادات الليسانس ، فنجحت في شهادة الترجمة وسقطت في شهادة فقه اللغة ...	داخلي	233
	ــ أتذكر يا فؤاد ما قلته لي أنت بنفسك ، منذ أشهر طويلة ...	داخلي	235
	ــ ... منذ يومين لم أعثر على أثر لجانين .	داخلي	235
	ــ ... فقد ظل أياما ينتظرها في غرفته،	داخلي	238

	في غرفتها،ولقد عايشها ليـــالي طويلـــة أرق فيها حتى انهدت قـــواه ، وذهبـــت شهوته للطعام ، وانصرف عن كتبه ...		
	ــ إن بودي أن أتكلم إلى إخـــواني منـــذ بدأت هذه المحاضرة ، ولكني شغلت في الأسابيع الثلاثة الأخيرة بالعمل الصحفي في مجلة جديدة ...	داخلي	240
	ــ ... أنه تلقى ظهر أمس برقيـــة مـــن أهله تنعي أباه وتطلب حـــضوره علـــى الفور ...	داخلي	243
	ــ ... وذكر عودته منذ عام وما أطوله من عام ...	خارجي	236
	ــ وأخبره صديقه أنه رأى ن في هـــذين الأسبوعين جانين مونترو ثلاث مـــرات ...	داخلي	248
	ــ ليست هذه المرة الأولى التي يـــدخل فيها هذا الكهف ، دعاه مرة قريـــب لـــه		249

	زار باريس إلى قضاء سهرة فيه ...		
	ــ إنني للمرة الأولى لم أرها قبل الحادية عشرة ، كانت ترقص كهــذه ، وتهــزج ضاحكة ، وفي المرة الثانية لــم أرهــا داخلة ، فقد كان الكهف غاصاً ، ولكني رأيتها خارجة حوالي منتــصف الليــل برفقة شاب طويل لعله من أهالي الشمال ، ثم مضت أربعة أو خمسة أيام لم أرها فيها ...	داخلي	250 253 260
	ــ ... وذكر ما قالته له ليلــة ، وهمــا يرقصان في قاعة السربون ، حين شــاء أن يعبر عن سعادته بها ...	داخلي	260
	ــ(رسائل ومذكرات جانين إلى ســامي تتضمن عدة مشاهد مسترجعة ...)	داخلي	260
	ــ ... ومع ذلك، فكم كنت أتحرق شوقاً بأن أناديك ب " خطيبــي " أو "زوجــي" بدلاً من حبيبي ، والواقع أن ذلك كــان		

	ميسوراً إلى لحظة قصيرة خلت، أعني قبل أن أتناول القلم ... ــ أنا الآن على يقين من أن اجتماعنا بالأمس في غرفتي المسكينة يفرض عليَ فرضاَ أن أرد فكرة الاقتران به ، لقد اجتمعت أمس بإنسان لا أعرفه ، بشاب أنكرته، وكأنني ما لقيته من قبل قط، كان هذا شعوري بعد أن تركتني يا حبيبي... ــ ... لكن يخيل إليَ أن الجذوة التي كانت تطل من ناظريك هي أشد التهاباً وإشعاعاً من جذوة فؤاد ، تلك التي حدثتني عنها مرة في معرض الإعجاب ...	داخلي	262
الخاتمة	ــ ... وفي تلك اللحظة طافت بمخيلته حياته الباريسية كلها في الحي اللاتيني ..	داخلي	263

03 ــ الاسترجاعات في رواية اصابعنا التي تحترق :

القسم	الاسترجاع	نوعه	الصفحة
الأول	ــ ... تناقشت اليوم طوال ساعة حول منهج الفكر الحر مع الشاعر " هاني الغريب "...	داخلي	11
	ــ ... ولا أدري لماذا أحسست بالضيق بعد أن ترجلنا من السيارة وافترقنا ...	داخلي	12
	ــ وينظر إلى وحيد ، وهو يحس أنها نظرة الإعجاب نفسها التي وجهها إليه منذ أكثر من ستة أعوام ، في لقاءهما الأول في القاهرة آنذاك ...	خارجي	18
	ــ ... وذكر في التماع خاطف أن أسابيع طويلة كانت قد باعدت اللقاء بينه وبين وحيد ، وأنه تردد عليه في الفترة الأخيرة مرات عديدة ، ونادراً ما وجده في مكتبه فأي شأن كان يستغرقه ؟	خارجي	21
	ــ ... فوثب إلى ذاكرته رقم آخر مماثل مرتبط بعهد إقامة وحيد في اليابان ، إنها	خارجي	23

	ذكرى مخطوطة أرسلها لـــه صـــديقه منـــذ سنوات ...		
	ــ يذكرها في تلـــك القـــصة التـــي ضـــمتها مجموعة وحيد التي كُلف هو نفسه بإخراجها، قصة " لفحة لهب " ...	خارجي	23
	ــ ... وابتسم لنفسه حين ذكر تلك الرســـالة الأخرى التي كانت قد جاءته منذ أشهر ، لقد وردت فيها عبارة " سلة المهملات " هذه لكن بغير هذه اللهجة " كان يقول كاتبها ما معناه : إياك أن تلقي بها إلى سلة المهمـــلات ! فـــإذا فعلت فسوف اتهمك في ذوقك الأدبي ...	خارجي	26
	ــ إن الفكر الحر كانت في أعـــدادها الـــستة الماضية ، كانت جافة باهتة ؟ ...	خارجي	29
	ــ أم إنها الصداقة القديمة التي توثق صـــلته بعصام منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ...	خارجي	29
	ــ ... أم لعلها تفضل هـــدوء تلـــك الغرفـــة الصغيرة التي حدثته عنها في رسالتها الأولى	داخلي	31

	...		
	ــ إنه لم يحاول أن ينكر مــا تركتــه تلــك الرسالة الأولى في نفسه ، لقد حدثته فيها عن ساعات طويلة قضتها وهي تقرأ أقاصيــصه السابقة وروايته " على ضــفاف الــسين " ، وكان حديثها إعجاب وثناء...	داخلي	31
	ــ هذه هي الصورة التي طلبتها منهــا فــي رسالتك الأخيرة ! كنت قد بدأت تكابد التململ من أن هذه التي أصبحت صديقة حميمة لك عبر الحروف والورق ، تغيب عنــك كائنــا بشرياً ذا وجه وشعر وفم ...	داخلي	31
	ــ كثيراً ما كنت أجلس إلى النافــذة ، وقــد أطفأت مصباحي ، وكنت أتوقع بــين لحظــة ولحظة أن ينبع من جوف الليل فارس يحملني ويطير بي...	خارجي داخلي	40 46
	ــ وفجأة قفزت إلى ذهنــه عبــارة أخــرى لكريم...		

	ــ منذ أصدرت الفكر الحر وهم ينهشونك في مجلاتهم وصحفهم ، في محاضراتهم واجتماعاتهم ، في أحاديثهم الخاصة...	خارجي	46
	ــ ... ذلك الإجماع الذي انعقد لديهم على مهاجمة روايتي ، ففي فترة أسبوعين ، شنى الهجوم من بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة ، لأنَ إشارة واحدة قد انطلقت من قيادة معينة...	خارجي	47
	ــ ...أليس موقف صديقه هذا متأثر أشد التأثر بالخلاف الذي وقع بينه وبين الأرجوانيين منذ أعوام لقد كان كريم من أشد أنصارهم حماة ، بل لقد قيل إنه انتمى فعلاً إلى حزبهم	خارجي	48
	ــ ... بل لقد حدثته يوماً بأن أكبر مصيبة تلحق بالإنسان أن يستسلم للرتابة وينساق لليومي ...	خارجي	60
	ــ ... صحيح أنني لن أنغمر في تلك الأمواج	داخلي	62
		خارجي	62
		خارجي	71

	كما انغمرت هناك ...	داخلي	89
	ــ ...إن فكرة الزواج لم تراودنـــي قبـــل أن ألقاها ولكن حين أعطتني شفتيها فـــي غابـــة قرنايل...	داخلي	90
	ــ(مجموعة رسائل لعزيـــز يـــسترجع فيهـــا ذكريات أليمة ...)	داخلي	90
	ــ سبق لي أن تعرفت على الآنسة ...		
	ــ ... لقد استولى حـــسان علـــى الروايـــة ، فقرأها قبلي!	داخلي	90
	ــ ... لكني حين قرأت الـــصفحات الثلاثـــة الأولى ، رأيتنـــي مـــشدودة كمـــا لـــو أنهـــا ممغنطة...	داخلي	93
	ــ ... وذكر الرعشة التي سرت في جـــسمه حين اتصل به الشاعر هاني الغريب ودعـــاه لتناول الغداء في مقهى " رأس العـــين " فـــي بعلبك ...	داخلي	93
	ــ ... إنها إذن مصممة حقاً على تنفيـــذ مـــا	خارجي	89

	قالته في رسالتها ...		
	ــ استرجاع زيارة سميحة صادق إلى الجمعية الأدبية في خمسة أيام ...	خارجي	103
	ــ ... لقد سبق له أن تحدث بإعجاب عن الفلسفة الأرجوانية ،و تحدث باللهجة نفسها ...	خارجي	104
	ــ أليست هذه بعد كل حساب ، هي الحياة التي كنت تصبو إليها ، والتي ضحيت من أجل تحقيقها بالمركز الصحفي الذي بلغته قبل أن تقرر السفر إل باريس لتعود طالباً على مقعد الدرس ...	داخلي	106
	ــ من أجل هذا ، فكرت وأنت بعيد في باريس ، بأن تنشئ " الفكر الحر " ...	خارجي	109
	ــ ألا تذكر رسالة أولئك القراء العراقيين الذين كتبوا لك أنهم يزدادون حباً وتقديراً للمجلة كلما تكرر منعها ...	خارجي	120
	ــ ... وسارعت توضح أنها حدثت أخاها	داخلي	109

	حسان فلم يجد أي مانع ، ولكنه أمل ألاَ يكون التعويض مرتفعاً ...	خارجي	120
	ــ ... لقد قرأت الرواية في سهرتين ... وأرقت في الليلتين ...	خارجي	121
	ــ في العام الماضي كنت ملتحقة بمدرسة "البروتستانت " فلم أحب بيروت ... ــ ... كنت وأنا صغيرة أحب المطر كثيراً ، أذكر أني كنت أخرج إلى شرفة بيتنا في بعلبك ، وهي شرفة لا سقف لها ، وأقف تحت المطر دقائق ودقائق حتى تفتقدني أمي فتدخلني ولا توفرني من عدة صفعات ...	خارجي	121
	ــ لقد ألقوني ، وأنا ما أزال طفلاً ، في مرحلة لا يدخلها إلا الشباب ...	داخلي	124
	ــ كنت أقضي الساعات والساعات ،وأنا جالسة خلف النافذة أتأمل الثلوج تتراكم في السهول حول بيتنا ... كنت كثيراً ما ألح على أخي حسان أن نخرج لنخوض في الثلج دون	خارجي داخلي	125 128

	ما غاية ، وعلى غير هدى ... لعلك تضحك إذا عرفت أني كنت أحب أيضاً أن آكل الثلج ...	داخلي	131
	ــ في العام الماضي كرهــت بيــروت ، إن أرضها تكاد لا تعرف الثلج ...	داخلي	133
	ــ ألا تذكر أنك تخليت عنها منــذ أســلمتك للمرة الأولى شفتيها...	داخلي	137
	ــ (رسائل عزيز وسميحة صــادق تتــضمن العديد من شواهد الاسترجاع)		
	ــ منذ رأيتك المرة الأولــى فــي بيــروت ، شعرت بأني أصبحت ملكاً لك ...		
	ــ وروى لها كيف كان كل مساء ينتظرها في المكتب ، حتى إذا تجاوزت الساعة السابعة ، قصد إلى الأكاديمية وسأل عنها السكرتيرة		
	ــ إنني لا أدري ، ما الذي أسميه ما أشعر به منذ اللقاء الأول ، فأنا أحس أن شيئاً يتــرنح في أعماقي ويبدل مجرى حياتي ...		

	ــ ... لقد سبق أن جفف عني المطر ...		
الثاني	ــ ثم روى لي نشأته الدينية في عهد حداثته، ففهمت ما قاله لي منذ حين يوم ذكر أنه لم يعرف عهد الطفولة ...	خارجي	144
	ــ لقد نشأت أنت نشأة دينية ، أما أنا فقد ربيت في كنف الراهبات ...	خارجي	142
	ــ إنني منذ زمن طويل أنتظرك يا إلهام ...	خارجي	146
	ــ ... وتذكرت كيف جاءتني في الليلة السابقة ، وأن أوشك أن أستسلم للنوم،فجلست على حافة سريري ، وأخذت تتحدث إليَ بهدوء محاولة أن تقنعني بان أتريث ...	داخلي	147
	ــ ... ولا أدري كيف وجدتني في تلك الليلة أرتمي بين ذراعي أختي نهى وأبلغها أني اقتنعت بما تقوله ، وعدلت عن قبول الارتباط بسامي ...	داخلي	147
	ــ وحين نهضت في الصباح الباكر ، واستعدت ما جرى بيني وبين من حديث ...	داخلي	140

	ــ ... ولكن ما لبثت أن تهاوت حين ذكــرت أن أربعة شبان قد تقدموا طالبين يدها ، فلــم يعجبها أحد منهم ...	خارجي	148
	ــ لقد وعدتني في الليل أن تعدل عن الخطبة ...!	داخلي	149
	ــ الواقع إنه مدين لك بالشكر يا هاني ، هذه المرة ومرة أولى هي التي كانت الدافع الــذي حدا بإلهام لزيارة " الفكر الحر " ...	داخلي	150
	ــ وقد آثرت أولا أن أجلس على الأريكة التي كنت قد عقدت معها صداقة حميمية ...	داخلي	152
	ــ ألم تقرر أن تؤجل الزواج عامين ...	داخلي	153
	ــ ألم يكن الراتب الذي عرضته تلك الشركة المؤسسة أشد إغراءً ...	داخلي	156
	ــ ... إني كنت أحس ، طوال الوقت الــذي قضيته في مكتب تلك المنظمة أني أوشــك أن ألطخ نقاوة فكري ...	داخلي	157
	ــ ...وذكرت فجأة في تلك اللحظة أن ذلــك	داخلي	158

	المبلغ من المال الذي أخذنا نحلم بتقاضيه كل شهر قد تلاشى ...		
	ــ قد لاحظت اليوم في أثناء الاستراحة ، أن في رؤوسهم كثيراً من المعلومات الخاطئة أو المظللة بالنسبة لقضايانا إجمالاً	داخلي	159
	ــ ... ثم روى سامي لصديقه كريم قصة مؤسسة الثقافة ...	داخلي	160
	ــ خطفت ذاكرتي صورة وجهه ، يوم تعرفنا عليه في بعلبك ، ثم توالت على ذهني قصائده التي قرأتها في الفكر الحر ...	داخلي	162
	ــ ...وأنا أفكر ثانية برسالة عصام ، ولكني لم أفكر بمضمونها قدر تفكيري بورقها الأزرق الأنيق ، وخطها الدقيق ، وما كان ينبعث منها من حيوية ، وسرعان ما انتقل ذهني إلى ذلك اللقاء السريع الذي تم بيننا بحضور سامي وأخي حسان في " رأس العين"	داخلي	168
		داخلي	172

	ــ وروى لي سامي بعد ذلك ما حدثه به عبد القادر رحماني عن سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ...	داخلي	177
	ــ ...بلى لقد قرأت بعض قصصها في الفكر الحر	داخلي	178
	ــ منذ لقائنا الأول ، أوحيت لي ببعض الخوف منك يا سامي ...	داخلي	180
	ــ ... وقد كتبت لها غير مرة ، أعبر لها عن هذا الإعجاب ...	خارجي	180
	ــ ... إني كلفت يوماً يوماً بدعوتها إلى إلقاء محاضرة في بيروت فأحطتها بالعناية ...	داخلي	183
	ــ ... لا أنسى الليالي الثلاث التي لازمك الأرق فيها كأنه صديق حميم لك ، ولا أنسى الخوف الذي كان يسكن عينيك طوال تلك الأيام التي قضيتها وأنت تفاوض شريكيك في أمر شراء حصتهما من المجلة ...	داخلي	184
	ــ ... وحين أبلغتني بعد يومين ، واليأس في		

	صوتك ونظراتك ، أن شريكيك يطلبان ثمناً باهضاً لحصتهما في المجلة ، ثمناً يعادل أربعة أضعاف ما شاركا به من رأس المال ...	داخلي	184
	ــ أتراني أكره تلك الأريكة التي شهدت ضمتنا الأولى في مكتبك ؟...	داخلي	185
	ــ إنني ما زلت أذكر يا سامي ما قلته لي في تلك الأمسية الوادعة التي قضيناها وحدنا في مقهى " الجزيرة " بالقاهرة ، لقد سألتك يومذاك للمرة الأولى ، عما إذا كنت تحب الأولاد فكان جوابك أنهم سيكونون فرحتك الدائمة ...	داخلي	186
	ــ ... أما الموضوعان الجديدان اللذان حدثتني بهما بالأمس ...	داخلي	193
	ــ ...أخبرني سامي أنه قرأ أثناء غيابي زهاء خمسين صفحة من مخطوطة" أريد الحرية ..."	داخلي	202

	ــ إنني لن أنسى أن أشكرك لما تعلَمته على يديك من لغة قومي وبلادي ، إن العبارة التي وجهتها لي يا سيدي في لقاءنا ، كانت ذات أثر كبير في تعميق المسؤولية عندي تجاه وطني ...	داخلي	215
	ــ وكم أخفيت ألمي ودفنته بين ثنايا فراشي وفوق وسادتي ...	داخلي	219
	ــ ولكننا رددنا لك المعونة يا وحيد ...	خارجي	228
	ــ (رسالة سميحة صادق لسامي فيها استرجاعات عديدة ...)	داخلي	232
	ــ (رسائل بين سامي وسميحة صادق تحمل مقاطع لاسترجاعات متعددة ...)	داخلي	236
	ــ وقفزت إلى ذهني فجأة صورة عصام ، إذ كان في عيد المجلة ينفث سيجارته وهو يرنو إليَ...	داخلي	247
	ــ وألفيتني أتذكر اللحظات القريبة السابقة التي أحسست فيها بشيء من الكراهية له ...	خارجي	247
			249

	ــ وعدت أتذكر الوعد الذي قطعته لـــه بـــأن أساعده على تمكينه من الإنتـــاج والكتابـــة ، مهما تقلب علينا من ظروف ...	داخلي	255
	ــ (رسائل سميحة صادق لـــسامي تتـــضمن الكثير من شواهد الاسترجاع ...)	خارجي	258
	ــ سدى ذهب الصيف يا إلهام ، أتذكرين كم كنت أعلق عليه من آمال ...	داخلي	258
	ــ ولكنك حين كتبتها كنت تعـــيش صـــراعاً حقيقياً بين مفاهيم وأوضاع كانت قائمة فـــي بلادك ، ومفاهيم وأوضاع عرفتها في بـــلاد الغرب ...	داخلي	261
	ــ وروى لي سامي ، حين عاد ظهر اليـــوم التالي من بكفيا ، أنه قابل في المعهد زوجـــة عبد القادر رحماني التي كانت تنتظره أثنـــاء الاستراحة ...	داخلي خارجي	263 263
	ــ ... وإنما أكتب لأروي لك مأساة صـــديقنا وحيد حقي الذي مـــات هنـــا فـــي الأســـبوع	داخلي	263

	الماضي ، وكنت عند سريره ، حين لفظ أنفاسه الأخيرة...	داخلي	272
	ــ وحين زرته في المستشفى الذي نقلوه إليه...	داخلي	276
	ــ أتذكر تلك القصة التي نشرت في مجموعة وحيد، وفيها يروي ...	داخلي	283
	ــ ولكن وحيد مات يا إلهام منذ ثمانية أعوام وأردف يقول : مات منذ تجند في حزب .		
	ــ إنه منذ سنوات يعيش معزولاً ، وقد أصبح لا يحتمل تلك العزلة ...	داخلي	284
	ــ فنظرت إليه فرأته يبتسم لي مثل تلك البسمة التي أطلقها في عيد " الفكر الحر " قبل أن يغادر " المجلة".	داخلي	287
	ــ هل تذكرين يا إلهام لقاءنا الأول في "رأس العين" منذ أكثر من عام ، لقد فكرت فيك طويلاً منذ ذلك الحين ..	داخلي	292
	ــ كتبتها ليلة عيد االفكرالحر بعد أن	داخلي	293

	غادرتكم... ـــ(مذكرات سامي خواطر واسترجاع أحداث رحلته الأخيرة للقاهرة ...) ـــ أما كفاني ما عانيت من رســـائلها ، ومـــن حضورها إلى بيـــروت ، ومـــن محاولاتهـــا المكرورة لفصلك عني ... ـــ وذكرت وعدي له ،وعدي أن أساعده دائماً		

***ـــ جدول 03 : الاحصائيات الكليّة لبنية المفارقات الزمنية في نصوص الثلاثية :**

أ ــ الاستباقات :

الرواية	الاستباقات الداخلي	الاستباق الخارجي	مجمل الاستباقات
الخندق الغميق	85	33	118
الحي اللاتيني	176	76	252
أصابعنا التي تحترق	167	64	231

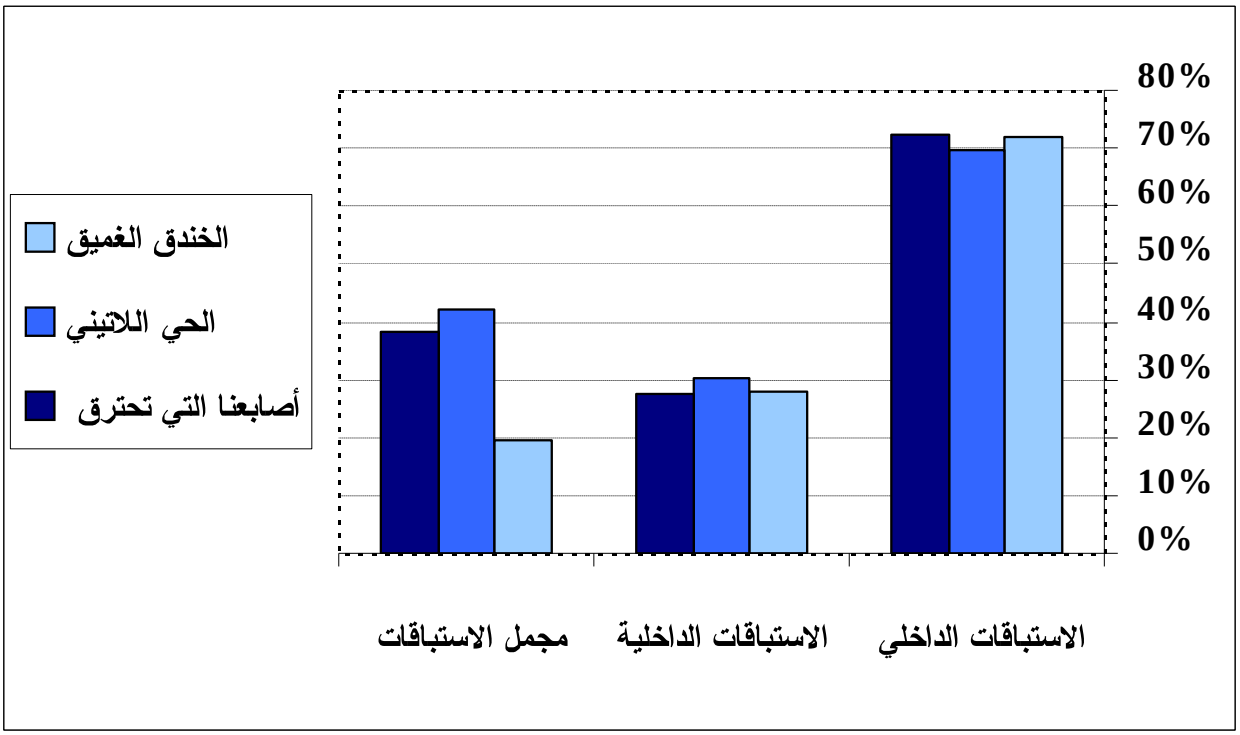

شكل01 : أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للاستباقات في نصوص الثلاثية

ب ــ الاسترجاعات :

الرواية	الاســـــــترجاعات الداخلية	الاســـــــترجاعات الخارجية	مجمل الاسترجاعات
الخندق الغميق	84	09	93
الحي اللاتيني	72	20	92
أصابعنا التي تحترق	68	33	101

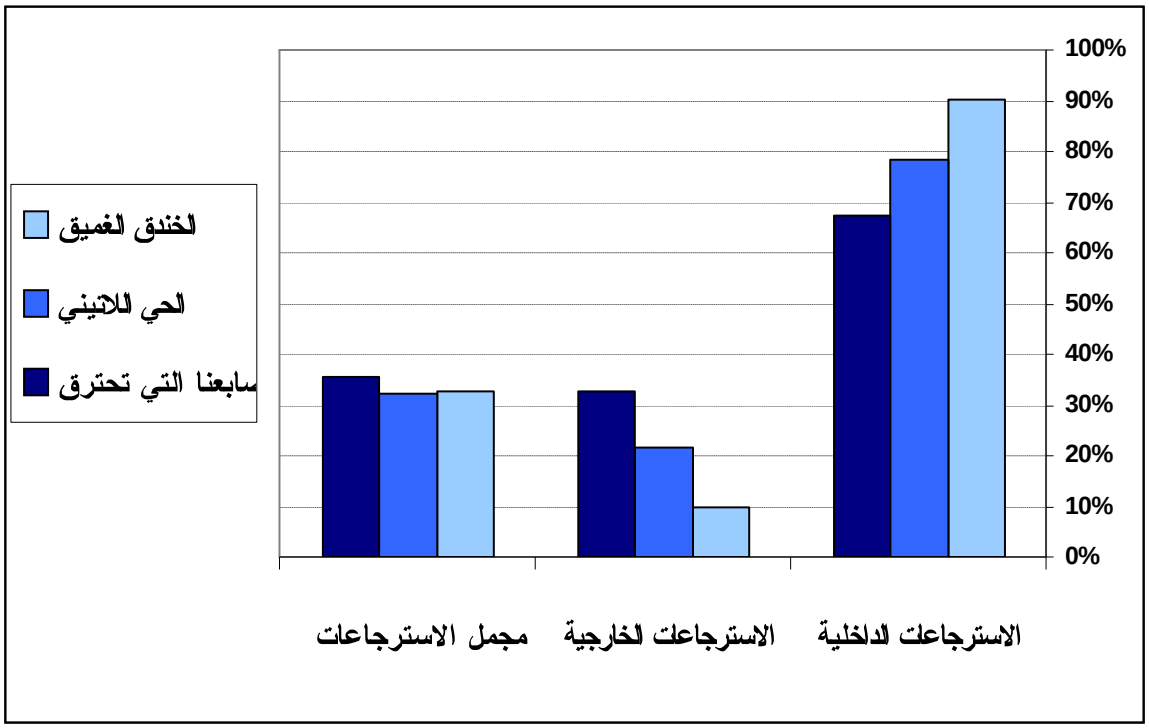

شكل 02 : أعمدة بيانية توضّح النسب المئوية للاسترجاعات في نصوص الثلاثية

***ـ جدول 04 : مقارنة بين مجموع الاستباقات الكلية والاسترجاعات الكلية في الثلاثية :**

مجموع الاستباقات بنوعيها	مجموع الاسترجاعات بنوعيها
601	286

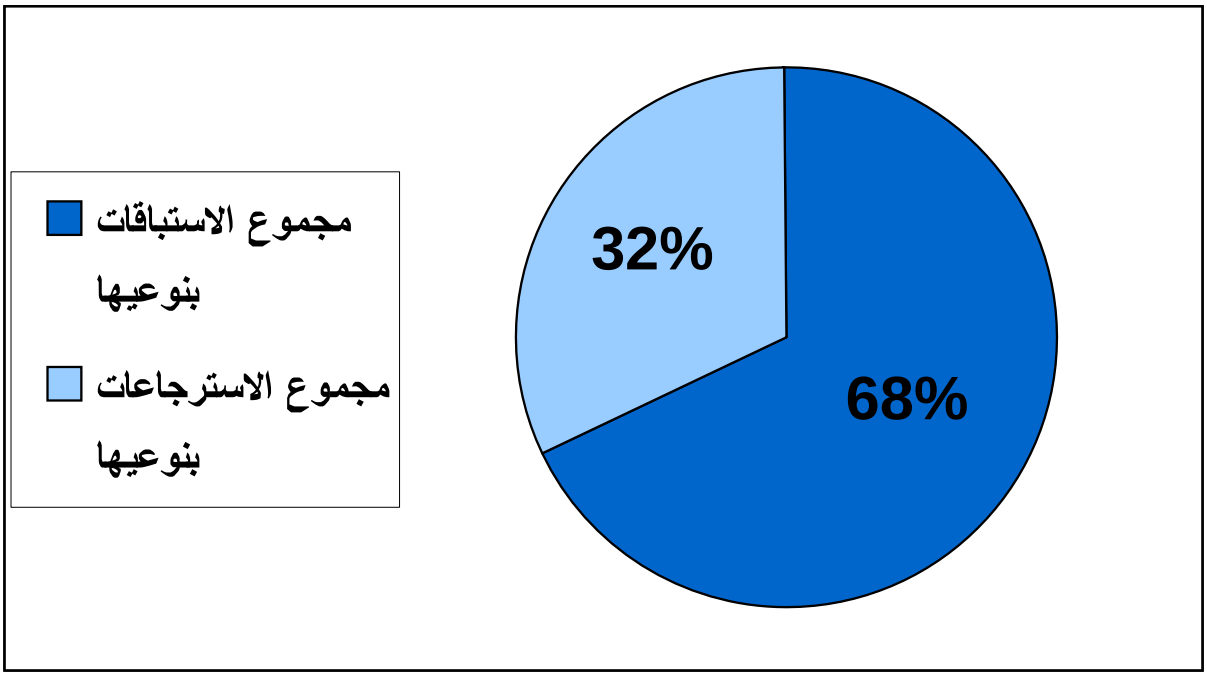

شكل 03 : دائرة توضح النسب المئوية للاستباقات مقابل الاسترجاعات فـــي نـــصوص الثلاثية

***ــ جدول 05 : رصد مجموع الاستباقات بنوعيها والاسترجاعات بنوعيها :**

عنوان الرواية	مجمـــــوع الاســـــتباقات بنوعيها	مجمـــــوع الاســـــترجاعات بنوعيها
الخندق الغميق	118	93
الحي اللاتيني	252	92
أصابعنا التي تحترق	231	101

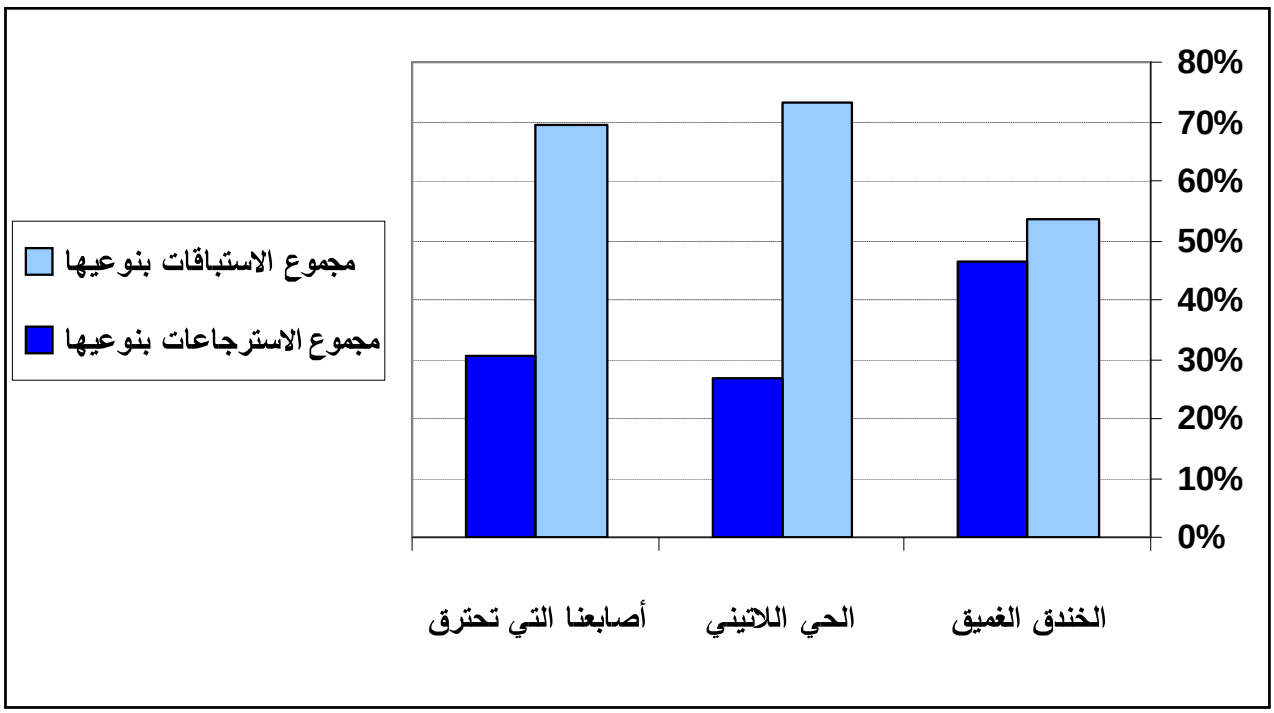

شكل 04 : نسبة الاستباقات والاسترجاعات داخل كل رواية

*** ــ نتائج وتعليقات :**

من خلال الجداول التي تمّ فيها رصد واحصاء الاستباقات بنويعيها والاسترجاعات بنوعيها، وكما توضح جداول الاحصاءات النهائية الكلية المتبعة والنسب المئوية التي حددتها الأعمدة البيانية ، يتبيّن ارتكاز الروايات الثلاثة في مفارقاتها السردية على تقنية الاستباق بالدرجة الأولى، ثمّ يأتي الاسترجاع بالدرجة الثانية ولذلك تفسيره وتعليله .

كان للاستباقات الداخلية حضور أكثر كثافة من الاستباقات الخارجية ، فالسارد على معرفة مسبقة بالأحداث وتطوّراتها قبل البدء في عملية السرد ، فالحكاية مكتملة كمخطط في وأحداث إذن ، وعملية سردها تتمّ ضمن خطّ زمني واضح الرؤيا من منظور السارد العليم الذي يستشرف ما سيحدث وما سيلحق بالأحداث وله دراية بمستقبل الشخصيات ، وعند اللجوء للاستباق الخارجي يضع السارد متلقيه في حالة ترقّب بين تحقّق الاستشراف وعدم تحقّقه ، وبذلك يصنع السارد حالة من التشويق للقارئ وتحفيز بمخيّلته فيترقّب القارئ ما سيكون في تطوّرات الأحداث وما الذي سيتحقّق داخل الدائرة الزمنية المخصّصة لسرد الحكاية .

من ناحية ثانية يلاحظ حضور أكثر للاسترجاعات الداخلية وهو أمر طبيعي، فالسّارد يميل للسيطرة على خط تطور الأحداث ، ولعلّ هذا السبب نفسه الذي جعل نسبة حضور الاستباقات أكثر من نسبة الاسترجاعات ، إذن من هنا يمكن تبرير نسبة كثافة

حضور الاسترجاعات الخارجية بالمقارنة مع الاسترجاعات الداخلية ، هو عدم ميل السّارد للخروج الكلّي عن النطاق الزمني لزمن الحكاية .

الاستباقات والاسترجاعات كتقنيتين مهمّتين في الاشتغال السردي ، لم يهملهما السارد بل استفاد منهما في صياغة الحدث وتحرّك شخصياته لا سيما أنّ لكلا التقنيتين تضمنان شدّ القارئ وجذبه لمواصلة قراءة النص ، فالاستباق باستشرافاته يجعل القارىء / المتلقي يتطلّع لما في الأفق من أحداث قادرة ومدى تحقّقها من عدمه ، أمّا الاسترجاعات فهي تقدّم للقارىء حيثيات عن ماضي الشخصيات والأمكنة قبل زمن القص ، وبهذا يكون السارد أمام مهمّة فنية أدبية ابداعية كبيرة وهي مهارة استخدام كلا التقنيتين في المكان والوقت المناسب ضمن مساحة وزمن السرد .

ثالثاً : نظام السرد / الإيقاع الزمني في نصوص الثلاثية :

وله عدة تسميات أخرى كالمدة والاستمرار والديمومة ...الخ ، لوحظ في دراسة نظام الزمن الاهتمام بالمقارنة بين ترتيب المقاطع الزمنية والمقاطع النصية، أما في دراسة نظام السرد فالإهتمام ينصب في بوتقة " دراسة العلاقات بين زمن الحكي وطول النص ، حيث أن الزمن يقاس بالثواني والسنين والطول بالجمل والصفحات ، وذلك قصد استقصاء التغيرات التي تطرأ على سرعة السرد من تعجيل وتبطيئه "[1].

[1] ــ عمر عاشور (ابن الزيبان) : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال) ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص22 .

وللتوضيح أكثر فإن نظام الزمن يقصد به المدة " ... التي تمتد من لحظة إلى لحظة أخراة معينة من أجل إنجاز عمل ، أو التعرض لعقوبة كالسجن الذي تدوم مدته زمنـــا معينـــاً ، فكأن المدة تشكل التزامن والتعاقب جميعاً "[1].

أما الباحث "عبد الحميد بورايو" فيرى أن نظام الزمن أو الديمومـــة تكـــوّن " ... علاقة امتداد الفترة الزمنية التي تشغلها الأحداث بامتداد الحيز النصي ،وهي علاقة تحـــدد بمراعاة قراءة النص بالقياس لنص الأحداث"[2] .

إن نظام السرد / أو الإيقاع الزمني من مستلزمات الكتابة الروائية ، فالرواية تسرد أحداث كثيرة في صفحات كثيرة وهذا يغير من المراوحة بين السرعة والبطء على الأقـــل من الناحية الفنية الجمالية ويتجلى ذلك في تقنيات تحفظ للنص السردي جماليته ، ويمكـــن جمعها في أربعة عناصر بارزة منقسمة بين التسريع والتبطئة :

1 / تسريع السرد :

أـــ الخلاصة Sommaire:

يطلق عليها مسميات عديدة منها : المجمل ـــ الإيجاز ـــ التلخيص ، وكلها تـــؤدي إلى معنى واحد وهو " سرد موجز يكون فيه زمن الخطاب أصغر بكثير من زمن الحكاية

[1] ـــ عبد الملك مرتاض : ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي لحكاية حمال بغداد) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 157 .

[2] ـــ عبد الحميد بورايو : منظق السرد (دراسات في القصة الجزائرية) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1994 ، ص 157 .

، وتتضمن البنى السردية تلخيصات لأحداث ووقائع جرت دون الخوض في تفاصيلها ، فتجيء في مقاطع سردية أو إشارات "[1] .

ويمكن اختصار ما تقدم في معادلة : **زن < زح** ، باعتبار **زن** هي (زمن النص) و **زح** هي (زمن النص) و **زح** هي(زمن الحكاية) .

وللتبسيط أكثر فإن الخلاصة تهتم بـ " سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات من حياة شخصية بدون تفصيل للأفعال أو الأقوال وذلك في بضع أسطر أو فقرات قليلة "[2] " وبذلك يكون الإيجاز أو المجمل أسلوباً غير مباشر ، وهو لغة أساسية في السرد القصصي ، لأنه وسيلة إلى التنقل بسرعة كلامية ، لأنه من غير المعقول أن يتساوي الكلام والحدث في صفحات القصة أو الرواية كلها "[3]

يرى جيرار جينيت أن الخلاصة " ظلت حتى نهاية القرن التاسع عشر وسيلة الانتقال الأكثر شيوعاً بين مشهد وآخر ، الخلفية التي عليها يتمايزان ، وبالتالي النسيج الذي يشكل اللحمة المثلى للحكاية الروائية ، التي إيقاعها الأساسي بتناوب التلخيص والمشهد "[4] .

---

[1] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 224 .

[2] ــ سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، ص 89 .

[3] ــ نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ج02 ، ص ص 172 ــ 173 .

[4] ــ جيرار جينيت : خطاب الحكاية ، ص 109 .

للخلاصة عدة وظائف أهمها[1] :

1 ــ المرور بطريقة سريعة على فترات زمنية طويلة وممتدة ، مع الإشارة إلى الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث ثم محاولة يد تلك الثغرات .

2 ــ تقديم شخصية جديدة ، وإضاءة جوانب من شخصيات ثانوية لم تتسع مساحة السرد للحديث عنها بشكل مفصل .

3 ــ الخلاصة تهتم بدفع عجلة السرد وتسريعه وتجاوز أحداث ثانوية وأخرى هامشية .

4 ــ تعمل الخلاصة على تحقيق التماسك والترابط النصي الذي يكون بين فترات زمنية طويلة ومتباعدة ، وهي تحفظ السرد من التفكك والتشتت .

ترتبط الخلاصة كما تقدم قوله بزمن الحكي وزمن السرد " ... فكلما ازداد تكثيف الزمن السردي لجأ الكاتب إلى التلخيص الاسترجاعي لاحداث الحكاية لتغطية حركة الشخصيات والأحداث التي لم يتسن للروائي أن يقوم بسردها ، حيث يبرز الماضي بقعاً ضوئية على سطح الحاضر، فيلجأ الراوي إلى تسريع زمن الحكاية ليتناسب إيقاعه مع سرعة زمن السرد"[2]، وتبقى المعادلة دائماُ : **زن < زح** .

---

[1] ــ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص 61 .

[2] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص ص 225 ــ 226 .

ينقسم الإيجاز إلى نوعين[1] : فهو قريب عندما يختصر أحداثا أو حوارات ، ويكون بعيدا إذا اختصر مجموعة أحداث تطول مدّتها الزمنية.

***ــ جدول 06 : رصد الخلاصة / الإيجاز في متون الثلاثية :**

01 ــ الخلاصة / الإيجاز في رواية الخندق الغميق :

الفصل	الخلاصة	نوعه	الصفحة
الأول	ــ ملخص سهرة دينية في بيت أسرة سامي	قريب	08
	ــ ملخص حضور الرجل الغني إلى الجلسات الدينية.	بعيد	09
	ــ ملخص لعب الأطفال في شارع حي الخندق الغميق .	قريب	12
	ــ ملخص حلم سامي .	قريب	17
	ــ ملخص جلسة الدرس بعد صلاة الفجر وجلسة بعد الفطور .	قريب	22
			23

[1] ــ عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال) ، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،دط ، 2010 ،ص24 .

	ــ ملخص أحداث ثلاثة أيام قضاها سامي في المعهد الديني.	قريب	41
	ــ ملخص حلقات الدرس في المعهد الديني	قريب	56
	ــ خلاصة الممارسات الجنسية الشاذة لأحد الطلاب في المعهد.	قريب	69
	ــ سامي يلخص قصة " مولن الكبير" لسميا	قريب	87
	ــ ملخص قلق الناس من الحرب العالمية الأولى		
الثاني	ــ ملخص المقابلة الإذاعية مع سامي	قريب	116
	ــ ملخص لصورة فوزي وهو سكران ويهذي	قريب	142

02 ــ الخلاصة / الإيجاز في رواية الحي اللاتيني :

القسم	الخلاصة	نوعه	الصفحة
تمهيد	ــ ملخص مراسيم وداع الشخصية	قريب	05

	المحوريـــة لوطنـــه متوجّهـــا لبـــاريس والحديث عن آفاقه المستقبلية .		
الأول	ــ ملخص هدف الشخصية المحورية من المجيء إلى باريس ، ومقارنـــة ســـريعة بين الشرق والغرب .	قريب	35
	ــ ملخص لقـــاء الشخـــصية المحوريـــة بإحدى فتيات الشوارع الباريسيات	قريب	38
	ــ ملخص رسالة الأم إلى ابنها (البطل)	قريب	42
	ــ ملخص لوداع ســـامي فـــي المطـــار بحضور الشخصية المحورية في الرواية وليليان .	قريب	47
	ــ الملخص لقاء الشخـــصية المحوريـــة بليليان.	قريب	56
	ــ ملخص البرنامج اليومي للطلبـــة فـــي الحي اللاتيني	قريب	63
	ــ ملخـــص ليلـــة قـــضاها الشخـــصية المحورية في سهاد وقلق .	قريب	85
		قريب	99

	ـ ملخص حياة الخادمة تيريز ـ خلاصة ما حدث بين جانين والشخصية المحورية في الفندق .	بعيد	103
القسم الثاني	ـ ملخص مأساة جانين مع أهلها وخطيبها ـ ملخص برنامج عطلة الأسبوع الخاصة بجانين والشخصية المحورية .. ـ خلاصة رسالة أسرة الشخصية المحورية...	بعيد قريب قريب	108 109 148
الثالث	ـ ملخص ما قام به رفاق الشخصية المحورية _أثناء العطلة . ـ ملخص المحاضرات التي ألقاها الطلبة ذوي التوجه القومي. ـ ملخص لتقدم الشخصية المحورية في إعداد أطروحة الدكتوراه. ـ ملخص اللقاءات التي رأى فيها أحمد	قريب قريب قريب قريب قريب	231 236 237 239 242

	جانين في الكهف. ـ خلاصة الإجراءات الأخيرة قبل مناقشة الشخصية المحورية لأطروحته .	قريب	242
خاتمة	ـ ملخص استقبال البطل في أرض الوطن بعد العودة النهائية .	قريب	263

03 ـ الخلاصة / الإيجاز في رواية أصابعنا التي تحترق

الأقسام	الخلاصـــــــــة	نوعه	الصفحة
القسم الأول	ـ ملخص الرسائل الواردة إلى مجلة الفكر الحر	قريب	26
	ـ ملخص رسالة عصام الحلواني .	قريب	28
	ـ خلاصة رأي وحيد في حزب الهلال الذي انضم إليه	قريب	64
	ـ ملخص رأي سامي في الانتماء للأحزاب السياسية	قريب	66
	ـ رسائل عزيز تحمل ملخص أخباره في الغربة	قريب	71

	ــ خلاصة زيارة سميحة صادق إلـــى بيروت وتوضيح طبيعة علاقتها بسامي	بعيد	93
القسم الثاني	ــ خلاصة طفولة سامي	بعيد	141
	ــ ملخص الكلام الذي جرى بين إلهـــام وشقيقتها .	قريب	147
	ــ ملخص زيارة سامي إلى أهل إلهام	قريب	149
	ــ ملخص ما قامت به إلهـــام فـــي أول يوم استلمت فيه مهام سكرتارية المجلة.	قريب	153
	ــ ملخص قصة مؤسسة الثقافة الحـــرة التي عرضت عملا على سامي	بعيد	160
	ــ ملخص رسالة عصام إلـــى صـــديقه سامي	قريب	163
	ــ ملخص اللقاء بين مدير معهد بكفيـــا وسامي	قريب	170
	ــ ملخص الاحتفال الذي أقامته إحـــدى الجمعيات الأدبية تكريماً لسامي	قريب	181
	ـــــ ملخـــص المـــشاكل والهمـــوم	قريب	183

	والطموحات التي تشغل بال سامي وإلهام .	قريب	199
	ـ ملخص الحوار الذي جرى بين سامي وعبد القادر رحماني	قريب	211
	ـ خلاصة النقاش الذي كان بين عصام وسامي .	قريب	216
	ـ ملخص ما قام به سامي في أول أيام الإجازة	بعيد	229
	ـ ملخص رسالة سميحة صادق إلى سامي	قريب	259
	ـ ملخص لقاء سامي بزوجة عبد القادر رحماني	قريب	264
	ـ ملخص الأوضاع الأمنية والسياسية في الجزائر ومصر	قريب	264
	ـ ملخص لقاء سامي بمدير المعهد	قريب	271
	ـ ملخص المناقشات التي جرت في الاجتماع الذي نظمه سامي في مكتب	قريب	278

	الفكر الحر ــ ملخص برامج ونشاطات وانشغالات سامي القومية .		

ب ــ الحذف Ellipse:

ويطلق عليه القطع، الاسقاط ، الثغرة، الاضمار، الانقطاع ، كلها مصطلحات تؤدي معنى واحد، بحيث يقصد بها " الجزء المسقط من الحكاية، أي المقطع المسقط في الــنص من زمن الحكاية "[1].

يستعين الراوي بتقنية الحذف "...لصعوبة سرد الأيام والحوادث بــشكل متسلــسل دقيق لأنه من الصعب سرد الزمن الكرونولوجي وبالتالي لا بد من القفــز واختيــار مــا يستحق أن يروى "[2] .

فالحذف يساعد على الوصول إلى فهم التحولات الزمنية التي تطرأ على خط ســير الأحداث إذ أنه ليس " كل الروائيين مستعدين لترك مثل هذه الثغرات الواضحة في سير القصة ، وبدلاً من القفز فوق الفجوة بين فعل وآخر ،فإنهن يفضلون أن يحققوا قدراً أكبــر

[1] ــ سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، ص 93 .

[2] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 232 .

من سلاسة الاستمرار في القصة بحصر الزمن القصصي ضمن حدود ضيقة ، فيقـدمون المادة اللازمة لفهم القضية الرئيسية في القصة عن طريق إقحام لقطات من الماضي"[1].

أما "جان ريكاردو" فيقول أن الحذف " هو نوع من القفز على فترات زمنية والسكوت على وقائعها من زمن القص هذا نوع ، ونوع يلحق القصة والسرد معاً في حالة التنقـل مـن فصل

إلى فصل حيث تحدث فجوة في القصة "[2].

ينقسم الحذف في النص إلى ثلاثة أنواع وهي كالآتي :

*** ــ أنواع الحذف :**

1 ــ الحذف المعلن Ellipse déteraminée:

في هذا النمط يصرح السارد بالفترة الزمنية المحذوفة " بحيث يمكـن للقـارئ أن يحدد ما حذف من السياق السردي "[3]، ولا يتطلب منه ذلك مجهوداً وعناءً إذ أنه يعثر على الفترة المحذوفة بصورة صريحة وواضحة في مضمون النص كأن يقول الـسارد : بعـد مضي أسبوع ، بعد سنة ، بعد ثلاثة أشهر ، بعد يومين ، بعد عشر سنوات...الخ.

---

[1] ــ أ أ . مندلاو : الزمن والرواية ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 01، 1997 ، ص 133

[2] ــ جان ريكاردو : قضايا الرواية الحديثة ، ترجمة : صباح الجهيم ، وزارة الثقافة والارشاد القوكي ، دمشق ، دط ، 1997 ، ص 256 .

[3] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 233 .

2 ــ الحذف غير المعلن / الضمني Ellipse indéterminée :

عكس الحذف المعلن ففيه " يصعب تحديد المدى الزمني بصورة دقيقة ، لذلك تكون الفترة المحذوفة التي أسقطها الكاتب غامضة وغير واضحة"[1].

تكمن صعوبة تحديد المدى الزمني في عدم تحديد المدة الزمنية التي تــم حــذفها فيبقــى القارئ في تساؤل ، هل هي أيام أم شهور أم سنة أم سنوات ... وهكذا .

*** ــ جدول 07 :رصد الحذف في متون الثلاثية :**

01 ــ الحذف في رواية الخندق الغميق :

القسم	الحذف	نوعه	الصفحة
	ــ ومضت دقائق ...	معلن	07
	ــ ... في الشهر التالي ...	معلن	08
	ــ ليلة الجمعة التالية ..	معلن	09
القسم	ــ الأسبوع التالي...	معلن	10
الأول	ــ من الصباح إلى اليوم الموالي	معلن	17
	ــ ثلاثة أيام متوالية	معلن	17
	ــ ليلتين متواليتين	معلن	17

[1] ــ المرجع نفسه : ص ص ، 234 ــ 235 .

	ــ في اليوم التالي	معلن	18
	ــ بياض ورقي ... حذف ليلة ويوم	معلن	19
	ــ بعد ثلاثة أيام	معلن	23
	ــ ثلاثة أيام	معلن	26
	ــ بياض ورقي ... حذف فترة مساء	معلن	31
	ــ حذف ما تبقى من أيام الأسبوع إلى غاية عطلة الأسبوع ..	معلن	32
	ــ حذف يومين : الخميس والجمعة	معلن	33
	ــ مضت أربعة أيام	معلن	34
	ــ هذا الحي الذي عايشة سنوات ...	غير معلن	35
	ــ ولم يغادر المنزل إلا بعد ظهر اليوم التالي	معلن	36
	ــ وانقضت بضعة أسابيع	معلن	39
	ــ ومضت أيام	معلن	43
	ــ وبعد بضعة أيام	معلن	44
	ــ بعد مرور بضعة أشهر	معلن	45
		معلن	46

	ــ وبعد زهاء أسبوعين	معلن	48
	ــ حذف فترة الصباح / وبعد ظهر اليــوم التالي .	معلن	48
	ــ ولم تمض أيام	معلن	54
	ــ بعد يومين	معلن	55
	ــ بعد ذلك بأيام	معلن	57
	ــ وقد ظل هو أياماً طويلة	معلن	58
	ــ وقضى بعد ذلك بضعة أيام .	معلن	58
	ــ أنه سيتغيب بضعة أيام .	معلن	59
	ــ وبعد بضعة أيام .	غيــــر معلن	59
	ــ حذف فترة غير محددة بين مقطعين 08 و 09 .	معلن	64
	ــ ومضت ساعتان	معلن	70
	ــ وظلا أياما يتبادلان الرسائل طي الكتب	معلن	72
	ــ بعد أسبوع .	معلن	73
	ــ بعد انقضاء بضعة أيام .	معلن	75
	ــ في اليوم التالي	معلن	83

	ــ وظل أبوه صامتاَ ردحاً من الزمن	معلن	84
	ــ في اليوم التالي	معلن	85
	ــ وفي اليوم التالي	معلن	86
	ــ بعد يومين	معلن	87
	ــ بياض ورقي بين مقطعين (12ـــ 13)،مقدر ب (زهاء ستة أسابيع)	معلن	87
	ــ حين عاد لقضاء عطلة الأسبوع في المنزل	معلن	88
		معلن	90
	ــ وفي اليوم التالي	معلن	92
	ــ وفاجأ نفسه يوماً	معلن	93
	ــ طوال أسبوعين	معلن	93
	ــ عطلة ذلك الأسبوع	معلن	93
	ــ وعاد بعد ظهر اليوم التالي	معلن	95
	ــ صباح اليوم التالي		
	ــ بياض ورقي بين مقطعين (13 ــ 14)	معلن	95
	محدد بعام (وانقض عام)	معلن	95
	ــ وعاش أشهراً طويلة	معلن	95

	ــ وانقضى عام آخر ــ وانفق الأيام والليالي		
القسم الثاني	ــ إلى بضعة أيام	معلن	101
	ــ بعد ثلاث سنوات	معلن	103
	ــ بعد ظهر ذلك اليوم	معلن	104
	ــ في اليوم التالي	معلن	115
	ــ حذف أشهر العطلة الصيفية (... وهــو يستعجل قدوم العام الدراسي استعجالاً)	معلن	122
	ــ إلا بضعة أيام	معلن	122
	ــ بعد يومين	معلن	123
	ــ ولم يمض وقت طويل	معلن	124
	ــ وحين نقه من مرضه	معلن	126
	ــ وفي الأسبوع التالي	معلن	126
	ــ طوال أربعة أيام	معلن	131
	ــ منذ بضعة أشهر	معلن	140
	ــ طوال ثلاثة أيام	معلن	145
	ــ وفي اليوم التالي	معلن	145

	ــ اليوم التالي	معلن	147
	ــ فجر أحد الأيام	معلن	150
	ــ حذف يوم كامل	معلن	152
	ــ مساء اليوم التالي	معلن	158
	ــ أصبحت ذات يوم	معلن	159
	ــ بعد أيام	معلن	160
	ــ أفقت ذات صباح	معلن	161
	ــ بعد أربعة أيام	معلن	164
	ــ حذف فترة أيام الامتحان الكتابي	غير	166
	والشفهي	معلن	167
	ــ وانتظرنا أياماً	معلن	170
	ــ بعد شهرين		

02 ــ الحذف / القص في رواية الحي اللاتيني :

القسم	الحذف	نوعه	الصفحة
تمهيد	ــ وغشيته موجة رهبة وخشية ، وغرق	غير معلن	06

	في جو من الصمت ...		
القسم الأول	ــ بياض ورقي/المسافة بين بيروت إلى مرسيليا على متن باخرة	غير معلن	07 ــ 08
	ــ قضاء يوم كامل في مرسيليا	معلن	09
	ــ أسبوع ينقضي	معلن	25
	ــ أنفقا أربعة أيام	معلن	62
	ــ بياض ورقي / حذف نصف يوم (فترة المساء)	معلن	80
	ــ بعد ظهر اليوم التالي.	معلن	91
	ــ صباح اليوم التالي (حذف فترة المساء كاملة) .	معلن	97
	ــ ليلتين .	معلن	107
	ــ مرت ثلاثة أيام	معلن	109
	ــ أكثر من أسبوع	معلن	111
	ــ في اليوم التالي	معلن	125
	ــ ثلاثة أيام	معلن	126
	ــ مضت أربعة أيام	معلن	140

القسم	ــ بضعة أيام	معلن	153
الثاني	ــ بعد أسبوعين	معلن	154
	ــ بعد يومين	معلن	155
	ــ حذف فترة الصباح (مساء غادر باريس)	معلن	183
	ــ وأفاق في الليل عند توقف القطار / حذف المساء	معلن	186
	ــ بعد سبعة أيام .	معلن	186
القسم	ــ ها هما يومان يمران	معلن	210
الثالث	ــ منذ ثلاثة أيام	معلن	219
	ــ صباح اليوم التالي	معلن	222
	ــ أربعة أيا أخرى متوالية	معلن	223
	ــ مساء اليوم الخامس	معلن	223
	ــ بعد زهاء أسبوعين	معلن	225
	ــ ولم تمض أسابيع	معلن	236
	ــ طوال أسبوعين	معلن	238
	ــ بعد ثلاثة أشهر	معلن	241

	ــ في الليلة التالية	معلن	249
	ــ في الليلة الرابعة	معلن	250
خاتمة	ــ بياض نصف صفحة / رحيل الشخصية المحورية من باريس باتجاه بيروت عبر الباخرة..	غير معلن	262

03ــ الحذف في رواية أصابعنا التي تحترق:

القسم	الحذف	نوعه	الصفحة
	ــ ثلاثة أيام بطولها	معلن	33
	ــ ظهر اليوم الرابع	معلن	33
القسم	ــ وبعد يومين	معلن	97
الأول	ــ بضعة أيام	معلن	97
	ــ وروى لها كيف كان كل المساء	معلن	131
	ــ في اليوم التالي	معلن	132
	ــ حذف فترة غير محددة	غير معلن	146
القسم	ــ طوال الأسبوعين الماضيين	معلن	155
الثاني	ــ وفي اليوم التالي	معلن	156

	ــ بعد الظهر	معلن	156
	ــ في اليوم التالي	معلن	176
	ــ وفي اليوم التالي	معلن	181
	ــ في اليوم التالي	معلن	226
	ــ في الأسبوعين الماضيين	معلن	278
	ــ كان اليوم الحالي يوم سبت ، وقد انتظرت حلول ساعة الظهر	معلن	284
	ــ لم ينقض أسبوع	معلن	286

*** ــ جدول 08 : الاحصاءات الكلية لنظام السرد / الإيقاع الزمني :**

1 ــ تسريع السرد :

أ ــ الخلاصة :

عنوان الرواية	الخلاصة القريبة	الخلاصة البعيدة	العدد الإجمالي
الخندق الغميق	11	01	12
الحي اللاتيني	18	02	20
أصابعنا التي تحترق	24	04	24

ب ــ الحذف :

عنوان الرواية	الحذف المعلن	الحذف غير المعلن	العدد الإجمالي
الخندق الغميق	75	03	781
الحي اللاتيني	29	03	32
أصابعنا التي تحترق	15	01	16

02ــ إبطاء السرد / تعطيل السرد :

أ ــ المشهد Scéne :

في المشهد يقوم السارد بانتقاء المواقف المهمة من الأحداث ثم يعرضـــها عرضـــاً مسرحياً تفصيلياً للقارئ " ... موهماً إياه بتوقف حركة السرد عن النمو على نحو ما يمكن تمثيله بالمعادلة التالية : المشهد: زمن السرد = زمن الحكاية "[1]، وباختصار المعادلة يمكن كتابتها على هذه الصيغة : المشهد: ز ن= ز ح .

" يسمى المشهد تقليدياً بالفترة الحاسمة ، بينما يقع غالباً في تلخيص الأحـــداث الثانويـــة ، يصاحب فترات الأحداث والفترات الهامة تضخم نصي فيقترب حجم النص القصصي من

[1] ــ عبد الله مسلم الكساسبة : تجربة سليمان القوابعة الروائية ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ،دط ، 2006 ، ص 138 .

زمن الحكاية ويطابقه تماماً في بعض الأحيان فيقع استعمال الحوار وإيراد جزئيات الحركة والخطاب "[1] .

ويرى "تودوروف" أن المشهد عبارة عن " حالة التوافق التام بين الزمنين عندما يتدخل الأسلوب غير المباشر وإقحام الواقع التخييلي في صلب الخطاب خالقا بذلك مشهداً "[2] .

بما أن تقنية الحوار تنهض على أسلوب الحوار وهو بدوره " يعمل على منح الشخصية مجالاً للتعبير عن رؤيتها من خلال حوارها مع الآخرين ومع الذات "[3] " وقد أدى تقليص دور السرد إلى ارتفاع أهمية الحوار في بناء الشخصية والتعبير عن أفكارها وتحديد علاقتها بغيرها من الشخصيات وبواسطة ذلك زاد العنصر الرمزي والتأويلي في الرواية ، فغدت قادرة على دفع القارئ إلى المشاركة في التفسير والتأويل وكانت ــ من قبل ــ تبعده عن ذلك وتفرض على الروائي أن يشرح كل شيء بدقة وأمانة دون أن يترك للقارئ شيئاً"[4] .

---

[1] ــ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص 65 .

[2] ــ تزفيطان تودوروف : الشعرية ، ترجمة : شكري المبخوت ورجاء سلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 01 ، 1987 ، ص 49 .

[3] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 239 .

[4] ــ سمر روحي الفيصل : الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 1986 ، ص ص 346 .

أما "جان ريكاردو" فيرى أن الحوار ، هو الذي ينتج المساواة بين الجزء السردي والجزء القصصي من أجل الوصول إلى حالة من التوازن[1] .

فالمشهد يمثّل تصويراً مكثفاً ومفصلاً للأحداث ، وهذا التكثيف والتفصيل يؤثر على حركة السرد فيبطأ الزمن ، بحيث يتمدد الحوار ويتسع " فيعمل على قطع خطية السرد لتقدم الشخصية نفسها"[2] .

للمشهد الحواري وظائف أهمها[3]:

1 ــ الكشف على الحدث ونموه وتطوره .

2 ــ الكشف عن ذات الشخصية من خلال حوارها مع الآخر ، وبالتالي تعبر عن رؤيتها ووجهة النظر تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية فنرى الشخصية وهي تتحرك وتمشي وتتصارع وتفكر وتحلم .

3 ــ احتفاظ الشخصية بلغتها ومفرداتها التي تعبر عنها .

4 ــ يعمل الحوار على كسر رتابة السرد من خلال بث الحركة والحيوية فيه .

5 ــ يعمل الحوار على تقوية إيهام القارئ بالحاضر الروائي ، ويعطيه المشهد إحساساً بالمشاركة في الفعل ــ لأن المشهد الحواري يصف أدق أمور الحياة وتفاصيلها وأحداثها ، كأنها تعاش الآن .

---

[1] ــ جان ريكاردو : قضايا الرواية الحديثة ، ص 253 .

[2] ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، ص 239 .

[3] ــ المرجع نفسه : ص 240 .

***ــ جدول 09 :رصد المشاهد / الحوارات في متون الثلاثية :**

01 ــ المشاهد/ الحوارات في رواية الخندق الغميق :

الفصل	المشهد	الصفحة
الأول	ــ حوار قصير بين سامي وأخيه ...	14
	ــ حوار بين سامي ووالديه ...	30 ــ 31
	ــ حوار بين سامي ووالده ...	46
	ــ حوار بين سامي وناظر المعهد الديني	51
	ــ حوار بين سامي ووالده	64
	ــ حوار قصير بين سميا وسامي	67 ــ 68
	ــ حوار بين سميا وسامي	70 ــ 71
	ــ حوار بين سامي ووالده	76 ــ 78
	ــ حوار بين سميا وسامي	83 ــ 84
	ــ حوار بين سامي ووالده	88 ــ 89
	ــ حوار بين الناظر وسامي	92
	ــ حوار بين سامي ووالده	92
القسم	ــ حوار حاد بين سامي ووالده	105 ــ 106
الثاني	ــ حوار ومواجهة حادة بين سامي وفوزي	109 ــ 111

	ووالدهما	114
	ــ حوار بين سامي وأحد أصدقاء والده	117 ــ 119
	ــ حوار بين سميا وسامي	125
	ــ مشاداة كلامية بين سامي ووالده	128 ــ 129
	ــ حوار بين سامي ورفيق وهدى	132 ــ 133
	ــ نزاع بين أفراد العائلة	135 ــ 137
	ــ حوار بين سامي وهدى	141
	ــ حوار بين والدي سامي	142
	ــ حوار بين سامي ووالدته	146 ــ 147
	ــ حوار بين هدى ورفيق	153 ــ 157
	ــ شجار حاد بين الأب والأم وسامي	161 ــ162
	ــ مواجهة كلامية بين الأم والأب وهدى	

02ــ المشهد/ الحوارات في رواية الحي اللاتيني :

القسم	المشهد	الصفحة
تمهيد	/	/

	ــ حوار بين الشخصية المحورية وصديقه صبحي.	11 ــ 12
	ــ حوار قصير بين الشخصية المحورية و صبحي.	15
القسم	ــ حوار قصير بين الشخصية المحورية	20
الأول	ومارغريت.	44 ــ 45
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وصديقه سامي	49 ــ 51
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وليليان .	55
	ــ حوار الشخصية المحورية مع ليليان .	67 ــ69
	ــ حوار الشخصية المحورية مع مارغريت .	81
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وصديقه فؤاد .	86 ــ 87
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وصبحي وعدنان وفؤاد .	89 ــ 90
	ــ حوار سريع بين جانين والبطل	91 ــ 94
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وجانين	101 ــ 103
	ــ حوار جانين والشخصية المحورية	
القسم	ــ حوار جانين و الشخصية المحورية	111 ــ 112
الثاني	ــ السارد يستأنف حوار الشخصية المحورية	115 ــ 116

	وجانين .	119 ــ 120
	ــ حوار الشخصية المحورية وصبحي .	121 ــ 123
	ــ حوار بين وفؤاد الشخصية المحورية	128 ــ 130
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وأصدقائه أثنـــاء لعب البوكر	126 ــ 128
	ــ حوار الشخصية المحورية وجانين	140 ــ 145
	ــ سهرة وحوار بين صبحي وعدنان وفؤاد والبطل وجانين .	148
	ــ حوار الشخصية المحورية البطل مع تيريز .	150 ــ 152
	ــ حوار الشخصية المحورية البطل وجانين.	155 ــ 160
	ــ حوار طويل بين جانين و الشخصية المحورية .	163
	ــ حوار قصير بين تيريز و الشخصية المحورية .	165 ــ 170
	ــ حوار طويل بين الشخصية المحوريـــة وفـــؤاد وعدنان وأحمد وربيع و فرانسواز	174
	ــ حوار بين جانين و الشخصية المحورية .	178 ــ 180
	ــ حوار جانين و الشخصية المحورية.	184 ــ 186
	ــ حوار عدنان وفؤاد وأحمد وربيع و الشخـــصية	

	المحورية . ــ حوار الشخصية المحورية البطل وأمــه وأختــه هدى وأخوه الأكبر .	187 ــ 188
القسم الثالث	ــ حوار الشخصية المحورية ووالدته	191 ــ 193
	ــ حوار الشخصية المحورية مع ناهــدة ووالــدتها ووالدته	194 ــ 195
	ــ حوار اشخصية المحورية و ناهدة	196
	ــ السارد يستأنف نقل حوار الشخصية المحورية و ناهدة	198 ــ 200
	ــ حوار الشخصية المحورية مع أخته هدى	209 ــ 211
	ــ حوار الشخصية المحورية ووالدته.	212 ــ 213
	ــ حوار الشخصية المحورية البطل ووالدته .	224
	ــ حوار الشخصية المحورية مع والدته وإخوته.	228
	ــ حديث الشخصية المحورية مــع موظــف فــي مستشفى من المستشفيات الباريسية .	229
	ــ حوار الشخصية المحورية مع صديقه فؤاد	232 ــ 234
	ــ حوار الشخصية المحورية ا مع رفاقه	238 ــ 240
		245

	ــ حوار الشخصية المحورية ال مع أصدقائه	250 ــ 251
	ــ حوار قصير بين جانين الشخصية المحورية	259
	ــ حوار بين الشخصية المحورية وجانين	
خاتمة	ــ حوار قصير بين الشخصية المحورية وولدته	263

03 ــ المشاهد / الحوارات في رواية أصابعنا التي تحترق :

القسم	المشهد	الصفحة
	ــ حوار سامي وإلهام	10 ــ 17
القسم	ــ حوار سامي ووحيد	20 ــ 22
الأول	ــ حوار سامي مع شريكيه	24 ــ 25
	ــ حوار سامي مع رفيقة وصديقاتها	36 ــ 38
	ــ حوار سامي ورفيقة	39 ــ 41
	ــ حوار سامي ورفيقة	44 ــ 50
	ــ حوار سامي وكريم	51 ــ 52
	ــ حوار بين رفيقة وسامي	54 ــ 58
	ــ استئناف الحوار بين رفيقة وسامي	60 ــ 61
	ــ حوار بين رفيقة وسامي	62ــ 63

	ــ حوار بين سامي ووحيد	64 ــ 66
	ــ استئناف حوار سامي ووحيد	67 ــ 69
	ــ حديث وحوار سامي وعصام ورفيقة	70
	ــ نزاع بين سامي ورفيقة	78 ــ 82
	ــ حوار بين رفيقة وسامي	83 ــ 89
	ــ حوار موسع بين سامي وهاني وعــصام وكــريم	89 ــ 91
	ووحيد	91 ــ 92
	ــ إلهام وأخوها حسان يندمجان في حوار مع الجماعة	98 ــ 99
	ــ حوار عصام وسامي	99 ــ 100
	ــ حوار سامي مع ضياء شريكه في المجلة	100 ــ 101
	ــ محادثة هاتفية بين سامي ووحيد	105 ــ 109
	ــ حوار بين سامي مع شريكيه ضياء وسمير	111 ــ 112
	ــ حوار بين إلهام وسامي	116 ــ 122
	ــ حوار بين إلهام وسامي	123
	ــ حوار بين إلهام وسامي	131 ــ 132
	ــ حوار بين رفيقة وعصام وسامي	133
	ــ حوار بين إلهام وسامي	134 ــ 135

	ــ حوار بين إلهام وسامي	135
	ــ مواصلة حوار بين سامي وإلهام	
القسم	ــ حوار بين سامي وإلهام	141 ــ 146
الثاني	ــ حوار بين إلهام وأخيها حسان وأختها نهى	146 ــ 147
	ــ حوار بين إلهام وأختها وأخيها ووالدتها	148 ــ 149
	ــ حوار بين إلهام وسامي وهاني	150 ــ 151
	ــ حوار بين سامي وإلهام	154 ــ 158
	ــ حوار بين سامي وإلهام وكريم	158 ــ 159
	ــ حوار بين سامي وإلهام	160 ــ 161
	ــ حوار بين إلهام وسامي	160 ــ 161
	ــ حوار بين سامي	164 ــ 167
	ــ حوار بين سامي	171 ــ 176
	ــ حوار بين سامي	179 ــ 181
	ــ حوار بين سامي	182
	ــ حوار بين سامي وإلهام وسلمى العكــاوي وعبلــة	190 ــ 192
	سلطان	195 ــ 197
	ــ حوار سامي وإلهام	198

	ــ حوار سامي وإلهام	200 ــ 202
	ــ حوار سامي وعبد القادر رحماني وإلهام	203 ــ 210
	ــ حوار سامي وإلهام وأصدقائهما	216 ــ 217
	ــ حوار بين سامي وإلهام	219 ــ 221
	ــ حوار سامي ووحيد	222 ــ 223
	ــ حوار إلهام وسامي	224
	ــ مخابرة تلفونية	225
	ــ مخابرة تلفونية بين سميحة صادق وسامي	225 ــ 226
	ــ حوار بين سامي وإلهام	232
	ــ حوار بين سامي وإلهام	235 ــ 239
	ــ حوار بين سامي وإلهام	240 ــ 143
	ــ حوار بين سامي وعصام وإلهام	244 ــ 246
	ــ حوار بين سامي وإلهام	251
	ــ حوار بين سامي وإلهام	255
	ــ حوار بين سامي وإلهام	258
	ــ حوار بين سامي وإلهام	259 ــ 260
	ــ حوار قصير بين سامي وإلهام	263

	ــ حوار بين سامي وإلهام	270
	ــ حوار بين سامي وكريم	272
	ــ حوار بين سامي وإلهام	272 ــ 273
	ــ حوار بين سامي وعصام ورفيقة وإلهام	275 ــ 277
	ــ حوار بين إلهام وعصام	282 ــ 284
	ــ حوار بين سامي وإلهام	

ب / التوقف :

له تسميات عدة كالاستراحة أو الاستراحة الزمنية والوقفة الوصفية، وهو نتيجة من نتائج استعانة السارد بالوصف " والوصف وقوف بالنسبة للسرد ، لكنه تواصل وامتداد بالنسبة للخطاب[1] " إذ أن الراوي عندما يشرع في الوصف يعلق بصفة وقتية تسلسل أحداث الحكاية"[2] " وهذا بدوره يؤدي إلى اتساع المساحة النصية لزمن السرد على حساب زمن الحكاية "[3] .

[1] ــ المرجع السابق : ص 247 .

[2] ــ سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، ص 86 .

[3] ــ نفلة حسن أحمد العزي : تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني (قراءة نقدية) ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 01 ، 2011 ، ص 100 .

وفي كل الاحوال ليس باستطاعة السرد الاستغناء عن الوصف لأنه لـــصيق بكـــل فنـــون الكتابة الأدبية [1].

للتوقف أنماط ثلاثة في نصوص الثلاثية ، وهي مقسمة حسب طبيعة الوصف الذي هـــو السمة الغالبة في تقنية التوقف .

ــ أنماط التوقف :

1 ــ وصف الشخصيات : لا يكتف السارد في وصف الشخصيات فيزيولوجيا ، بل يتعداه إلى وصف الأخلاق والطباع الخلقية والنفسية .

2 ــ وصف المكان : للمكان علاقة وطيدة بالشخصيات التي تـــسكنه " فالمكـــان يعكـــس شعور الفرد وأحاسيسه"[2]، وحيال وصفه للأمكنة لا يقتصر السارد على وصـــف الأبعـــاد الجغرافية فحسب ، بل يتسع وصفه ليشمل كل أجزاء المكان ومكوناته ، فـــالجمع بـــين " وصف المكان ووصف ما يتضمنه من أشياء ، ضرورة فنية يقتضيها إيهام القارئ بواقعية ما يقرأ لأنه لا يمكن الجزم بأن جميع ما يذكر من وصف وبالأخص إذا تعلق بمكان ما قد تم على صورته الحقيقية ،ولعله لا يوجد أصلا في واقع الشخصية القصصية بل هو مـــن

[1] ــ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،دط ، 1998 ، ص 303 .

[2] ــ نفلة حسن أحمد العزي : تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني (قراءة نقدية) ، ص 105 .

ابتداع مخيلة الراوي شأنه شأن بقية مكونات النص التي يمكن أن يطرأ عليها الجانب الخيالي دون استثناء"[1].

انطلاقا مما تقدم قوله لوحظ إيراد السارد في الثلاثية للكثير من المشاهد التي تصف المكان بأشيائه و رصد حركة شخصياته .

3ـ وصف الطبيعة : الإغراق في وصف الطبيعة وعشقها من خصائص المذهب الرومانسي، فالرومانسيون هم الذين يلجأون إلى الطبيعة للتخلص من صخب وضجيج المدن ، وهو ناتج عن رهافة احساسهم وتدفق عواطفهم فالرومانتيكيين تأثير بارز في الكتابة والإبداع الأدبي والهيام والتعلق " بالطبيعة في جميع مظاهرها ، فهم يريدون أن يستلهموها ويستوحوا أسرارها"[2].

فالقارئ لنصوص الثلاثية تستوقفه عدة نماذج لوصف الطبيعة ، وقد تم إدراجها ليس من أجل تأييد المذهب الرومانسي ، لكن حضورها كان حتمية من حتميات السرد فوصف الطبيعة يضفي مصداقية على مسار الحكي وخط السرد .

***ـ جدول 10 : رصد التوقّف في متون الثلاثية :**

01 ـ الوصف / التوقف في رواية الخندق الغميق :

[1] ـ المرجع نفسه : ص 105 .

[2] ـ محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1981 ، ص 171 .

القسم	التوقف/ الوصف	نوعه	الصفحة
القسم الأول	ــ وصف جلسة الاجتماع الأسبوعي الذي يقام في بيت والد سامي ويشارك فيه سامي بقراءة القرآن وترتيله ...	الشخصيات والمكان	08
	ــ ولقد رأى أباه ، حين فرغ من قراءة القرآن	الشخصيات المكان	09 10
	ــ وصف أجواء الحفلة الدينية التي أقيمت في منزل القريب الثري .	المكان	15
	ــ وصف الأطفال وهم يتدافعون في الحانوت لاقتناء الحلوى والألعاب	الشخصيات	27 ــ 28
	ــ الخياط يلبس المشايخ الجبة والعمة	الشخصيات	52
	ــ وصف الممثلة وتصوير مقاطع من الفيلم	الشخصيات الشخصيات	55 79
	ــ وصف الشيخ كزكز ــ وصف سميا وهي ترقص ــ وصف سامي وهو مريض في السرير..	الشخصيات	81

القـــــسم الثاني	ــ وصف أهل حي الخندق الغميق وهــم مندهشين من خلع سامي الجبة والعمة	الشخصيات	99
	ــ وصف فتاة في الترام	الشخصيات	101 ــ 102
	ــ وصف هدى	الشخصيات	120
	ــ وصف شخصية سامي	الشخصيات	139
	ــ وصف نادية أخت رفيق	الشخصيات	147

02 ــ الوصف / التوقف في رواية الحي اللاتيني :

القسم	التوقف/ الوصف	نوعه	الصفحة
تمهيد	ــ وصف مشاعر الشخصية المحوريــة عند نزوله في أرض باريس ...	الشخصيات	05 ــ 06
القسم الأول	ــ وصف شوارع الحي اللاتيني	المكان	10
	ــ وصف نزول الطلاب في أحد الفنادق عقب وصولهم إلى باريس .	المكان	11
	ــ وصف أجواء مقهى ديبون	المكان	12

	ــ وصف سهرة ورقص الطلاب مع صديقاتهم	المكان والشخصيات	20 ــ 21
	ــ وصف الطبيعة من خلال نافذة الغرفة	الطبيعة	42
	ــ وصف ليليان	الشخصيات	46
	ــ وصف إعجاب الشخصية المحورية بقصيدة ليليان .	الشخصيات	53
	ــ وصف اللقاء الغرامي بين الشخصية المحورية ومارغريت .	الشخصيات	69
	ــ وصف جانين مونترو .	الشخصيات	69
	ــ وصف جانين و الشخصية المحورية هما يتبادلان النظرات .	الشخصيات	91
	ــ وصف الشخصية المحورية وهو في حالة تعب مضني.	الشخصيات	99
	ــ وصف تيريز التي تتقاطع مع والدة الشخصية المحورية في بعض ملامحها .	الشخصيات	100
	ــ وصف جانين .	الشخصيات	112
	ــ وصف الطبيعة من على النافذة .	الطبيعة	113

	ــ وصف جانين في سورة غضب وبكاء .	الشخصيات	114
		المكان	125
القسم الثاني	ــ وصف أجواء باريس في حالة الصحو .	الشخصيات	135
	ــ وصف جانين بعد تزينها وارتداء ثوب السهرة .	الشخصيات	126
	ــ وصف الشخصية المحورية وجــانين في الحفلة الراقصة.	الشخصيات	140
	ــ وصف الشخصية المحورية وجانين	الشخصيات	154
	ــ وصف جانين وهي مريضة نائمــة ، وصفها السارد من خلال النظرات التــي يسترقها الشخصية المحورية .	الشخصيات	171
		الشخصيات	179
	ــ وصف جانين	المكان	188
	ــ وصف جانين وهي في حالة سكر		
	ــ وصف غرفة الشخصية المحورية في أرض الوطن (لبنان)		
القسم	ــ وصف احمرار وجنتي ناهدة خجلا	الشخصيات	194

الثالث	ــ وتمثلها إلى جنبه ... وفم فاغر صارخ	الشخصيات	222
	ــ حين دخلا الكهف شاعت من أنفيهمـــا	المكان	247
	...	الشخصيات	248
	ــ وقد رأى بعد قليل فتاة تطل من الباب	الشخصيات	248 ــ 249
	ــ فإذا الفتاة بين يدي الزنجيين ..	الشخصيات	250
	ــ وظلا صامتين ، مطرقين ... وأمسك ذراعها بقبضة شديدة ...	المكان	251
	ــ ودلف زقاق ضيق ...	المكان	252
	ــ ثم أجال بصره مرة أخرى في الغرفة ... وعاد إلى مقعده.	الشخصيات	259
	ــ رأى عينيها جاحظتين... الملطختـــين بالأحمر ...		
خاتمة	ــ وصف استقبال الشخصية المحوريـــة في أرض الوطن	الشخصيات	263 ــ 264

03 ــ التوقف/ الوصف في رواية أصابعنا التي تحترق :

القسم	التوقف/ الوصف	نوعه	الصفحة

القسم الأول	ــ ... ورفع رأسه عــن الأوراق ... فكانت تنبعث منه نكهة توحش ..	الشخصيات	09 ــ 10
	ــ ... جالساً من وراء مكتبي ... وهو ينظر إلى الورق..	الشخصيات	18
	ــ ... لقد شاخ أكثر ... ولكنهــا تجمع كلها على روعة ذلك النتاج وعمقه	الشخصيات	19
	ــ وجهاً حالماً دقيــق القــسمات ...آثار سحر وفتنة	الشخصيات	31
	ــ هاتين العينين تشفان عن عــالم داخلي غني ...	الطبيعة	32
	ــ فجلس في ظل شــجرة كبيــرة ... ورائحة الصمغ الصنوبري	الطبيعة	34
	ــ وجلس على الأريكة ... لعلها أشجار سنديان ..	الشخصيات	35
	ــ فأطل عليــه وجــه باســم ...		35

	العينين كيف تبتسمان	الشخصيات	36
	ــ وجلست قبالته ... أنيقة الملبس	الشخصيات	50
	ــ تمثلته منكباً في غرفة بيته ... والإرهاق في نظره .	الشخصيات	75
	ــ وعلى كتفيها كنزة صوفية ...	الشخصيات	82
	ــ هذه الأجسام الفتية المحيط بـــه ...	الشخصيات	86
	ــ الدم يغلي فـــي صـــدغيه ... يوخز الدم في أصـــابعه وراحتـــه ...	الشخصيات	89
	ــ لم يدع وحيد مجال الكـــلام ... يتطاير من فمه ..	الشخصيات	95
	ــ وقد أشرق وجهه ... ورعـــشة في أطرافه	الشخصيات	104
	ـــ وفـــي رقـــصة التـــانغو ... ووجنتيها وعينيها ..	الطبيعة	104
	ــ وبلغ منزله ...بأصابعه تحترق	الشخصيات	106

	ــ وكان المساء قد بدأ يهبط ...	الشخصيات	111	
	ــ ولكنها لم تمــد لــه يــدها ...			
	رعشة في صوته .	الشخصيات	111	
	ــ وقد جمعت شعرها إلى خلــف			
	وربطته بشريط أخضر	الشخصيات	112	ــ
	ــ فمدَ ذراعه ... ورفــع عينيــه		113	
	ينظر إليها	الشخصيات		
	ــ ورآها تنتفض فجأة ... مكانها		114	ــ
	السابق	الشخـــــصيات	115	
	ــ فنظر إلى عينيها ولم يجب	والمكان		
	ويسمعها تقول في صوت واهــن		116	
	..	الشخصيات		
	ــ ومن خلف زجاج نافذته ، ظل	الشخصيات		
	بصيص النور... كانتــا تــضمان		130	
	إلى صدرها الكتب	الشخصيات	131	
	ـــ بعينيها السوداوين ...تنتــاب	المكان		
	يديها	الشخصيات	132	

	ــ وفتحت له الباب امرأة شـــابة		133
	تنزع بالشبه إلى إلهام.	الشخصيات	133
	ـــــ وهمهم يقول وهـــي تـــسحب		
	كفها	الشخصيات	133
	ـــــ أجلسها على الأريكة ...		
	ــ ...وراودت صوتها بحة نحيب		134
	وأخذ نفسا طويلا ...		
	ــ عجب لقلبه ينبض بها ، وشفتيه	الشخصيات	
	تنطقانها ... في صـــلاة وابتهـــال		
	...		135
	ــ وقد استردت بعـــض هـــدوئها	المكان	
	حين أدارت عنه رأســـها جعلـــت		
	تنظر إلى الأمواج البعيدة ، وجاءه	الشخصيات	135
	صوتها بعد ذلك ، في نبرة أســـى		
	...		136
	ــ ورأى عينيها تستردان شـــفافية	الشخصيات	
	سوادهما وتنظران إليه في إلحاح		

	، كأنما تسألانه مـــا يـــردد فـــي إلحاح...		136
	ــ كانت غرفتا شريكيه مطفأتين ، والمكتب خالياً ..	الشخصيات	136
	ــ وارتمت على الأريكة ، كأنهـــا كانت متعبـــة ، واســـترخت فـــي جلستها ...	الشخصيات	137
	ــ فابتسم وهو يحس أنه يهفو إليه بكل كيانه وروحه ، وجلس خلف مكتبه ....ويفكر بحرية		
	ـــــ وأطبـــق فمـــه علـــى فمها...فتلألأت فيها دموع...		
	ــ واقتربت شفتاه علـــى مهـــل، فوضعت قبلة على جبينها.		

القسم الثاني	ــ إن في صوته خــشونة ...ثــم تعود شفتاه إلى الدمدمة	الشخصيات	141	
	ــ وتلقاه صــدري ... وســمعته يتمتم	الشخصيات	146	
	ــ سريري حديدي ... كراســي من قش...	الشخصيات	183	
	ــ لا بد أنها ما تزال تحدق فيَ ، فأنا أحس نظراتها تلسع وجهــي وعنقي ...	الشخصيات	189	
	ــ كانت ممتلئة الجسم ، طويلــة القامــة ... كلمــا ضــحكت أو انتفضت...	الشخصيات	189	ــ
	ــ ذلك الوجه الأسمر الذي انتشــر الشعر الاسود على جبينه حتى كاد يحجبه ....خصلات الشعر التــي كانت تتدلى فوق جبينها ...	الشخصيات	190	
	ــ وضحكت في جذل ... وتضع يدها على كتفي	الشخصيات	190	
	ــ ونفثت سلمى دخان سيكارتها ،	//	191	

	ــ وكنت مستلقية على سريري حين جاءني صبي المكتب ....ثم اقتعدت حافة السرير قريبا منّي..	الشخصيات والمكان	194
	ــ إنها متعة كبيرة أن أضمّ جسماً نضرا كجسمك وسرعان ما	الشخصيات	195
	ــ وتسلّل صوته إلى أذني بعيداً ، حالماً ، فيه بُحّة وتكسّر...	الشخصيات	211
	ــ فنظر إليّ في حنان وقبّلني في وجنتي ، ثمّ عاد إلى غرفته ...	الشخصيات	217
	ــ فألفيت الغرفة خالية، والدفتر مفتوحاً ...ودخلت غرفة النوم ...	المكان	217
	ــ ولكنّه ظلّ ساعة يتقلّب في الفراش ، وكنت بين الفينة والفينة أختلس إليه النظر	الشخصيات	217
	ــ رأيت وجهه يصطبغ بالاحمرار كأنه قد استشعر الخجل والعار ...	الشخصيات	220
	ــ وسادت فترة صمت ثمّ نظر إليّ	الشخصيات	221

	سامي.	الشخصيات	222
	ــ وبينما كان يقرأ المقــال كنــت أرى وجهه يتلوّن بالاحمرار، والاضــطراب يغيّر ملامحه...	الشخصيات	254
	ــ حين نظرت إلى الرسالة مرة أخرى ، أخذني التردد و الشك..	الشخصيات	256
	ــ وصمت سامي ثم قدّم لي ســيكارة ، فأومأت برأسي نفياً ، ولكنن يده ظلّــت ممــدودة نحــوي وهــو يــوميء أن أتناولها...	الطبيعة الشخصيات	268 271
	ــ ... إنّ الطقس بارد هذه الليلة...		
	ــ ولا حظــت ارتبــاك ســامي وهــو يستقبلهم...	الشخصيات	274
	ــ حين زارنا عصام تلك الليلــة بعــد انفضاض اجتماع الفكر الحر تلك الليلة لم يكن وحده ، وإنما كانت بصحبته فتاة جميلة الوجه وكانت معتدلة القامة...	الشخصيات	274

	ــ وانفجروا ثلاثتهم ضاحكين ، ولا بــدّ أنّ سامي وجد فــي الــضحك فرصــة للتخلّص من ذلك الارتباك...	الشخصيات	277
	ــ...فأطلقت ضحكة كبيرة شاركها فيها عصام، بينما اكتفى سامي بالابتسام...	الشخصيات	277
	ــ ...ثمّ غمز رفيقــة شــاكر باســماً ، ومضى بها سريعا...	الشخصيات	278
	ــ ...متعب وعيناك مجهدتان ، أتــرك تتفادى من النظر في المرآة...	الشخصيات	282
	ــ كنت جالسة وراء المكتب ، أقرأ بريد ذلك اليوم ، حين طرق البــاب ودخــل عصام ...	الشخصيات	282
	ــ ثمّ رفعت نظري إليه ، فــإذا علــى شفتيه بسمة مطمئنة لم تكن توحي بأنّــه عازم على الكلام ...	الشخصيات	283
	ــ ولاحظت رجفة يــدي وهــي تمــلأ الملعقة بالسكر، ثمّ وهي تصبّ القهــوة	الشخصيات	284

	في الفنجان، وامتلأت بالدهشة ... ــ وألقى برأسه إلى مسند الأريكة الخلفي ، وانبعث صوتاً هادئاً حالما ، وأحسست بأصابع سحري تمسّ أجفاني فتغلقها...	الطبيعة والشخصيات	284
	ــ ثمّ توجّهت إلى محطّة السيارات تحت مطر غزير ، فاستقللت سيارة متّجهة إلى بعلبك..	الطبيعة والشخصيات	285
	ــ وقادتني من يدي إلى الشرفة، فعانقت عيناي السهل الواسع وقد اكتسى بالبياض الناصع ... وظللت أرنو إلى الثّلج ، وعيناي تذرفان الدموع ...	المكان والطبيعة	287
	ــ وحين هبط المساء أقلّنا سالم في سيارته إلى وسط المدينة فجلسنا زهاء ساعة في جزيرة الروضة ...	الشخصيات	292
	ــ وخيّل إليّ أن أصابعه التي تمسك بالقلم كانت تحترق....	الشخصيات	293

	ــ وخرجت من الغرفة الصغيرة ،على رؤوس أصابعي كما دخلت...		

*** ــ جدول 11 : الاحصاءات الكلية لنظام السرد / الإيقاع الزمني :**

1 ــ تسريع السرد :

أ ــ الخلاصة :

عنوان الرواية	الخلاصة القريبة	الخلاصة البعيدة	العدد الإجمالي
الخندق الغميق	11	01	12
الحي اللاتيني	18	02	20
أصابعنا التي تحترق	24	04	28

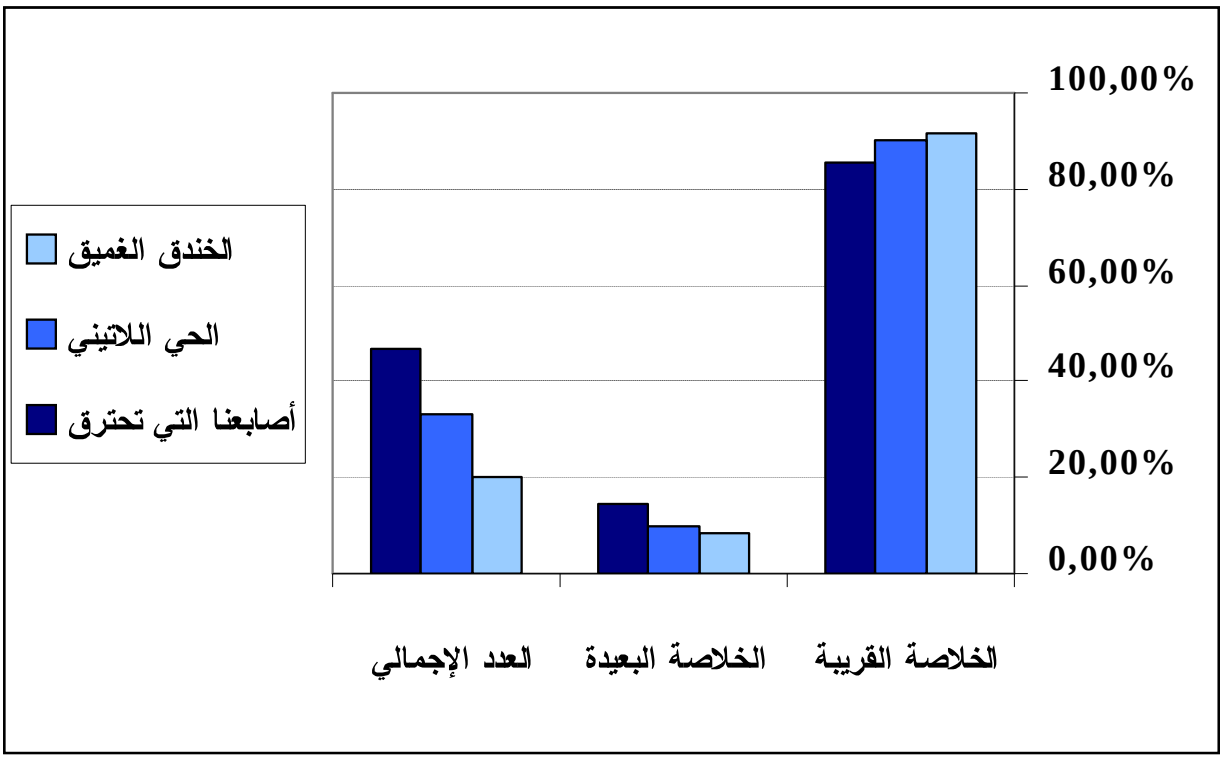

ـ شكل 05 : أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للخلاصة في الروايات الثلاثة

ب ـ الحذف :

عنوان الرواية	الحذف المعلن	الحذف غير المعلن	العدد الإجمالي
الخندق الغميق	75	03	78
الحي اللاتيني	29	03	32
أصابعنا التي تحترق	15	01	16

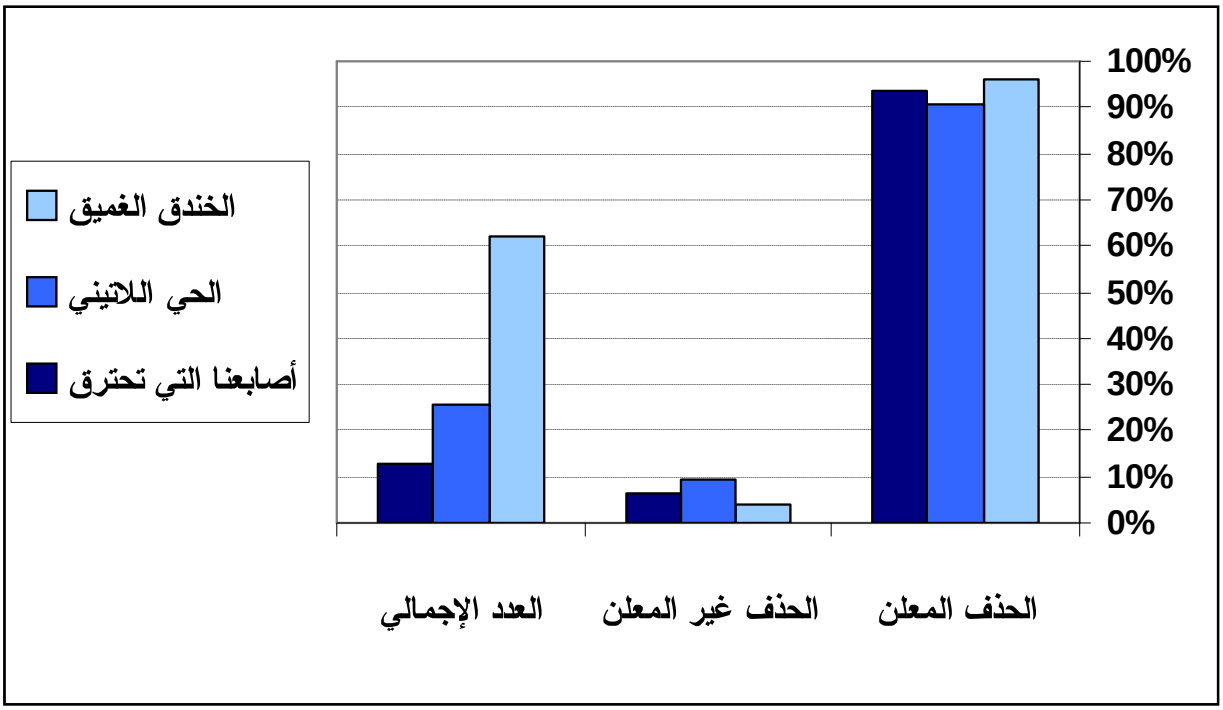

ـ شكل 06: أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للحذف في الروايات الثلاثة

02 ــ إبطاء السرد / تعطيل السرد :

أ ــ المشهد :

عنوان الرواية	العدد الإجمالي للمشاهد
الخندق الغميق	25
الحي اللاتيني	43
أصابعنا التي تحترق	67

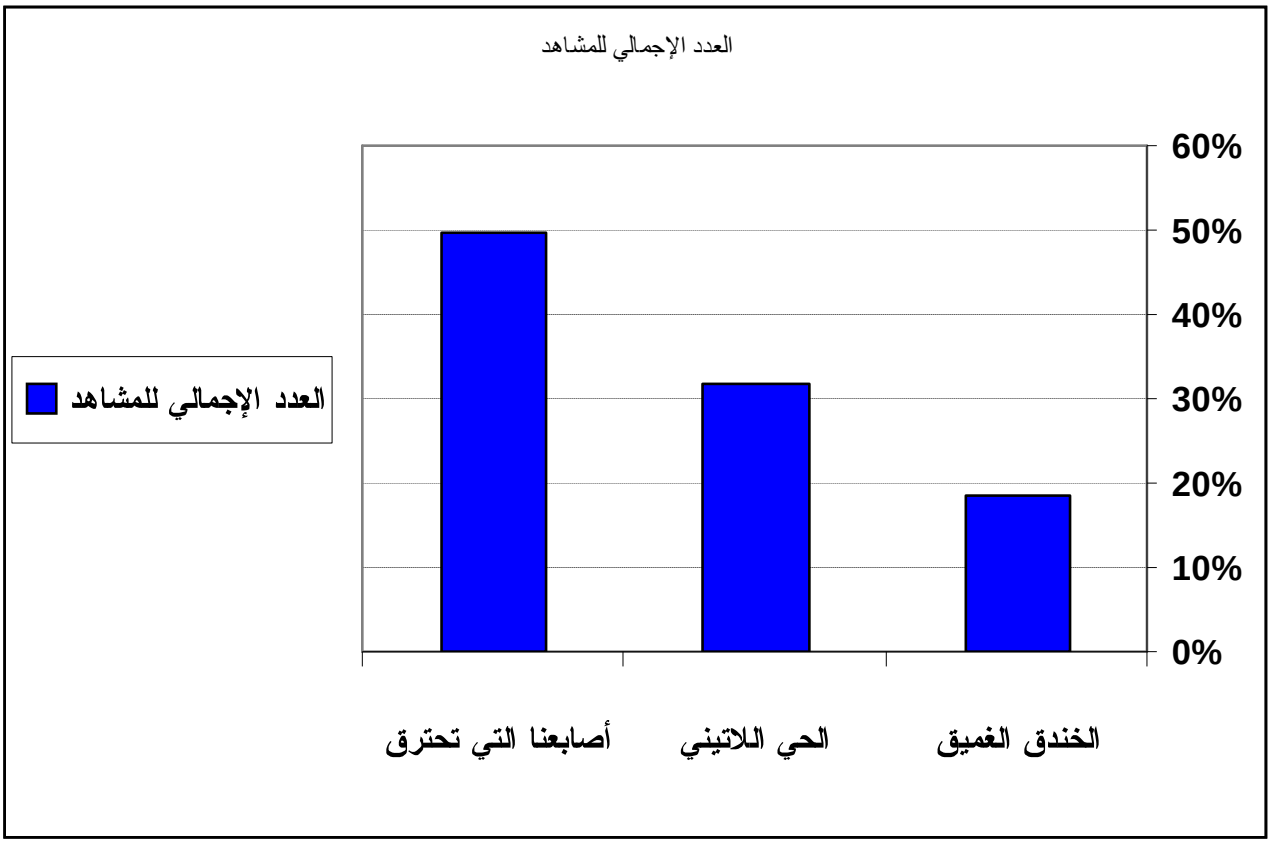

ـ شكل 07 : أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للمشهد في الروايات الثلاثة

ب ـ التوقف / الوصف :

عنوان الرواية	وصف الشخصيات	وصف الطبيعة	وصف المكان	وصف الشخصيات والمكان	وصف المكان والطبيعة	وصف الشخصيات والطبيعة	العدد الإجمالي
الخندق الغميق	11	00	02	01	00	00	14
الحي اللاتيني	26	02	08	01	00	00	37
أصابعنا التي تحترق	48	04	03	02	01	02	60

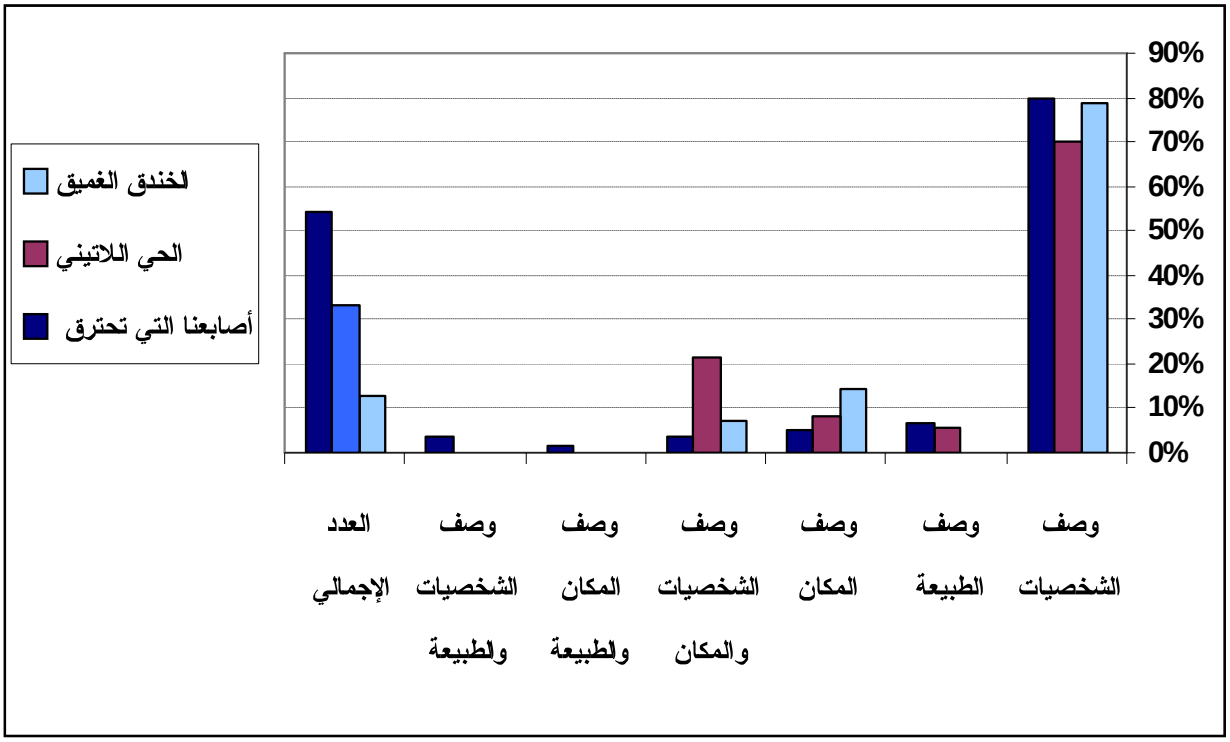

* ــ شكل 08 :أعمدة بيانية توضح نسبة التوقف/ الوصف بأنواعه في الروايات الثلاثة

*ــ جدول 12: مقارنة بين نسبة الاشتغال على تسريع السرد وتعطيله في مجمل نصوص

الثلاثية

الإيقاع الزمني	المجموع الكلي في الثلاثية
تسريع السرد (خلاصة + الحذف)	186
تعطيل السرد(المشهد+ التوقّف)	246

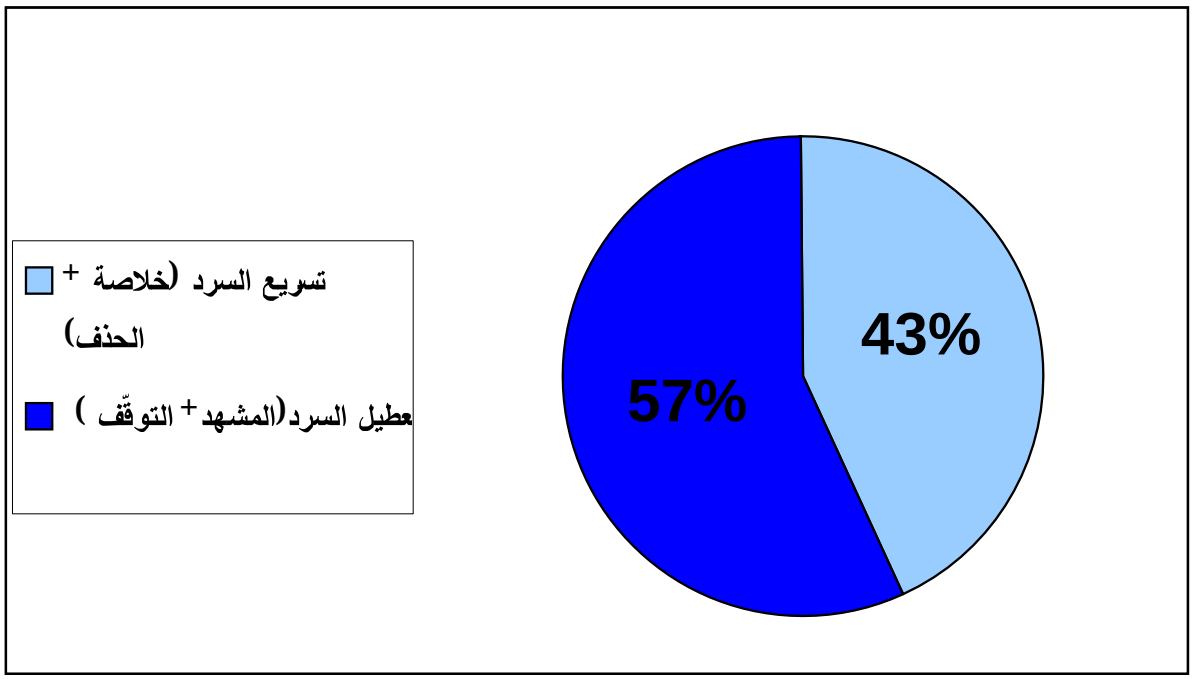

ـ شكل 09 : دائرة نسبية تقارن بين نسبة تسريع السرد وإبطاؤه في الروايات الثلاثة

ـ تعليقات ونتائج :

نتائج الاحصاءات في الإيقاع الزمني تساهم في وضوح تقنيات روائية اشتغل عليها السارد من ناحيتي تسريعه للسرد وتعطيله له ، ومن خلال جداول الإحصاءات الأولية ثم جداول الاحصاءات الكلية والأعمدة البيانية التي تمّ الاعتماد عليها لتوضيح النسب المئوية وضبطها ، يلاحظ استناد السارد إلى تسريع السرد أكثر بكثير من اعتماده على تعطيل السرد فمجمل النسبة المئوية لتسريع السرد كان 43 / 100 تقابلها نسبة 57 / 100 تعطيل حركة السرد .

بين الحذف والخلاصة كتقنيتين لتسريع السرد تظهر نسبة الحذف أكثر بينما الخلاصة تظهر بنسبة أقل ، وهنا يتّضح أنّ كثافة الأحداث وتطورها السريع كانت تفرض على السارد الاشتغال على تقنية الحذف أكثر من الخلاصة رغم أنّ كلتا التقنيتين تسرّعان وتيرة السرد ، وكأنّ الحذف استخدم كتقنية لتجاوز أحداث يشار لها ولا تسرد وفي ذات الوقت المساحة لا تسمح بسردها ولو تسريعا ، نظراً لوجود أحداث أخرى أكثر أهمية .

الحذف كان بنوعيه : حذف معلن وحذف غير معلن ، لكن في الروايات الثلاثة كان حضور الحذف المعلن طاغياً ، وكأنّ بالسّارد يحذف أحداثاً غير مهمّة ليتيح مساحة أكبر لأحداث مهمة وأخرى أكثر أهمية ، مع أنّ ذاك الحذف لم يحدث خلل في البناء الكلي للرواية بل بالعكس أتاح فرصة للقارئ ليتخيّل بعض الفترات الزمنية المحذوفة سوى أيام أو أسابيع أو شهور ، ثمّ يملأها بأحدا من مخيّلته وبهذا يكون القارئ قارئاً فعّالا مشاركاً بتفاعله وخياله في اكتمال القصة .

بالنسبة لتعطيل السّرد والذي يدخل في نطاقه تقنيتين اثنتين وهما : المشهد والتوقّف ، وكما وضّحت الاحصاءات والنسب المئويّة فإنّ للتوقّف حظّه الأوفر في السياق الزمني للرواية مقارنة بالمشهد .

لهذا التفاوت الملحوظ تبريره فالسارد لم يتح للشخصيات مساحة أكبر للتعبير عن نفسها من خلال المشاهد الممثّلة في حوارات ، بينما في التوقّف الذي يقوم على الوصف

أتاح السارد لنفسه مساحة أكبر فراح يصف الطبيعة الأماكن والشخصيات ، وقد كانت نسبة وصف الشخصيات عالية جدا مقارنة بوصف الأمكنة والطبيعة التي كان لها نسبها ضئيلة وكأنّ بالسارد يضع شخصياته في المرتبة الأولى فيهتم بوصفها شكليا ونفسيا ويتتبّع تحرّكاتها .

نسبة وصف الشخصيات المرتفعة تطرح تساؤلا لماذا هذه النسبة العالية جدا للتوقف عند وصف الشخصيات بينما تقابلها نسب ضئيلة جدا لوصف الأمكنة والطبيعة عند التوقّف كتقنية مهمّة لتعطيل السّرد ، السبب يكمن في أنّ الروايات الكلاسيكية تولي أهمية كبيرة للشخوص فيهتمّ السارد ببنيتها وتشكيلها وتنميتها وتطويرها فيكون أحياناً ذلك على حساب جزئيات أخرى مشكّلة لبنية الرواية ، وطبعاً الاهتمام بالشخصية ينتج عنه اهتماماً بالحدث فالشخصيات هي التي تقود تحرّكات الأحداث ، ومن خلال وصف الشخصيات يرصد السّارد الأحداث وتطوّراتها .

خـــــاتـــمـــة

هكذا يصل البحث إلى ختام جولته السردية التي توزّعت على ثــلاث فــصول كبرى تسبقها مقدمة ثم مدخل ، وقد أسفرت النّزهة السردية عن جملــة مــن النتــائج والاستنتاجات التي لا تعتبر نهائية ، وذلك لأسباب منها :

ــ البحث يدخل في سياق بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية وهــي علــوم تحكمهــا النتائج النسبية لا النتائج المطلقة ، وكلّ ما يقدّمــه الباحــث فــي العلــوم الإنــسانية والاجتماعية هو تبرير وإقناع القارئ / المتلقي بطروحاته وتحليلاته واستنتاجاته .

ــ البحث يشتغل على ثلاث مدونات أدبية / روايات ، وكلّ ما يمكن الوصول إليه فــي تحليل النصوص الأدبية وقراءتها يعتبر قراءة ومقاربة واجتهاداً لا تغلــق بــاب تعــدّد القراءات التي من شأنها إثراء النّص .

ــ النتائج المتوصّل إليها هي شرفة لإشكالات وآفاق بحثية أخرى فمن البحــث تتولّــد أفكار ومشاريع بحثية أخرى قد تكون امتدادا لما طرح في طيّات البحث .

ــ من أهم وأبرز النتائج التي توصّل لها البحث الذي اشتغل على ثلاث روايات للأديب اللبناني الراحل سهيل إدريس (الخندق الغميق ــ الحي اللاتيني ــ أصابعنا التي تحترق) ، وتحديدا تمّ فيه تحليل البنيات السردية المشكّلة لنصوص الثلاثية :

ــ في المدخل وبعد تحديد المفاهيم وفكّ شيفرات المصطلحات السردية التــي صــاغت عنوان البحث تبيّن استخدام كلمة "نص" فهو الأنسب في سياق تحليل نــصوص أدبيــة

مكتوبة ومن ثمّة لم يتمّ التطرقّ للمصطلح المقابـــل لـــه المعـــروف بـــــ "الخطـــاب" فالمصطلح الأخير أكثر التصاقا بالخطاب المسموع والمرئي ، والبحث يـــشتغل علـــى نصوص موثّقة مكتوبة إضافة إلى أنّ كلمة " نص" من الكلمات المفتاحية في البحث .

ــ من حيث الموضوعات اشتغلت الروايات الثلاثة على تيمة الصراع فالرواية الأولى بنيت على صراع الأجيال والرواية الثانية نهضت على موضوعة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب والرواية الثالثة قامت على الصراع الفكري / الأيديولوجي .

ــ شخصيات الروايات الثلاثة تتفاوت من حيث بنياتها واكتمالها فالسارد يهـــتم بتقـــديم شخصية دون أخرى ، وبما أنّ الرواية صياغتها على الطريقة الكلاسيكة تمّ دراســـتها وتحليلها وتقديم على الطريقة الكلاسيكية ومن ثمّة تمّ تقسيمها إلى شخـــصيات رئيـــسية وأخرى ثانوية ولم يتم وضع أي شخصية في خانة الشخصيات الهامشية ، فلا وجـــود للشخصية الهامشية في الثلاثية فالسارد كلّما استدعى شخصية كان لها مكانها المناســـب في الرواية ودورها في تطوير أحداث الرواية ، لكن اعتماد هذا التقسيم لم ينف تقـــديم مهاد نظري عن الدرس السردي وقد كان سابقاً لتقديم الشخصيات وتبيان أبعادها.

ــ جعل السارد من شخصياته شخصيات لا مثالية فهي أقرب للواقعية فـــي تـــصرّفاتها وأشكالها ، إذ تفاوتت في المـــستويات العلميـــة وتباينـــت مـــن حيـــث فزيولوجياتهـــا وسيكولوجياتها.

ــ تابع السارد بدقّة شخصية سامي وتطورها من صباه إلى يفاعته وشبابه حتى مرحلة نضاله القومي ، إذ تعتبر شخصية سامي هي الشخصية المحورية وهذا ما يبرر إدراج دراسة شخصيته تحت مسمى الشخصية المحورية أثناء التطرّق له في روايـــة الحـــي اللاتيني التي أغفلت اسمه وعوّضت بضمير الغائب .

ــ الأمكنة في الرواية كانت عبارة عن مساحة لاحتضان الحـــدث لا أكثـــر حتـــى أنّ السارد لم يهتم كثيرا بوصفها والتدقيق في تفاصيلها رغم براعته في تنويـــع الأمكنـــة وإضفاء جماليات عليها من حيث هي مكوّن أساس في البناء الـــسردي ، وكمـــا تبـــيّن اهتمامه بالأمكنة التي تمثّل الثقافة والأدب والفن أكثر من اهتمامه بالأمكنة الاعتياديـــة التي تتوافر في كلّ النصوص السردية كلازمة من لوازم الحياة اليومية .

ــ حرص السارد في الروايات الثلاثة على توضيح المكان كجزء من مكـــوّن العـــرف والتقاليد من حيث نبذه من عدمه ، فالسينما التي كانت في رواية الخندق الغميق مكانـــاً مشبوها بالتحوّل لرواية الحي اللاتيني التي أحداثها في باريس صارت الـــسينما مكانـــاً لاحتضان الفن والذوق والرقي والحضارة ، وكلّ ذلك يتّـــضح مـــن خـــلال منطـــوق الشخصيات ، فالأب الذب يمنع الابن من ارتياد السينما في الخندق الغميق ، قدّم بمنعه ذاك حافزا لابنه لارتياد هذا المكان واكتشاف ما يدور فيه ، وكان ذلك في رواية الحي اللاتيني عند غياب شخصية الأب ، وتمزّق قيود " سامي " ورفاقه وهـــم فـــي أرجـــاء باريس التي مثّلت واجهة مهمّة لطلاّب العلم في القرن الماضي .

ــ أمّا الفصل الأخير الذي خصّص لبنية الزّمن فقد كان أكبر الفصول اتــسّاعا وذلــك لطبيعة فكرة الزمن في حدّ ذاتها من حيث قِدمها ومفاهيمها التـــي تتجاذبهـــا مجـــالات متعدّدة بدءاً بالفلسفة وانتهاء بالسّرد كعلم حديث .

ــ توصّل الفصل الثالث المخصّص للزمن إلى مجموعة نتائج ساهم المنهج الإحصائي في الوصول إليها فهو القادر على ضبط المفارقات الزمنية والإيقاع الزمنـــي كتقنيـــات سردية .

ــ السارد في الروايات الثلاثة كان أميل لاستخدام الاستباق كمفارقـــة زمنيـــة تقابـــل الاسترجاع، وضمن الاستباقات ركّز أكثر على الاســـتباقات الداخليـــة ،كـــذلك أيـــضا الاسترجاعات كثّف استخدام الاسترجاع الداخلي مقارنة بالاسترجاع الخارجي ، ومـــن ميله للاستباق أكثر من الاسترجاع نستنتج عدم رغبة السارد في الخروج عـــن نطـــاق زمن الحكي وفي ذات الوقت سيطرته على ترتيب الأحـــداث باستـــشرافات غالبيتهـــا تحقّقت عن طريق استباق داخلي ، كما اتّضحت سيطرته على خـــط ســـير الأحـــداث وتورها أيضا من خلال اللجوء للاسترجاعات الداخلية أكثر من الاسترجاعات الخارجية ، فالأولى تضمن له الانحسار الزمني داخل زمن القص والثانية تلزمه بالخروج عـــن دائرة زمن القص ممّا يجعل ترتيب الأحداث متشعّبا.

ــ من خلال الإحصاءات التي رصدت لتتبّع الإيقاع الزمني تبـــيّن اســـتخدام الـــسارد لتقنيات تسريع السّرد أكثر من تقنيات تعطيله ، ونظـــرا لكثافـــة الأحـــداث وتطوّرهـــا

وتقدّمها السريع ، لجأ السارد لتسريع السّرد تعطيله فقط حين يكــون الحــدث بحاجــة للتوقّف لوصف شخصيات أو مكان أو طبيعة أو أثناء حوارات تدور بــين شخــصيات الرواية ، رغم قلّة الحوار مقارنة بالوصف وكثافته الذي برهن على أنّ السارد علــيم بنفسيات وأشكال شخصياته والأمكنة والطبيعة وكلّ ما قدّم له وصفا وكان ســببا فــي تعطيل لفترة زمنية تطول أو تقصر .

ــ في تسريع الزمن السارد يميل ميلا شبه كلّي لتقنية الحذف / القص ، التــي طفــت على السطح مقارنة بالخلاصة / الإيجاز كتقنية ثانية لتسريع الــسرد ، تلــك الفتــرات الزمنية المحذوفة قصرت أو طالت هي مساحة لمشاركة القارئ للنص إذ ترك الــسارد مجالاً للقارئ ليسدّ تلك الفترات الزمنية المحذوفة بخياله فيملأها بأحداث محتملــة لــم يتطرّق لها السّارد لأسباب كثيرة كوجود أحدا أكثر أهمية تلزمه بتسريع الــزّمن لتتبّــع تطوّراتها.

ــ بالنظر إلى بنية كل رواية من الروايات نجدها متماسكة فهي ليست بحاجة للروايــة التي تليها كي تكمّل نقصاً في حكايتها ، إذ بإمكان القارئ / المتلقي قراءة الرواية الثالثة والأخيرة دون أن يلحظ تفكّكا في الأحداث أو ثغر في التركيب ، لكن قراءة الروايــات الثلاثة مكتملة يقدّم للقارئ تطوّرا على مستوى شخــصية واحــدة وهــي الشخــصية المحورية في الروايات الثلاثة " شخصية سامي " ، بالإضافة إلى تتبّع التحوّلات الزمنية والتطوّرات الاجتماعية من خلال اهتمام السارد بنمو هذه الشخصية تحديدا.

تمنّع نصوص الثلاثيّة عن الانقياد لمنهج واحد إلاّ دليل على قوّة بنياتها وعمقها ، فكان حضور أكثر من منهج محاولة لفكّ شفراتها ، ويبقى النّص الأدبي أوسع وأشمل من أن يحتويه منهج أو تنهيه قراءة .

تلكم هي مجمل النتائج ومحصول الكلام الذي خلُصت إليه الدراسة بعـد مقاربتهـا للروايات الثلاثة والتحليق في فضاءاتها وتأمّل بنياتها وتراكيبها وصـيغها ، وبمـا أنّ نصوص الثلاثية تنتمي للقرن الماضي ولأديب له باع في الكتابة وشهرة فـي أوسـاط القرّاء المهتمين بالثقافة والأدب عموما وبالسرد تحديدا ، فمن الطبيعـي أن تكـون أن تكون لرواياته دراسات سابقة ، وحسب البحث التفرّد بدراسة بنيات روايتـه الثلاثـة مكتملة لا مجزّأة والسعي للوصول إلى نتائج فتحت آفاقاً بحثية علّها تكون لبنة لأبحاث مستقبلية ومقاربات نقدية أخرى .

في الأخير،آمل أن تكون هذه الدراسة قد أضافت ولو نزرا يسيرا للدراسات السردية عموما ولأدب "سهيل إدريس" خصوصا باعتبار رواياته تشتغل على موضوعات مهمّة وإشكالات إنسانية شائكة ، بالإضافة إلى مهارة بارزة في النصوص، وتميّز في الحبك والسبك والصياغة ،وإتقان لتقنيات السرد وتوظيفها بالشكل الذي يجمّل النّص ويقرّبـه للقارئ في قالب أدبي أنيق .

ثبت الملاحق

***ـ ملحق 01 :** ترجمة مختصرة للتعريف بالأديب سهيل إدريس

***ـ ملحق 02 :** أغلفة الروايات الثلاثة

أ ـ الرواية الأولى : الخندق الغميق

ب ـ الرواية الثانية : الحي اللاتيني

ج ـ الرواية الثالثة : أصابعنا التي تحترق

ملحق 01 : ترجمة مختصرة للتعريف بالأديب سهيل إدريس

سهيل إدريس أديب لبناني ، ولد ببيروت بحي الخندق الغميق بين سنتي 1923 و 1925 ، فالمراجع ومواقع الانترنت عند التعريف به تضاربت في ضبط تاريخ ميلاده وكانت بين هاتين السنتين .

نشأته الأولى كانت نشأة دينية وذلك بانضمامه لكلية المقاصد الإسلامية وفيها زاول تعليمه الابتدائي بتحفيز والده الذي كان شيخا إماما وتولّى الإمامة بعد إفلاس تجارته .

والدته نالت قسطاً من التعليم والثقافة .

بعد هذه المرحلة اختار سهيل إدريس تغيير مسار تعلّمه من الديني إلى المدني ، فحصل على شهادة الباكلوريا .

---

* ــ الترجمة المختصرة للأديب سهيل إدريس تمّ فيها الرجوع لحوار أجراه سهيل الشملي مع سهيل إدريس ونشره في كتابه البطل في ثلاثية سهيل إدريس بين صفحتي 17 ــ 28 وضعها كمدخل لدراسته .

بالإضافة إلى مواقع الكترونية :

http://al-hakawati.net/arabic/arabpers/lit13.asp

http://www.startimes.com/?t=20342824

http://www.marefa.org/index.php/%D8%B3%D9%87%D9%8A%D9%84_%D8%A5%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3

التحق بكلية الحقوق وفشل في دراسته لانشغاله بالصحافة إذ عمل في صحف داخل لبنان قرابة السبع سنوات .

في العام 1949 م خلى عن الصحافة وسافر إلى باريس بعد أن منحته وزارة التربية منحة لاستكمال دراساته ، وفي باريس أعدّ ديبلوم الصحافة العالي وكتب رسالة دكتوراه أشرف عليها المستشرق "بلاشير" ، وكانت أطروحته بعنوان :" الرواية العربية الحديثة من 1900 ــ 1950 والتأثيرات الأجنبية فيها " .

بعد إحرازه لشهادة الدكتوراه والعودة إلى بيروت بدأ في الإعداد لإصدار مجلة الآداب التي ظهرت فعليا في العام 1953 .

في العام 1968 سعى سهيل إدريس لتكوين اتحاد الكتّاب اللبنانيين ، وتولّى أمانته العامّة ، كما كان منخرطا في اتحادات وجماعات أدبية أخرى .

عمل أيضا في التدريس بجامعة بيروت العربية .

كتب سهيل إدريس عددا كبيرا من المقالات والبحوث في السياسة والأدب والثقافة والفكر والمسرحية ، واهتمّ اهتما كبيرا بالفكر القومي والفلسفة الوجودية ، وترجم عدّة آثار من الأدب الفرنسي على رأسها أعمال جان بول سارتر .

صدرت له عدة كتب من بينها :

ــ في معترك القومية والحرية 1977

ــ محاضرات عن القصة في لبنان 1957

ـــ مواقف وقضايا أدبية 1981

ـــ من الترجمات نذكر

ـــ "الأيدي القذرة " و " الكلمات لسارتر

ـــ "لطاعون" لألبير كامو

ـــ "سارتر والوجودية " لألبريس

ـــ " من أكون في اعتقادكم " لروجيه غارودي

ـــ بالإضافة إلى معجمه الشهير " المنهل "

له مجموعات قصصية منها :

ـــ " أشواق " 1948

ـــ " كلهنّ نساء " 1949

ـــ " الدمع المر " 1956

ـــ " رحماك يا دمشق " 1965

ـــ " العراء" 1973

بالإضافة إلى قصص أخرى وروايات من بينها رواية سراب التي ذكر أنها نشرت مجزّأة متسلسلة سنة 1948 في صحيفة المساء البيروتية .

وروايات الثلاثة التي لاقت شهرة وانتشارا واسعاً وتعدّد طبعات

الحي اللاتيني 1953

الخندق الغميق 1958

أصابعنا التي تحترق 1962 .

علّل سهيل إدريس قلّة إنتاجه الروائي بانشغاله بمجلّة الآداب وإدارتها ،بالإضافة إلى إرشاده وتوجيهه للأقلام الشابّة الواعدة لا سيما وهو صاحب دار نشر (الآداب) خلّف سهيل إدريس بصمات واضحة في تاريخ الأدب العربي والعالمي ولا زالت دار الآداب في بيروت تحت إشراف أبنائه قائمة بالمبادئ والأسس التي أنشأها عليها توفي سهيل إدريس في 2008 ، ظلّت نصوصه تفتح بواباتها لتقرأ وتقرأ مرات ومرّات .

ملحق 02 : أغلفة الروايات الثلاثة

أ ــ **الرواية الأولى:** الخندق الغميق

ب ــ الرواية الثانية : الحي اللاتيني

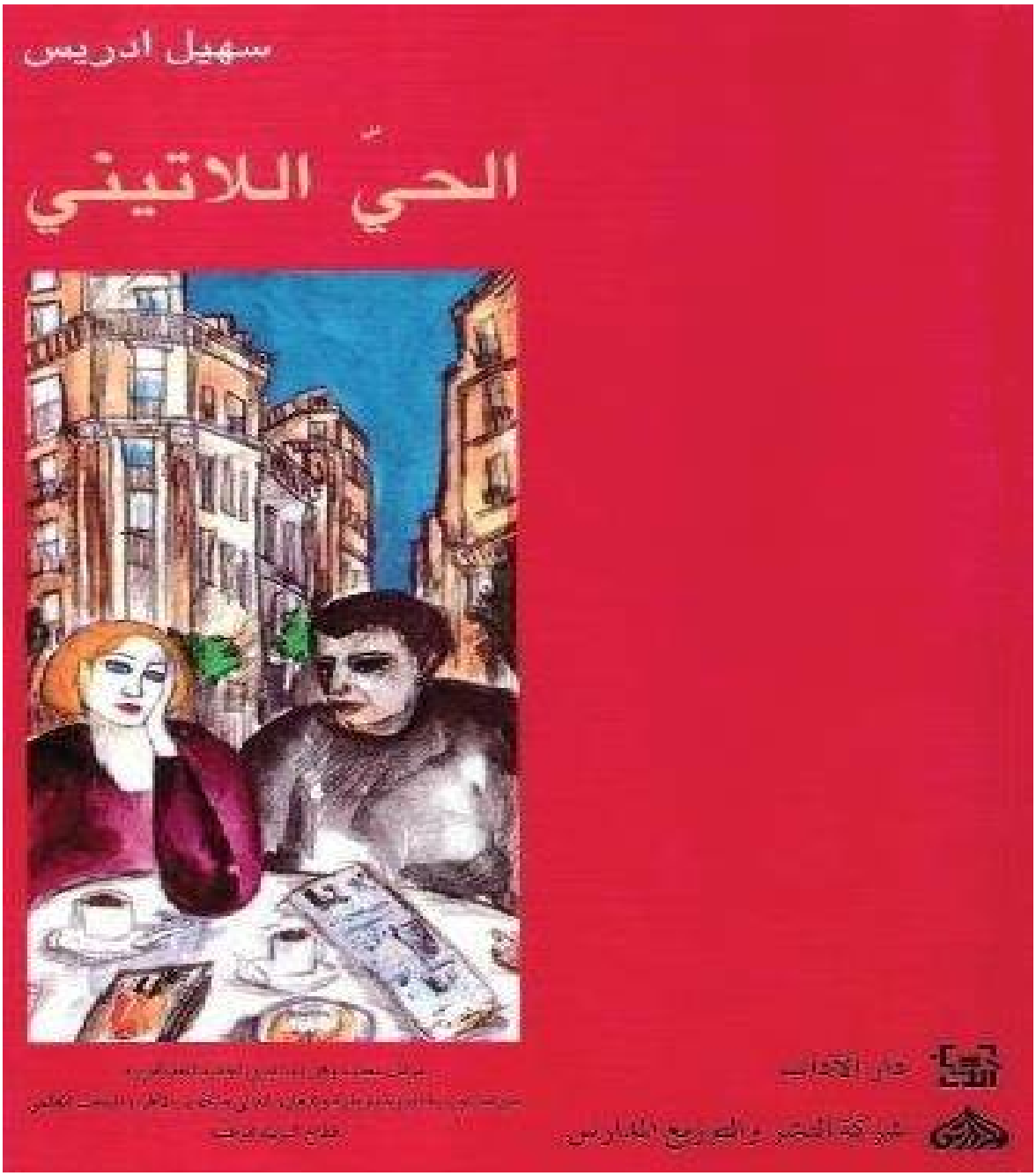

ج ــ الرواية الثالثة : أصابعنا التي تحترق

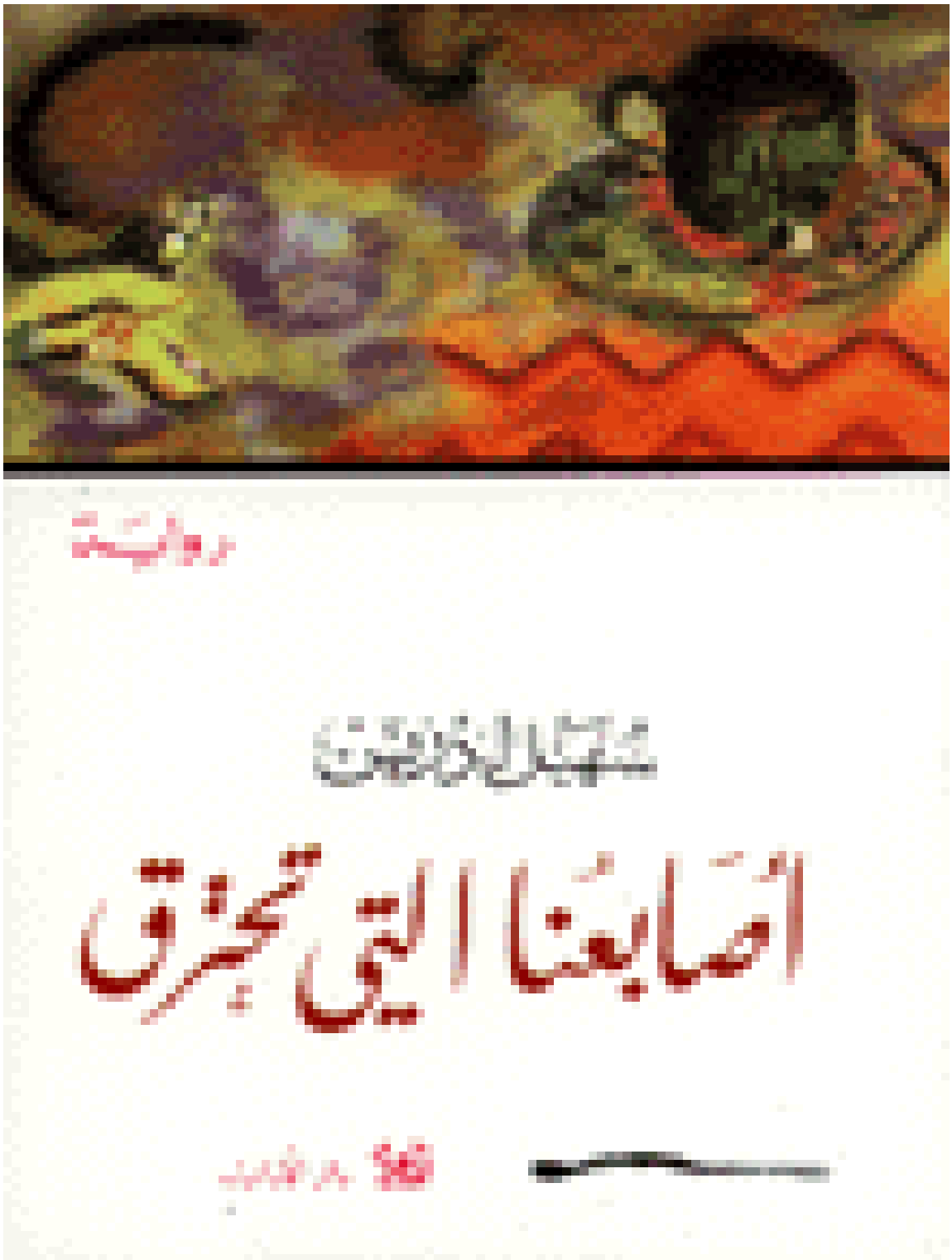

قائمة المصادر والمراجع

* ــ المصادر :

ــ سهيل إدريس :

ــ الخندق الغميق (رواية) ، دار الآداب ، بيروت / لبنان ، ط 06 ، 1993.

ــ أصابعنا التي تحترق (رواية)، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 08 ، 1998 .

ــ الحي اللاتيني (رواية) ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط 14 ،2006 .

* ــ المراجع :

01 ــ المراجع باللغة العربية :

ـــــ إبراهيم صحراوي :

ــ تحليل الخطاب الأدبي(دراسة تطبيقية)،دار الآفاق،الجزائر ، دط ، 1999.

ــ السرد العربي الأنواع والوظائف والبنيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 01 ، 2008.

ــ أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبــراهيم نــصر الله ،المؤســسة العربيــة للدراسات والنشر،بيروت ـــــ لبنان،ط01 ، 2005 .

ــ أحمد زنيبر : جمالية المكان في قصص إدريس خوري(دراسة نقديــة) ، التنــوخي للطباعة والنشر، الرباط المغرب ، ط 01 ، 2009 ، ص 53 .

ــ أحمد فرشوخ : جمالية النص الروائي (مقاربة تحليلية لرواية لعبة النسيان) ، دار الأمان ، الرباط ، ط01 ، 1996 .

ــ الأزهر زناد : نسيج النص في ما يكون به الملفوظ نصاً ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط02 ،1993.

ــ آمنة يوسف: تقنيات السرد (في النظرية والتطبيق) ، دار الحوار للنشر والتوزيــع، اللاذقية، سورية، ط1997.

ــ حسن بحراوي :

ـــــ بنية الشكل الروائي (الفضاء ــ الزمن ــ الشخصية)،المركز الثقافي العربــي ، بيروت ،لبنان ــ الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ، 1990 .

بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 01 ، 1992

ــ حسن نجمي : شعرية الفضاء السردي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت / الــدار البيضاء ، ط01 ، 2000.

ــ حميد لحميداني:

ــ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربــي ،بيــروت ــ لبنان ،الدار البيضاء المغرب،ط1991،01 .

ــ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـــــ بيروت، ط03 ، 2000.

ــ جورج أزوط : سهيل إدريس في قصصه ومواقفه ،(أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة)، إشراف : جبور عبد النور دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1989.

ــ جورج طرابيشي : عقدة أوديب في الرواية العربية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان.

ــ خليل شكري هياس : القصيدة السير ذاتية (بنية النص وتشكيل الخطــاب) ، عــالم الكتب الحديث ،إربد ،الأردن ، ط 01 ،2010.

ــ خليل شكري هياس : القصيدة السير ذاتية (بنية النص وتشكيل الخطــاب) ، عــالم الكتب الحديث،إربد ،الأردن ، ط 01 ،2010.

ــ سعيد بنكراد : سيميولوجية الشخصيات السردية ــ رواية الشراع والعاصــفة لحنــا مينا أنموذجا ــ ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط01 ، 2003 ، .

– سعيد يقطين :

ــ تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربــي ، الدارالبيــضاء ــ المغــرب ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1989.

ــ قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، المركز الثقــافي العربــي , بيروت ، الدار البيضاء ، ط01 ، 1997.

ــ سعدون حمادي : عن القومية والوحدة العربية سألني سائل فأجبت ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ، لبنان ، ط 02 ، 2000 .

ـ سمر روحي الفيصل : الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 1986 .

ـ سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1984 .

ـــ صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، منشورات عالم المعرفة .

ـ عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،دط ،1994.

ـ عبد الرحيم الكردي : البنية السردية في القصة القصيرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة دط ، دت.

ـ عبد العالي بوطيب : مستويات دراسة النص الروائي (مقاربة نظرية)،مطبعة الأمنية، الرباط ـــ المغرب ،ط01 ،1999.

ـ عبد القادر شرشار : تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران ، الجزائر ، ط01.

ـ عبد الله مسلم الكساسبة : تجربة سليمان القوابعة الروائية ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ،دط ، 2006 .

ـ عبد الملك مرتاض :

ــ تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لروايــة زقــاق المــدق) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1995.

ــ في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ،عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافــة والفنون والآداب ، الكويت ،ط1 ،1998 .

ــ دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " أين لــيلاي" لمحمــد العيــد آل خليفــة ، ديــوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (دت).

ــ ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي لحكاية حمال بغداد) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط ، دت .

ــ عدنان علي شريم : الأب في الرواية العربية المعاصرة ، تقديم : خليل الشيخ ، عالم الكتب الحديث ، إربد، عمان ط 01 ، 2008.

ــ عزيزة مريدن : القصة والرواية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1971.

ــ عمر عاشور (ابن الزيبان) : البنية السردية عند الطيب صــالح (البنيــة الزمنيــة والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال) ، دار هومة للطباعــة والنــشر والتوزيــع ، الجزائر ، 2010.

ــ عمرو عيلان : الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي (دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة) ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ، ط01 ،2001 .

ــ محمد بوعزة : تحليل النص السردي (نقنيات ومفاهيم) ، دار منشورات الاختلاف / الجزائر ــ الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت ، لبنان ، ط01 ، 2010.

ــ محمد عزام : شعرية الخطاب السردي (دراسة) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2005.

ــ محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط01، 1981.

ــ محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث , نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 2001 .

ــ محمد مصايف : النثر الجزائري الحديث , المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر ، د ط ، د ت ، 1971 .

ــ مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبولوليتكا النص الأدبي (تضاريس الفضاء الروائي نموذجا)،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط1 ،2002.

ــ مسلم العاني : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ،دار الشروق الثقافية، بغداد، ط01، 1994.

ــ مها حسن القصراوي : الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنشر ، بيروت ــ لبنان ، ط01 ، 2004.

ــ نفلة حسن أحمد العزي : تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني (قـــراءة نقديـــة)، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 01.

ــ نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث وتحليل الخطاب)،ج02 ، دت ، دط ، الجزائر .

ــ يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت ـــــ لبنان ، ط01 ، 1990.

02ــ المراجع المترجمة :

ــ أ أ . مندلاو : الزمن والرواية ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة : إحسان عبـــاس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1997 .

ــ أرسطو : فن الشعر ، ترجمة : متى بن يونس ، تحقيق : شكري عيـــاد ، الـــشركة المغاربية للناشرين المتحدين ، الدار البيضاء ، ط01 ، 1986 .

ــ تزفيتان تودوروف : الشعرية ، ترجمة : شكري المبخوت ورجاء ســـلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 01 ، 1987 .

ــ تزفيتان توردوروف: مفاهيم سردية ، ترجمة : عبـــد الرحمـــان مزيان،منـــشورات الاختلاف ، ط01 ، 2005 .

ــ توماشفسكي: نظرية الأغراض نظرية المنهج الشكلي /نصوص الشكلانيين الــروس ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ، ط01 ، 1982.

ــ جان ريكاردو : قضايا الرواية الحديثة ، ترجمة : صباح الجهيم ، وزارة الثقافــة والإرشاد القومي ، دمشق ، دط ، 1997.

ــ جيرار جينيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، ترجمــة : محمــد معتــصم وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1979 ، ط02 ــ

ــ جورج مولينيه : الأسلوبية ، ترجمة : بسام بركة ، المؤسسة الجامعيــة ، بيــروت ،لبنان ،ط 01.

ــ غاستون باشلار : جدلية الزمن ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، ديــوان المطبوعــات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1984.

ــ فلاديمير بروب : مورفولوجية الخرافة ، ترجمــة :إبــراهيم الخطيــب ، الــشركة المغاربية للناشرين المتحدين ،الدار البيضاء ـــ المغرب ، ط01 ، 1986.

ـــ فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية (رواية الشراع والعاصفة لحنــا مينا أنموذجا)، ترجمة: سعيد بنكراد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمــان ، ط01 ،2003.

ــ ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة ، تر : فريد انطونيــوس ، منــشورات عويدات، بيروت ،1982.

03 ــ المؤلفات الجماعية :

أ ــ باللغة العربية :

ــ سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1985

ــ مجموعة من الباحثين : الرواية العربية واقع وآفاق ، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1981.

إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، المجلد الثاني ، تقديم : بطرس البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1983.

ب ــ المترجمة :

ــ جيرار جينيت وآخرون : الفضاء الروائي ، ترجمة : عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ــ المغرب ، بيروت ــ لبنان ، دط ،2002 ، مقدمة الكتاب.

ــ رولان بورنوف وريال اوئيليه : عالم الرواية ، ترجمة : نهاد التكرلي ، مراجعة: فؤاد التكرلي ومحسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط01 ،1991.

ــ رينيه ويلك وأوستن وارين : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ ط 02.

ـــــ كريستيان أونجلي وجان إيرمان : السرديات (نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير) ، ترجمة : ناجي مصطفى ، منشورات الحوار الأكاديمي ، ط 01 ، 1989.

04 ــ المراجع باللغة الأجنبية :

-Grned dictionnaire Larousse ،Paris ،T10،1984 ، ـــــــ

encyclopédique Larousse ،Librairie

- Paul Ricoeur: Temp et récit l'intrigue et le récit l'intrigue et le :

récit historique ,edition du seuil ,

l'aventure Sémiologique ،Editions Du Seeuil ، Paris ، 1985.

R.Barthes - ST-Augustin:Les confessions ,livre xi ed gornier

fla,orin ,Paris,1964

05 ــ الدوريات والمجلات :

ــ إبراهيم صحراوي : أسماء الشخصيات في الرواية المعاصرة بين الأدبية والإيديولوجية ، مجلة اللغة والأدب ، العدد 08 ، جامعة الجزائر ، 1996.

ــ أحمد الحـــذيري : من النص إلى الجنس الأدبي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع 100 ــ 101 ،1988.

ــ جميلة قيسوم : الشخصية في القصة ، مجلة العلوم الإنسانية ، منشورات جامعة منتوري،قسنطينة ، الجزائر، ع 13 , 2000م.

ــ رولان بارت : التحليل البنيوي للسرد ، ترجمة : حسن بحراوي وآخرون ، اتحاد كتاب المغرب ، الرباط ، العدد 8 ــ 9 ،1988.

ــ ريم العيساوي: المكان في الرواية النسوية المغاربية ، مجلة الروافد،مجلة تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام،الإمارات العربية المتحدة ، الشارقة ، ع85 ،يونيو 2002 .

ــ شريبط أحمد شريبط : بنية الفضاء في رواية "غدا يوم جديد " ، مجلة الثقافة ، وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر ،العدد 115 ،1997.

ــ منـــــنر العياشي : النص ممارساته وتجلياته ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد مزدوج (96 ــ 97)،1992.

*** ــ المعاجم والقواميس والموسوعات :**

أ ــ باللغة العربية :

ــ ابن منظور: لسان العرب ،مج 01 و مج 06 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1997.

ــ أسعد رزوق : موسوعة علم النفس ، مراجعة : عبد الله عبد الدايم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان، ط03 ، 1979 .

ــ بسام بركة : معجم اللسانيات الحديثة (فرنسي عربي) ، منشورات حروس ، طرابلس ــ لبنان ،ط02 ،1985.

ــ جبور عبد النور: المعجم الأدبي, دار العلم للملايين, بيروت ـــــ لبنان,ط01 , 1984.

سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عـرض وتقـديم وترجمـة،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 01 ،1985.

ـ محمد التونجي : المعجم المفضل في الأدب, ج02,دار الكتب العلمية, بيروت ـــــ لبنان, ط01، 1413هـ ـــــ 1993 م.

ـ لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنـان ناشـرون، لبنـان،ط 01،2002

ب ـ المعاجم عربية مشتركة :

مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية،مكتبة لبنان،بيروت،ط02.

ـ ميجان الرويلي: وسعد البازعي, دليل الناقد الأدبي(إضاءة لأكثر من سـبعين تيـاراً ومصطلحاً نقدياً مُعاصراً),المركز الثقافي العربي ، بيروت ـــــ الدار البيضاء ، ط 04، 2005 .

ج ـ مترجمة :

ـ جيرالد برنس: قاموس السرديات, ترجمة : السيد إمام, ميريت للنـشر والتوزيـع, القاهرة، ط 01 ،2003.

*** ـ الأطروحات الجامعية :**

ـ زهيرة بنيني : بنية الخطاب الروائي عند غادة السمّان (مقاربة بنيوية)،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الحديث ،إشراف :الأستاذ الـدكتور الطيـب بودربالـة

(مخطوط) ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر ــ باتنة ــ(1428 ــ 1429 هـ/ 2007 ــ 2008 م) .

ــ نورة بنت محمد بن ناصر المري : البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية) ، رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث ، ، إشراف : محمد بن صالح بن جمال البدوى ، (مخطوط نسخة الكترونية) ،جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا ، فرع الأدب .

08 ــ روابط لمواقع الكترونية :

http://al-hakawati.net/arabic/arabpers/lit13.asp

http://www.startimes.com/?t=20342824

http://www.marefa.org/index.php/%D8%B3%D9%87%D9%8A%D9%84_%D8%A5%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3

ثبت الفهـــارس

أ ــ فهرس الجداول

ب ــ فهرس الأشكال

أ ــ فهرس الجداول :

رقم لجدول	عنوانه	الصفحة
01	ــ رصد الاستباقات الواردة في متون الثلاثية .	258
02	ــ رصد الاسترجاعات في نصوص الثلاثية .	339
03	ــ الاحصائيات الكليّة لبنية المفارقات الزمنية في نصوص الثلاثية .	386
04	مقارنة بين مجموع الاستباقات الكلية والاسترجاعات الكلية في الثلاثية	388
05	ــ رصد مجموع الاستباقات بنوعيها والاسترجاعات بنوعيها .	389
06	ــ رصد الخلاصة / الإيجاز في متون الثلاثية	395
07	ــ رصد الحذف / القص في متون الثلاثية	404
08	ــ الاحصاءات الكلية لنظام السرد / الإيقاع الزمني	413
09	ــ رصد المشاهد /الحوارات في متون الثلاثية	416
10	ــ رصد التوقّف في متون الثلاثية	427
11	ــ الإحصاءات الكلية لنظام السرد / الإيقاع الزمني	442
12	ــ مقارنة بين نسبة الاشتغال على تسريع السرد وتعطيله في مجمل نصوص الثلاثية	446

02 ــ فهرس الأشكال :

رقم الشكل	عنوانه	الصفحة
01	ــ أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للاستباقات في نصوص الثلاثية .	386
02	ــ أعمدة بيانية توضّح النسب المئوية للاسترجاعات في نصوص الثلاثية	387
03	ــ دائرة توضح النسب المئوية للاستباقات مقابل الاسترجاعات في نصوص الثلاثية	388
04	ــ نسبة الاستباقات والاسترجاعات داخل كل رواية	389
05	ــ أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للخلاصة في الروايات الثلاثة	442
06	ــ أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للحذف في الروايات الثلاثة	443
07	ــ أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للمشهد في الروايات الثلاثة	444
08	ــ أعمدة بيانية توضح النسب المئوية للتوقف / الوصف في الروايات الثلاثة	446
09	ــ دائرة نسبية تقارن بين نسبة تسريع السرد وإبطاؤه في الروايات الثلاثة	447

العنـــــــوان	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل : ضبط المصطلحات والمفاهيم.....	**14**
– أولاً: البنية(la structure).....	**15**
– ثانيا:النص(le texte).....	**20**
– ثالثا:السرد(la narration).....	**27**
الفصل الأول : تيبولوجية شخصيات الثلاثية وأبعادها المتعددة.....	**34**
تمهيد :.....	**38**
أولا : الشخصية مفهومها وأهميتها :.....	**38**
ثانياً : جهود النقاد الرواد في دراسة الشخصية الروائية:.....	**42**
1 – فلاديمير بروب : Vladimir Propp	**42**
2 – ألجير داس جوليان غريماس: A.J .Greimas.....	**44**
3 – تزفيتان تودروف: Tazvetan Todorov	**46**
4 – فيليب هامون: Philipe Hamon.....	**48**
ثالثا– أبعاد الشخصية الروائية :.....	**51**
1– البعد الفيزيولوجي / الجسمي :.....	**51**

2 ــ البعــد السوسيولــوجي / الاجتماعي والبعــد الثقــافي :..... 51

3 – البعد السيكولوجي / النفسي :..... 52

رابعا– تقديم شخصيات الثلاثية وتوضيح الأبعاد المشكّلة لها :..... 53

أ – أبعاد الشخصيات رواية الخندق الغميق :..... 53

– الشخصيات الرئيسية..... 53

01 – سامي : 53

2 – الأب : 67

3 – الأم : 69

– الشخصيات الثانوية :..... 74

01 – هدى :..... 74

02 –فوزي :..... 74

03 – رفيق :..... 84

04 – سميّا :..... 88

05– إدارة المعهد الديني (المدير والناظر) :..... 94

06– الشيوخ / الأساتذة :..... 103

07 – الطلاّب :..... 111

ب– أبعاد الشخصيات رواية الحي اللاتيني :..... 119

- الشخصيات الرئيسية:..... 119

01- الشخصية المحورية/ البطل بالمفهوم التقليدي :..... 119

02 ــ جانين مونترو :..... 123

03 .الأم :..... 134

ــ الشخصيات الثانوية : 136

01 ــ ناهدة :..... 136

02 ــ صبحي : 138

03 ــ فؤاد :..... 139

04 ــ فرنسواز :..... 141

05 ــ تيريزا :..... 142

ج - أبعاد الشخصيات في رواية " أصابعنا التي تحترق " :..... 142

ــ الشخصيات الرئيسية : 142

1ــ سامـــي ميمون :..... 142

2- إلهام راضي :..... 148

ــ الشخصيات الثانوية : 150

01ــ كريم الهـــادي :..... 156

02ــ وحيد حقّي / رهفل مهشاه : 152

03 ــ عصام الحلواني : 156

04 – هاني الغريب : 158

05ــ حسّان راضي : 159

06ــ رفيقــة شاكــر : 160

07- سميحة صادق :..... 162

08- عبد القادر رحماني : 164

09- عــزيــز :..... 164

10ــ ضياء وسمير : 165

11- سلمى العكاوي :..... 166

12- عبلة سلطان : 166

13- مدير معهد بكفيا :..... 167

14-شقيقات إلهام : 167

أ- نُهــى : 167

ب- شقيقتها المتزوّجة في بيروت :..... 168

ج- شقيقتها المتزوجة في مصر : 168

الفصل الثاني : طوبوغرافية أمكنة الثلاثية ووظائفها في النسيج السردي..... 170

تمهيد :..... 172

أولا : إشكالية تحديد المفهوم وتعدّد المصطلح..... 173

ثانيا : أنواع الأمكنة : 176

1- المكان المجازي :..... 176

2- المكان الهندسي :..... 176

3- المكان كتجربة معاشة :..... 176

4- المكان المعادي :..... 176

ثالثا : تمظهر الأمكنة وتشكّلها في نصوص الثلاثية 185

1-المدارس والجامعات ومراكز التعليم الأخرى 186

أ-الكتّاب :..... 187

ب- المدرسة الدينية/ المعهد الديني:..... 188

ج- الجامعات ومعاهد التعليم المدني :..... 194

2- أماكن عرض الفنون ومقرّات الاهتمام بالأدب والفكر..... 199

أ-السينما 199

ب : المسرح 202

ج-مكتب / مقر المجلّة 205

3-المرافق العامّة :..... 206

أ-المقاهي :..... 206

ب- المطاعم :..... 219

ج- أمكنة للفسحة والمتعة وأخرى للاستجمام 223

4- أماكن السكن الرسمية والمؤقتة 227

أ- البيوت / المنازل..... 227

ب- الفنادق..... 231

5- أماكن التنقّل والحركة اليومية :..... 233

أ- الأحياء والشوارع 233

ب- محطّة السيارات والمطار والميناء 237

الفصل الثالث :تشكّل الزمن في ضوء الدراسات الفلسفية والمقاربات السردية.. 242

تمهيـــــد :.....246

أولاً: مقولة الزمن من أنفاق الدراسات الفلسفية إلى سراديب المقاربات السردية:.247

1 ــ مقولة الزمن من وجهة نظر الفلاسفة :.....247

2 ــ عند الشكلانيين الروس :.....249

3 ــ عند البنيويين : 251

* ــ مستويات الزمن لدى البنيويين :..... 251

أ ــ زمن القصة :.....251

ب ــ زمن السرد / زمن الخطاب :.....252

ثانيا : بنية المفارقات الزمنية في نصوص الثلاثية : 253

1 ــ الاستباق prolepse :..... 253

* ــ أنواع الاستباق :..... 255

أ ــ الاستباق كتمهيد / الخارجي :..... 255

ب: الاستباق كإعلان / الداخلي :..... 256

02 ــ الاسترجاع : Analepsie :..... 333

أنواع الاسترجاع : 336

أ ــ الاسترجاع الداخلي : 336

ب ــ الاسترجاع الخارجي : 337

* ــ نتائج وتعليقات :..... 388

ثالثاً : نظام السرد / الإيقاع الزمني في نصوص الثلاثية :..... 389

1 / تسريع السرد : 390

أ ــ الخلاصة Sommaire:..... 390

ب ــ الحذف Ellipse:..... 400

* ــ أنواع الحذف :..... 401

1 ــ الحذف المعلن Ellipse déteraminée 401

2 ــ الحذف غير المعلن / الضمني Ellipse indéterminée 401

02 / إبطاء / تعطيل السرد : 411

أ ــ المشهد : 411

ب / التوقف pousse : 423

ــ أنماط التوقف : 424

1 ــ وصف الشخصيات :..... 424

2 ــ وصف المكان : 424

3 ــ وصف الطبيعة :..... 425

* ــ تعليقات ونتائج :..... 445

الخاتمة : 451

ــ ثبت الملاحق : 458

*ــ ملحق 01 : ترجمة مختصرة للتعريف بالأديب سهيل إدريس 459

* ــ ملحق 02 : أغلفة الروايات الثلاثة 463

أ ــ الرواية الأولى : الخندق الغميق 461

ب ــ الرواية الثانية : الحي اللاتيني 462

ج ــ الرواية الثالثة : أصابعنا التي تحترق 463

ــ ثبت المصادر والمراجع : 466

ــ ثبت الفهارس : 481

أ ــ فـــــــهرس الجـــــــــــداول : **482**

ب ــ فـــــهرس الأشكـــــــــال : **483**

ــ فهرس الموضوعات : 484